

داد الفام

محمد عفيفي



DADAARAB

الثقافة والجمجمة

# النفاحة والجمجمة

محمد عفيفي

# الثقافة والجمجمة

## الفصل الأول



أعقب أن الوقت قد حان لكي أدون قصتي ، قصة الأحداث المضحكة والفاجعة التي وقعت لي في تلك الجزيرة الفذة ، وإن كت أشك في إمكان وصولها - قصتي - إلى أي إنسان . لأنني بعد أن أكتبها لن أقدمها إلى الناشر كما يفعل سائر كتاب القصص ، بل سوف أضع الأوراق في كيس من النايلون ، ثم أضع الكيس في جرة بدائية تشبه القلة ، ثم أسد تلك القلة سدا محكما ، وذلك توطئة لإلقاء القلة نفسها في البحر العريض لتحملها أمواجه إلى حيث يشاء القدر . هذا بالطبع إذا أتيحت لي أن أتم كتابة القصة نفسها قبل أن يفنى القلم الرصاص الذي أكتبها به ، وقبل أن ينفد الورق الذي أدونها عليه ، فهل تصدق أنني أكتبها على الظهور البيضاء لعدد

من الشيكات القديمة؟ وبعد أن تمتلئ الظهور سوف أوصل الكتابة على الوجوه بين السطور المطبوعة التي تقول : ادفعوا لحامله مبلغاً وقدره ! وبعد ذلك سوف أكتب على كعوب الشيكات ثم على غلاف الدفتر ، تلك العملية التي تلمنى أن أوجز في بعض الأحيان أشد الإيجاز ، وهو ما سأفعله من فوري بصدد غرق السفينة التي كنت فوقها .

في جوف الليل والناس نيام ، انفجار رهيب زلزل أركان السفينة ، ثم هرج ومرج وصراخ وعواء ، وعشرات من الناس يقفزون إلى البحر بالبيجامات والجلاليب وبعضهم نصف عرايا . لكنني لم أكن قط من الناس الذين يفقدون عقولهم ساعة الخطر . كنت وقتها — بسبب الحر — نائماً وحدي بالملابس الداخلية ، فأسرت بارتداء بنطلون البيجامة . إذا كان لا بد أن أغادر السفينة — قلت لنفسي — فخير بي أن أغادرها بكرامتي . سواء كنت سأموت وأقابل الله أو أعيش وأقابل الناس فلماذا لا أكون في الملابس اللائقة ؟ بالبنطلون والقانلة ذات الحمالات خرجت إلى سطح السفينة التي مالت على جنبها وأوشكت أن تغرق ، فوقفت لحظة أنظر إلى البحر الذي امتلأ بناس بعضهم يسبح وبعضهم يصرخ وبعضهم يغطس ويقب . لكنني لم ألق بنفسي بينهم ، طول صمري أحب الوحدة حتى عندما أغرق . لذلك قصدت إلى ناحية بعيدة عن الناس

واعتليت سور السفينة ، وناظرا إلى السماء حيث يسطع القمر أخذت شهيقا عميقا ثم ألقيت بنفسي في الماء . وهناك فقط تذكرت أمرا كان يجب أن أتذكره من قبل ، وهو أنني لأعرف السباحة .

لحظة من الفزع الأسود حين تذكرت هذه الحقيقة وأنا أرتطم بالماء ، ثم وأنا أغطس تحته توطئة لأن أقب ، وأغطس مرة ثانية وأقب ، طالما أنه ما هي إلا عدة غطسات مماثلة ثم أغطس لكيلا أقب أبدا .

الماء سوف يتسلل إلى صدري ويخنقني ، ثم يهبط بي إلى القاع الغامض الرهيب ، وسط آلاف من الأسماك والكابوريات التي تصفق فرحاً بهذه الوليمة الفاخرة .

خيالات مزعجة قطعاً ولكنها لم تنجح هي الأخرى في أن تفقدني صفاء ذهني . من ناحية تذكرت الاسم العلمي لهذه الميتة وهو الاسفكسيا ، ومن ناحية أخرى تذكرت المثل الذي يتحدث عن تعلق الفريق بالقشة فبدأت أضرب بذراعي هنا وهناك باحثاً عن القشة المذكورة .

عدة ضربات طائشة ثم وقعت يدي اليمنى على جسم غريب سرطان ما تشبث به تشبث الشعراة — إذا سمحت لي بهذا التشبيه — بجلد الحصان . ما هو هذا الجسم لم أعرف للوهلة الأولى ، لكنني عرفت

في الوهلة الثانية أنه نوع من القماش . وهو قماش ملتصق بالجسم بشري ، وبناء عليه فهو ثوب يرتديه صاحب ذلك الجسم . وهو فيما يبدو واسع مبهج ، إذن فهو إما جلابية على جسم رجل وإما فستان على جسم سيدة . وبما أنه ناعم كالحرير فأغلب الظن أنه فستان .

فبينما أنا أتخبط بين تلك الأفكار إذ أحسست يدا تمسك يدي وتحاول أن تنزعها عن الثوب ، لكن هي مين ؟ فلما يئست اليد من انتزاع يدي أحسست بها تهجم على رأسي ، تمسك شعري بقوة وتجذبني منه إلى أعلى . فبرزت على سطح الماء وأنا ألث وأسعل ، وصوت أنثى قرع أذني وهي تصرخ قائلة :

— امسك الخشبة ! امسك الخشبة !

خشبة كبيرة طافية بادرت إلى التعلق بها ، بجانب الأنثى التي كانت تتعلق بها قبلي ، والتي لا أدري من أين حصلت عليها .

— هايز تفرقتي معاك ؟ صرخت في غاضبة .

فأجبتها بموجة من السعال الذي به أطرده ما تسلل إلى صدري من الماء .

— أصلى ، قلت وسط شهقاتي ، معرفش أعوم .

— يا فرحتي !

واصطدمت قدمي بقدمها تحت الماء فأسرعت بإبعادها تحسباً مني ، إذ كنت دائماً جنتلمان . ورأيتهما ترفع يدها إلى شعرها الذي ألصقه الماء بعينيهما وكان شعراً ذهبياً ، أزاحته عن عينين واسعتين لمعتا في ضوء القمر بنور بين أزرق وأخضر . حسناء رائعة الحسن وأكاد أقسم أنني أعرفها . نعم أعرفها ، رأيتها في السفينة كثيراً بصحبة شاب طويل وسيم أسمر — آه ! أعرفتها . هي الممثلة السينمائية عزيزة فهمي الشهيرة بزازا .

— حضرتك ، سألتها مستوثقاً ، زازا ؟

— أيوه ياسيدي ، أجابتنى بنبرة ساخرة ، وسيادتك ؟

— أحمد عبد الغفار ، مهندس سفن .

— تشرفنا ، أجابت ساخرة ، لازم انت اللي بأبي السفينة دي !

فقهقهت ، طالما قرأت في الصحف عن ذكاء زازا وحبها للتريقة .

كذلك قرأت عن كثرة عشاقها من كل صنف ولون ، وحسدتهم

وتمنيت — طالما أنني أتمنى المستحيل — أن أجدني واحدا منهم .

وهاهو ذا الغرق لم يمنعها من شقاوة الكلام ، فترى هل لا يمنعها

أيضاً من سائر ضروب الشقاوة ؟ ؟

— أنا نسيت أقول لك متشكر .

— ياسيدي العفو . ده واجب علينا !

واعتمدت بذراعيها على الخشبة وأشرأبت إلى أعلى لتأخذ نفساً عميقاً ، وكانت ذراعاها العاريتان بلون اللبن الحليب . إذن لم أتشبث — حين تشبثت — بفستان وإما بقميص نوم .

— الحمد لله أن الدنيا صيف ، قالت زازا .

— والقمر طالع كان ، نهبتها .

قرص مستدير فضي ينظر إلينا بلا اكتراث ، أناس يفرقون في البحر — يقول لنفسه — مالي أنا ؟

— عارفه إحنا حاملين زي إيه فلم تجب سألتها .

فلم تجب .

فأجبت نفسي .

— زي نملتين بيفرقوا في كباية مية .

— دي مفروض أنها نكتة ؟

— لأ ، دي فلسفة .

— طب خلى فلسفتك لروحك ، واضرب برجليك علشان الخشبة تمشى .

— انتى عندك فكرة الخشبة دي رايحه على فين ؟

— بايخة !

فقهرت ثانياً وأحسست أنى سعيد .

— أنا مبسوط منك جداً ، أخطرتها ، لأنك موش خايفه .

— انت خايف ؟

— أبدأ ، أنا حاسس إني السندباد البحرى رايح مغامرة عجيبة .

وعلى فكرة أنا سعيد جداً بأنى غرقت معاكى اتى .

فلم تجب . وسمعت صوت اصطكاك أسنانها ، مسكينة بدأت تبرد .

— تسمى لى ؟ قلت لها وأنا أحيط كتفها بذراعى .

حاولت أن تتخلص لكننى تشبثت بها .

— ده إجراء طبي محض ، شرحت لها مطمئناً .

وتوخيت فعلاً أن تكون ضمتى لها ضمة طبية ، حضن رسمى

لا يرمى إلى شىء سوى توزيع الحرارة بيننا بما يكفل لها الدفء

وفقاً للقانون الثانى للديناميكا الحرارية . لم أسمح لها بأن تشعر

بالثورة التى بدأت تزجر فى أوصافى وقد أحاط ذراعى بذلك الكيان

الرائع . شفتاى قريبتان من خدها لكننى لن أحاول تقبيلها ،

جنتلمان مثلى يستغل أنثى فارقة ؟

ومن عنقها الفاتن كان ينبعث عطر مسكر لم تفلح مياه البحر

فى إزالته .

— شانيل ؟ سألتها .

— أريبيج ، أجايتنى .

وسرني أنها تبتم ، وناظر إلى بروفيلها الفاخر أدركت أنني واقع في حبال لا محالة — إن لم أكن قد وقعت فعلا . لحظات من السعادة الغامرة وأنا أنهل من عطرها وأنظر إلى القمر الفضى الذى بدأ ينحدر بسرعة نحو الأفق ، في حين بدأ يشيع في السماء نور آخر هو نور الفجر المقرب .

— دفيت ، قالت وهي تتخلص من ذراعى .

— بسرعة كده ؟ سألتها لأتما

فلم تجب ، ولا أدري لماذا اتجه ذهني إلى الشاب الأسمر الذى كان يصاحبها في السفينة .

— مين الجدع اللي كان معاكى فى المركب ده ؟

— وده يهملك فى إيه ؟ سألتنى فى برود .

— مجرد فضول ، هو سر ؟

— ح يكون مين ؟ واحد .

— مالوش اسم ؟

— اسمه توتو ! قالت ضاحكة .

— توتو ؟ !

— سامع ؟ ! هتفت فجأة .

— سامع إيه ؟

— سمعت صوت طائر !

فأنصت وفعلا سمعت صرخت طائر رفرف بالقرب منا .

— نبتى قريبين م الأرض ، هتفت فرحة ، دايماً أشوف كده فى الأفلام !

ورحت أتلفت حولى باحثاً عن الأرض ، لكننى لم أر شيئاً فى ضوء الفجر الذى مازال شاحباً . كل شيء صامت حولنا ، أصمت بجر عاينته فى حياتى . وكان القمر قد انحدرو إلى الأفق وخاص نصفه فى الماء ، شاحباً يغرق فى البحر مثلنا .

— يارب ! قالت زازاً فى ابتهاج ، يارب !

دقائق من اللهفة اللاهثة ثم بدأ النور ينتشر فى السماء ويكسوها بلون أبيض جليل ، فالتفتنا خلفنا جهة الشرق ننتظر شروق الشمس . قوس صغير أحمر بلون الدم برز عند الأفق ، مثل شفة مخضبة بالروج لا مرأة أسطورية . ثم صار القوس نصف كرة أحمر ، ثم كرة كبيرة حمراء ، بالون خرافى رائع ، بطيخة هائلة نزع عنها قشرها . لا عجب أن القدماء عبدوها ، الشمس الخالدة التى تهيم النور والدفء . وعدنا نتلفت حولنا فسرعان ما هتفنا معا فى فرح وحشى : أرض ! أرض قريبة لا يفصلنا عنها إلا دقائق من السباحة



السريعة ، فما أسرع ما كنا نضرب الماء بأرجلنا المغمومة . دقائق  
من الكفاح ومن اللهفة المجنونة ثم ملمس الأرض تحت أقدامنا  
العارية ، أجل ملمس في الدنيا لو كنت تدري ما هو الفرق . عليها  
تواثبنا وسط المياه الضحلة كأننا نرقص ، فلما صار الماء بارتفاع  
الركبة بدأنا نتمثر فيه ونترنح توطئة لأن نرتمي على الأرض  
ونحن نلهث ونلهث . أصابعي العشرة غرستها في الرمال  
الرطبة الناعمة ، كبشتها وعصرتها في شوق أليم . الأرض العزيزة ،  
أمننا الأرض .

وزازاً أراحت خدها على الرمال وهي تلهث ، شيئاً فشيئاً  
أخذت أنفاسها تهدياً . عيناها التقت بعيني في نظرة طويلة صامتة ،  
نظرة التفاهم العميق بين اثنين ذاقا سويا طعم الموت والحياة . ودفء  
جميل نحسه في جسمينا تحت أشعة الشمس التي تتسلق السماء من  
خلفنا . إذا كانت الأرض أمننا فالشمس أبونا ، بأشعتها فوق البنفسجية  
غرست بذرتنا في أمننا الأرض .

— موش غريبة ، سألت صاحبتى ، إن الشمس مؤنثة  
في اللغة العربية ؟

فتقلصت زاوية فمها اليسرى ، راحت تمحلق في حيننا ثم تصعبت ،  
مجنون يحدثها في هذا الظرف عن فقه اللغة ؟

ثم رأيت تباشير النوم في عينيها ، ذبلت أجنافها وتقاربت ، وإلى  
هذه اللحظة لم أعرف هل ها — عيناها — زرقاوان أم خضراوان .  
فمددت يدي برفق وجذبت بها يدها المودعة على الرمال ، أدنيتها  
من شفتي وقبلتها في حنان وامتنان . وأجنافى أنا الآخر ثقلت  
وانطبقت ، ما هي إلا لحظة حتى راح كلانا في سبات عميق .



وردى اللون ، قيص زازا الذى لابد أنها نشرته هناك لكي يجف ،  
فأين هي بدونه ؟

— زازا ، ناديت مستطعماً .

— خليك عندك ! أتانى صوتها من وراء جذع الشجرة مخذرا ،  
إروع تيجى هنا ! أنا بانشف هدومى .

لحدثنى النفس الشقية — مع ضربة قلب جامحة — بأن أنهض  
لأفاجئها لـكننى قلت لنفسى عيب ياواد .

— كويس انك صحيت ، قال لى صوتها ، غشان تمسك لى المرآية !  
ومن فوق جذع الشجرة بوز رأس زازا دون سائر جسمها ،  
وكان فى يدها مشط تسرح به شعرها الذى كان بلون الذهب .

— ماتيجى !

فنهضت وقصدت إلى جذع الشجرة ، نظرت عبره إلى عينيها  
فاكتشفت أنهما لاخضراوان ولا زرقاوان . مزيج نادر من اللونين ،  
كأننى أنظر فى بحيرة عميقة صافية . وأنف سوى مدبب كأننا  
نحت من العاج ، وشفقتان ورديتان دسجتان طوبى لمن التقت  
بهما شفقتاه .

ومن وراء الجذع مدت بالمرآة الصغيرة ذراعا بيضاء عارية ،  
فتناولتها وثبتها على الجذع أمام عينيها . وهنا تنبته إلى أن هناك  
شيئاً غريباً .

## الفصل الثانى



ولا أدري كم من الزمن نمت ، ساعتين بالراحة بدليل  
الشمس التى ارتفعت فى السماء ، شمس الضحى الشابة  
الساطعة . شمس ساخنة لكنها لذيذة ، ونسمة لطيفة تهب من البحر  
الصامت . . أين زازا ؟

تلقت يميناً وشمالاً فرأيت شاطئاً رملياً يمتد قليلاً ثم ينمطف  
ويستدير كأننى جالس على رأس جزيرة . ثم نظرت ورأى فرأيت  
جذعا هائلا لشجرة مقطوعة وراقدة على الأرض ، كتلة ضخمة  
من الخشب نزعت عنها كافة العصون والأوراق ، وبجانب الجذع على  
الرمال أداة صخرية مسننة تشبه المنشار ، وفوقه طرفه قيص حرى

فلم تجب من فورها ، مشغولة بلحس شفتها السفلى .  
 — آه ، قالت أخيراً ، ما فيهاش مخلوق غيرنا .  
 — يا خبر اسود ا  
 — اسود ليه ؟  
 — قصدي أبيض ، غلظت في اللون . وحدنا خالص ؟  
 — إحنا وشوية ميتين ا  
 — ميتين ا ؟  
 — آه ، ميتين من زمان قوى . ما فيش غير عضهم ويظهر  
 كان فيهم واحدة ست .  
 — وعرفتي منين انها ست ؟  
 — لقيت غويشتها ، حتى آهه ا  
 ولوحت لي بساعدها الأيسر الذي تحيط به غويشة بيضاء  
 من العاج .  
 — تلبسى غويشة واحدة ميتة ؟ ا  
 — بأقول لك ميتة من زمان قوى ، وماتهمزش المراية كده ا  
 فتصعبت ولم أدر ماذا أقول لهذه الأنثى اللامعقولة . وسرح  
 بصرى عنها إلى الجزيرة حولنا ، كانت فعلاً لا يمكن أن تزيد عن  
 فدان . رقعة أرض مستديرة يحيط بها البحر من كل الجهات ،  
 لا أثر للحياة فيها إلا شجرة بعيدة وكوخ من الخشب .

— جيتي المراية دى منين ؟ ا سألتها في دهشة .  
 — مرايتي ا قالت ببساطة .  
 — والمشط ؟  
 — مشطى ا  
 — جايباهم معاكى م المركب ؟  
 — طبعاً ا أنا مجنونة انط في البحر من غير مراية ومشط ا  
 وتركت المشط لكي ترشق في شعرها بنسة ، وابتسمت فارتسمت  
 على خدها غمازتان رائعتان .  
 — وبنس كان ؟ ا سألتها .  
 — وقلم روج ا  
 — وازاي ماغرقوش ؟  
 — جايباهم في كيس نايلون ا  
 — والله عال ، ما كنتي تجيبي التسريحه نفسها ا  
 — ماتهمزش المراية ا  
 وانتهت من تسريح شعرها فأنخفضت وراء الشجرة واختفت ،  
 ثم ارتفعت وفي يدها قلم الروج الذي راحت تطلي به شفتيها .  
 — تصور أن الجزيرة دى كلها ماتهمزش فدان ؟ قالت زازا .  
 — جزيرة ؟ ا إحنا في جزيرة ؟

— رحتي العشه دي ؟

— آه ، فاضية .

وكانت قد أنمت زينتها فسحبت قميصها واختفت به وراء جذع الشجرة ، ذراعاها ارتفعتا وهي تدخلهما في القميص . ثم نهضت ودارت حول جذع الشجرة ، برزت أمامي في القميص الوردي الشفاف ، باسمة تسير على مهل وقد عقدت يديها وراء ظهرها ، منظر كان محتوما أن يبدو أثره على وجهي .

— ما لك فاتح بقلك كده ؟! سألتني بنجبت .

فأقفلت المذكور وأنا أبتلع ريتي .

— ممكن أعرف ، سألتها ، كنتي خايفه أشوفك من غير القميص ده ليه ؟!

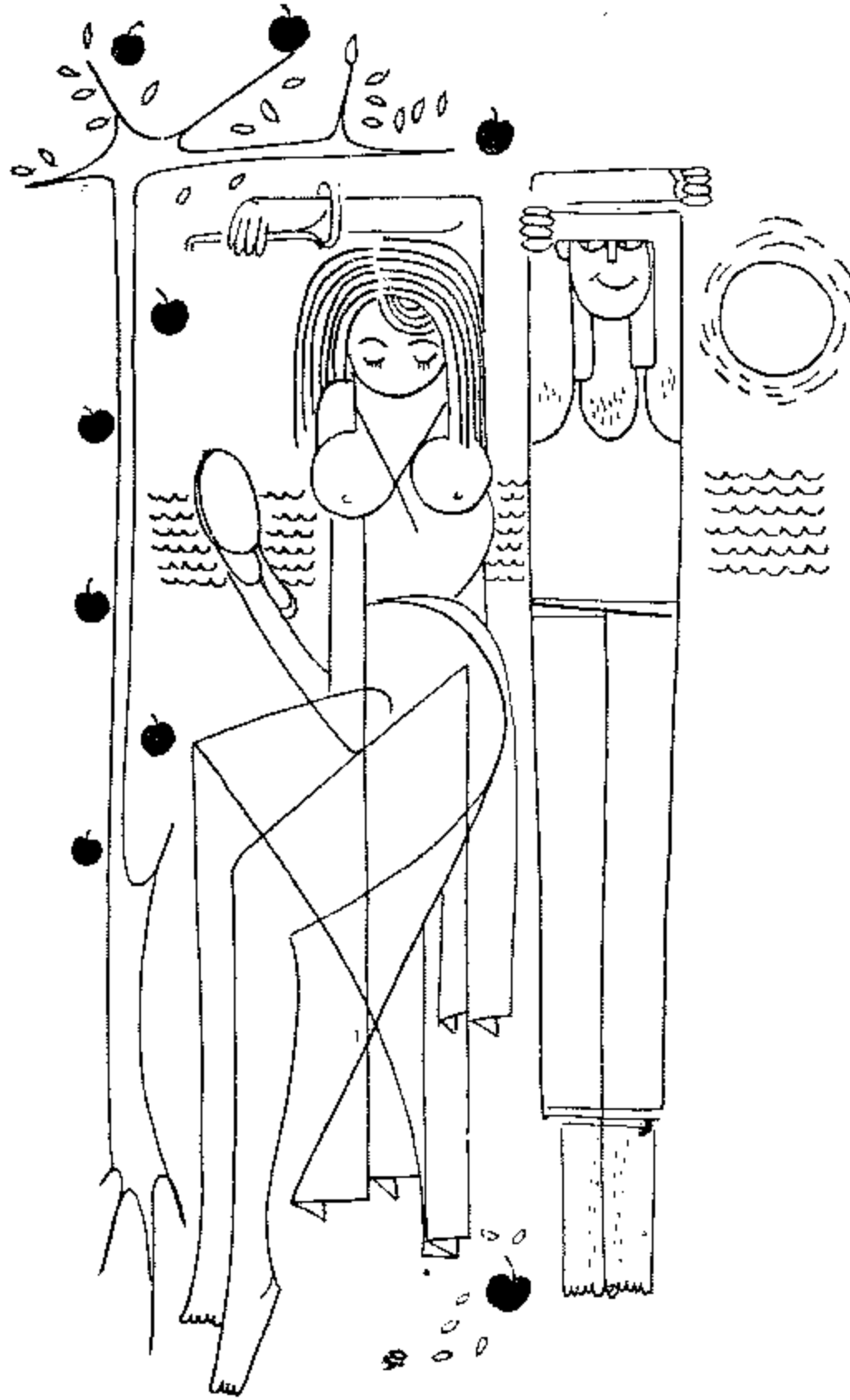
فضحكت وسوت بيدها شعرها ، ومن يدها الأخرى تدلى كيس النايلون الذي يحتوي على أدوات الزينة .

— تعالى بقى اما افرجك على الميتين ا قالت بمرح .

وسارت فسرت وراءها متعثرا في نبضات قلبي ، أمامي فيما يبدو مستقبل رائع إلى درجة أنه رهيب .

— ألد تفاح عمري دفته ، قالت وهي تشير إلى الشجرة .

كتلة رائحة من الخضرة المزينة ببقع التفاح الأحمر ، كأنها شجرة الكريسماس . والشجرة بجانب الكوخ الخشبي الذي كان



بابه مفتوحا ، من خلاله رأيت ما يشبه سريرا واطئا من الخشب ،  
وبعض الأوعية المنحوتة من الخشب . وبالقرب من الكوخ عين  
مياه ، وبجوارها تلك الجرة التي حدثتك عنها من قبل .

— دى مية حلوة ؟ سألتها .

— زى العسل !

— غريبة ان جزيرة صغيرة كده فيها مية حلوة .

— ليه ؟

— وغريبه كان ان التفاح يطرح فى الصيف .

— إنت كل حاجة عندك غريبة ؟ يمكن تفاح صينى !

ودرنا حول الكوخ ورأيت العظام التى تحدثت عنها زازا ،  
وأبرز ما فيها جمجمة كبيرة مقلوبة على وجهها . وحوها تنتشر  
تشكيلة غريبة من العظام ، عظمة ساق طويلة وأخرى قصيرة، وجزء  
من قفص صدرى ، وعظمتان قد تكونان من الذراع ، وعدد من  
الأصابع . عسير على الإنسان أن يحاول تركيبها فى شخص واحد ،  
فلا بد أنه كان يوجد فى هذه الجزيرة أكثر من شخص ماتوا  
وتبعثرت على مر الزمان عظامهم .

— نفسى أعدل الجمجمة المقلوبة دى ا قالت زازا فى إشفاق .

— ليه بقى ؟

— موش عجباى مناخيرها اللى فى الرمل !

— هى الجمجمة ح تنفس ؟

وانحنى زازا ومدت إلى الجمجمة يداً مترددة ، ثم قلبتها بسرعة  
لكى تواجهنا بابتسامة الموت الرهيبة ، ومكان العينين فجوتان  
تنبعث منهما رائحة الفناء .

— يا ساتر يا رب ! أعوذ بالله ! قلت أنا .

— والنبي دمها خفيف ! قالت زازا ، ياترى كان راجل ولا ست ؟

— وإيه أهميتها بعد الموت ؟ هو الموت فيه ذكر وبتاية ؟

— غالباً كان راجل ، جمجمة كبيرة قوى .

— طيب يا لله بينا من هنا ، أنا بدنى قشمر !

وابتعدنا وهى تضحك من فرعى ، وقصدت زازا إلى شجرة

التفاح فشبت على قدميها وقطفت تفاحتين .

— اشقط ! قالت وقذفت إلى بواحدة .

— عمرى ماشفت شجرة تفاح واطية كده ، قلت لها

وأنا آكل .

وكانت تفاحة كالشهد ، أكلتها وأنا أتلفت حولى إلى البحر

العريض الصامت الذى يحاصر الجزيرة من كل جهة . لا أثر للأرض

فى أى مكان ، أفق واحد مستدير يحيط بنا إحاطة السوار

بمعصم زازا .

— إياك تفوت مركب وتشوفنا ، قلت راجيا .

— إيه ، السنديباد زهق قوام ؟ دا حنا ما بقالناش ساعتين .

فتذكرت ساعتى ونظرت إليها فحقق قلبى . شىء غريب يجرى

فى ساعتى ، شىء غريب جداً . عقرب الثوانى يجرى على الميناء بسرعة

فذة كأنه مكوك لا عقرب ، وعقرب الدقائق يلاحقه بالسرعة التى كان

يجب أن يسير بها عقرب الثوانى ، وعقرب الساعات قفز تحت بصرى

خفاة من الساعة الرابعة إلى الخامسة ! فلما رفعتها إلى أذنى سمعتها

تنزاً أكثر منها تدق .

— زازا ! هتفت فى ذهول ، ساعتى اتجنت !

ووضعت الساعة أمام عينيها ، تفحصتها لحظة ، ثم هزت كتفها .

— لازم المية خسرتها ، قالت باستخفاف .

— وما وقفناش ليه ؟

فقلبت شفها السفلى وهزت كتفها من جديد .

— معقول تكون الساعة خمسة ؟ سألتها .

— يا أخى خسرت ، أجابت فى ملل .

— معاكى ساعة ؟

— أعمل بها ايه ؟ تسمع تناولنى تفاحة ؟

فنهضت ومددت يدي إلى تفاحة كبيرة حمراء تتدلى من الغصن

نفسه مع تفاحة صغيرة خضراء .

— بقي لك أد إليه ما حلقتهش دقنك؟ سألتني زازا وهي تمضغ .  
— دقني؟

— آه ، طوييلة قوى .

فرفعت يدي لأتمسح لحيتي ، ولشد ما كانت دهشتي عندما  
لمست تلك الغابة الكثيفة من الشعر .

— موش معقول ! دنا لسه حلقها امبارح !

— امبارح؟ دي بتاعة جمعة على الأقل . شوف؟

وناولتني المرأة التي نظرت فيها فهالني ما رأيت ، اللحية النامية  
والشعر الطويل المنكوش والمنظر الذي يسم البدن .

— الحقييني بالمشط !

فناولتني إياه ورحت أعمله في شعري وأنا أعجب كيف طال بهذه  
السرعة المذهلة .

— وضوافرك كمان عايزة تتقص ، قالت زازا ، إنت مهمل  
في روحك قوى .

فنظرت إلى أظافري ، وهالني أن أجدها هي الأخرى  
أشبه بالمخالب .

— والله لسه قاصصها من يومين اهتفت في ارتباك .

— طب ناولني كان تفاحة .

فنهضت لأقطف التفاحة لكنني لم أقطفها ، ووقفت أنظر  
إلى الشجرة في ذهول .

— الشجرة دي رخره مجنونه !

— بتخرف تقول ايه؟

— تصوري ان التفاحة اللي كانت صغيرة وخضرة بقت  
كبيرة وحمرة؟ !

وحكيت لها الحكاية فهزت كتفها .

— لازم شفت تفاحة تانية .

— أبدا والله ، هي بعينها .

— طب بلاش دوشة وناولها لي .

فناولتها إياها ، راحت تأكل منها وهي ترمقني في استنكار .

— إنت دائماً كده؟

— دائماً إيه؟

— دائماً تاغب نفسك؟ تشوف حاجات غريبة وتقول كلام

غريب؟ حتى في البحر تقول لي ان الشمس أبصر إيه مؤنثة؟ انت إيه!

وابتسمت أجمل ابتسامة بين أجمل غمازتين ، فأدركت فجأة

أنني مجنون حقاً حتى أضيع الوقت في الكلام الفارغ . وتناولت زازا

الجرة الشبيهة بالقلعة ، رفعتها لتشرب منها وخيوط الماء تسيل على

عنقها الأبيض وتسلل إلى صدرها . منذ حين — حيث نمنا على

الرمال — تناولت يدها وقبلتها فلم تعترض ، يجب فعلاً أن أكف  
عن ملاحظاتي وأفكاري الغريبة .

— عارفة إحننا عاملين زى إيه ؟ سألتها .

— إيه ؟

— زى اتنين فى صورة كاريكاتير . . المركب اللي غرقت ،  
والجزيرة الصغيرة فى وسط البحر ، وولد وبنت وخدم . . .

فابتسمت زازا ورفعت يدها لتمسح الماء عن عنقها ، ثم أسندت  
ظهرها إلى جذع الشجرة وراحت تنظر إلى طويلا ، مازالت تبتسم .  
متكئة براحتيها على الرمال ، رأسها مال على كتفها وهى تنظر  
إلى وتبتسم ، عيناها بحيرتان صافيتان فيهما نظرة نداء .

فركمت بجانبها خافق القلب ، أدنيت وجهي من وجهها وملأت  
صدرى من عبيرها .

— قلتي شانيل ؟ سألتها هامسا .

— قلت اربيج ، أجابتنى باسمه .

فطبعت قبلة صغيرة على شعرها لم تعترض . فددت يداً مرتعدة  
ألمس بها كتفها العاجية ، ويداً ثانية إلى الكتف الأخرى ، هممت  
بأن أضمها إلى صدرى . لكننى لم أفعل . كيف أفعل وقد وقع  
بصرى فجأة على ذلك المنظر الغريب ، منظر الرأس البشرية التي  
أطلت فى حذر من وراء الكوخ القريب متلصصة علينا ؟

### الفصل الثالث



الفرع للوهلة الأولى أنه عفريت يسكن الجزيرة ،  
أو أنه صاحب الجمجمة وقد دبت فيه الحياة فجأة ، ثم  
اتضح لى أنه لا هذا ولا ذلك . إذ برز من وراء الكوخ فعرفت  
فيه الشاب الأسمر الذى كان مصاحباً لزازا على السفينة ، توتو إذا  
ارتضينا هذا الاسم ، الشاب طويل عريض برزى اللون ، مفتول  
العضل فى رشاقة تؤهله لبطولة كمال الأجسام . وجهه وسيم وشعره  
أسود فاحم ، والماء يقطر من جسمه بما يدل على أنه قد خرج لتوه  
من البحر . لباسه الوحيد مايوه عادى أسود ، فهل كان ينام بالمايوه  
ساعة غرق السفينة ، أم تراه قد ارتداه لزوم سباحة المسافات الطويلة  
ليجمع بين الفرق والرياضة ؟ لاشك أنه وغد إذ اختار هذه اللحظة



ليطلع لي من البحر ، أنا الذي كنت على وشك أن أطبع قبلي الأولى  
على خذ زازا . فلعلك تعذرني إذا أحسست بالبغض الشديد له ،  
وأسفت من أعماقي على أنني لا أمالك مسدسا أقتله به

لكن شعور زازا كان مختلفاً عن شعوري ، ما كادت تلتفت  
وتراه حتى نهضت كالجنونة تجري نحوه .

— توتو ! هتفت في فرح ، توتو ! توتو !

وألقت ذراعيها حول عنقه وتعلقت به تقبله .

— أنا افكرتك فرقت يا توتو ، سلامتك يا حبيبي !

فراح يطبطب على ظهرها مطمئناً إياها على سلامته ، ومن فوق  
كتفها انفغر فمه عن ابتسامة عريضة لمعت خلالها أسنان قوية بيضاء .

— تازازا ! تازازا ! تازازا !

هذا كل ما علق به على ترحيبها به ، بصوت تينور عميق يوحى

بالثقة بالنفس .

— إنت لسه طالع م البحر دلوقت ؟ سألته .

— تازازا ! أجابها .

— لازم تعبان قوي يا مسكين .

— تازازا !

— ماتقعد تروح ؟

— تازازا !

أهذه هي الكلمة الوحيدة التي يعرفها ذلك الوغد ؟

— تعال أما اعرفكو ببعض ، قالت له زازا .

وجذبتة نحوي وأقبل يصاخني ، دقيقة كاملة وهو يعصر يدي

يكاد يفمصها ، ويهز ذراعي يكاد يخلعها ، ويبتسم طبعاً .

— هو ما بيعرفش يتكلم ؟ سألت زازا .

— بيعرف طبعاً ، بس لغة معرفهاش .

— هو جنسيته إيه ؟

— ما قالديش ، وأنا يهمني إيه من جنسيته ؟

وطبطبت على صدره فقال تازازا ، كأنه عروسة من عرائس

الأطفال التي تضغط عليها فتقول ماما .

— جربتي تكلميه انجليزي ؟ سألتها .

— وفرساوي ، مافيش فائدة .

— إمال عرفتي منين أن اسمه توتو ؟

— أنا اللي هميته كده !

— يعني مابتتكلموش خالص ؟

— وتكلم لي ؟

— بتحببه كتيبي ؟

— لو تعرفه زي كنت تلاقى مفيش لزوم للكلام ا أجيب لك تفاحه ياتوتو ؟

ومدت يدها إلى الشجرة فقطفت له تفاحة لم تأخذ منه -والله- سوى قضمه واحدة . وفي دقيقة لاغير كان قد التهم سبع تفاحات دون أن يبصق منها بذرة . ثم رأى الجرة فرفعها إلى فمه وراح يجرع لم يتركها إلا خالية . ثم تكرع ومد يده ليقطف التفاحة الثامنة .

— يا عيني ، قالت زازا ، ده جعان بشكل ا

— بالسم إن شاء الله ا قلت أنا .

وبينما هو يرفع يده نحو التفاحة التاسعة لاحظت للمرة الأولى أن في معصمه ساعة فسرعان ما كنت أقرب منه .

— قولى له يوريني ساعته ، قلت لزازا .

— هات إيدك ياتوتو .

— زازا ا

وناولتني معصمه لكي أنظر في ساعته ، ويبدو أنها كانت هي الأخرى ووتر بروف ولذلك لم تتوقف ، لكنها كانت تدور بنفس سرعة ساعتي . عقرب الثواني يجرى بسرعة كالمكوك ، وعقرب الدقائق يلهث وراءه لكي يلاحقه .

— شايفة ساعته ؟ هي كان اتجنت ا

فنظرت إليها ولم تزد على أن هزت كتفها كما فعلت من قبل .

— خسرت زي ساعتك ، قالت في استخفاف .

— وفيه حاجة تانية غريبة ، ساعته مضبوطة على ساعتي ،

الانين ستة ونص وخمسة . بص كده ياسى توتو ؟

وأدريت الساعة من عينيه فراح يحملق إليها حيناً في بلاهة

ثم ابتسم .

— زازا ا قال توتو .

— موش شايف فيها حاجة غريبة ؟ سألته في غيظ .

فنظر إلى زازا احثراً .

— ماتاخدش بالك منه ، قالت له زازا ، أصله تعبان شوية .

تيجي أفرجك على الجزيرة ؟

وجذبتة من ذراعه فلم ينجذب ، بل جلس على الأرض ودحاها

إلى الجلوس بجانبه فجلست ، ذراعه امتدت وأحاطت بكتفها فلم

تعترض ، بل مدت بوزها — السافلة — إلى خده الأصغر وقبلته .

— إيه قلة الحيا دي ؟ ا صرخت فيها نائراً .

— شيء بارد ا أجابتنى وهي تنظر إلى من فوق لتحت ،

إنت مالك ؟

— يعني إيه أنا مالي؟

— انت جوزي؟ أبويا؟ لك حقوق على؟

— لا، أجبتهافي كبرياء، بس من شوية كنت أنا اللي بابوسك ا  
فلم تجبني، وابتسمت له وقبلته ثانياً. فعملك تعذرني إذا بدأت  
أغلي من جديد، كل خلية في جسمي تهيب بي أن أجهم عليه وألقي  
به إلى البحر الذي طلع منه، لكنني كنت دائماً حكيمًا. نظرت  
إلى طوله وعرضه وعضلاته وأدركت أن إلهجوم على نور كهذا  
لا يخرج عن كونه عملية انتحارية محضة.

ويبدو أن الوغد قرأ خواطري، إذ فتح جيباً في المايوه  
وأخرج منه خنجرًا لامعاً من النحاس الأصفر، بسط راحة يده  
وراح يسنه عليها وهو يرمقني بابتسامة صفراء. خنجر جميل مزين  
بالنقوش، حلية تصلح للمتاحف لكنها تصلح للقتل أيضاً.  
فاكتفيت — أنا الحكيم — بأن نظرت إليه في ازدراء ثم أوليته  
ظهري وواجهت البحر.

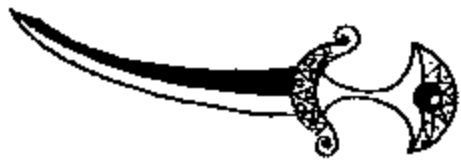
— قوم أفرجك ع الجزيرة قوم، أتاني صوت زازا.

يبدو أنها قد خشيت وقوع الصدام بيننا فأثرت أن تسحبه  
من هنا، ترى هل خافت على؟ والتفت لأراها ينهضان ويتعدان  
وهي تتأبط ذراعه، تابعتها بنظرة تقطر مرارة وحسداً. ضاعت

مني زازا، اللقمة الطرية اللذيذة خطفها الوغد من فمي خطفًا.

حزينًا جريماً جلست تحت شجرة التفاح، لكن الحزن  
— مثل الخوف والغضب — لم يكن من شأنه قط أن يفقدني  
صفاء ذهني. رفعت بصري إلى الشجرة وقلت لنفسي يجب أن  
اكتشف سرها. سوف أثبت عيني على هذه التفاحة الصغيرة  
الخضراء، ولا أرفعها عنها حتى أستوثق من أنها لن تتحول — كما  
خيل إلى من قبل — إلى تفاحة كبيرة حمراء.

فاستلقيت على ظهري فاقدًا يدي تحت رأسي، وورحت أرقب  
التفاحة. هي مازالت صغيرة خضراء لم يطرأ عليها تغيير، لكن  
شيئاً طرأ على أنا. وجدتني أتناوب وقد حل بي تعب مفاجيء،  
وجفوني ثقلت وبدا من أمري أنني سأنام. أليس غريباً أن يدهمني  
النوم وأنا الذي صحوت من ساعتين على الأكثر؟ بصعوبة شديدة  
نزعت يدي من تحت رأسي ومددتها إلى التفاحة، بظفري أحدثت  
بها شقاً صغيراً أعلمها به، ثم ثنأبت واستسلمت للنوم.



— البركة ف توتو ! قالت في فخر .

— تاززا ! قال المذكور .

— هو اللي اصطاده ؟

— وهو اللي ولع النار ربنا يخليه !

وشرحت لي كيف وقف في البحر ساعة يصيد بخنجره هذا السمك ، ثم انزع قطعة من جذع الشجرة المقطوع وراح يحكمها بالخنجر حتى اشتعلت ، ثم جلس ليعد هذه الوليمة الفاخرة .

— كل ده وحضرتك نايم تشخر ! اختتمت كلامها ساخرة .

فزغرت لها ولم أجب ، في حين جلست هي رافعة مرآتها الصغيرة أمام وجهها .

— ده كل اللي عمله وأنا نايم ؟ سألتها في ريبة .

— اللاه ! هتفت متجاهلة ، ريحة السمك حلوة بشكل !

وكانت رائحته شبيهة حقاً ، ترى هل يجود اللعين على بسمة ؟

— باقول لك الراجل ده كله فوايد ، قالت زازا ، مش كده ياتوتو ؟

— تاززا ! أجابها باسماً .

— نا كل سمك ونحلي بتفاح ، أضافت ، فيه حاجة ألد من كده ؟

وذكرت التفاحة التي علمتها فرفعت بصري إليها ، وما توقعت

أن أراه رأيتة . التفاحة الصغيرة الخضراء قد تحولت خلال نومي

## الفصل الرابع



وفي أنفي رائحة نار ودخان وشيء يشوي ، ومن خلال عين نعسانة رأيت كومة من الأخشاب المشتعلة وفوقها عدد من الأسماك التي يقبلها توتو بسن خنجره اللامع . فلما أحس بنظراتي إليه بادلني إياها وهو — عليه اللعنة — يبتسم . جلست أتلفت حولي وأنظر إلى الشمس التي مالت إلى الأفق الغربي ، نمت إذن قرابة ساعتين . وبالنظر إلى ساعة يدي وجدتها ما برحت تدور كالجنونة ، وقفز عقرب الساعات فجأة ليسجل الساعة الثانية عشرة ! جذبني صوت زازا وهي مقبلة من ناحية البئر بالجرة التي ملأتها ، تهتز في يدها وهي تسير فتساقط قطرات الماء على الرمال .

— السمك ده مينين ؟ سألتها مستفسراً .

إلى تفاحة كبيرة حمراء ، وعلى قشرتها نفس الشق الذي أحدثته  
بظفري . وبالتداعي نظرت إلى أظفري فتأكدت أنها طالت  
بدرجة مذهلة .

— تسمى لي بالمرآة ؟

فناولتني إياها ورفعتها أمام وجهي فكدت أصعق . لحيتي  
غابة كثيفة ، وشعري مهطل كأنني لم أحلقه منذ شهور ، وفيه نسبة  
من الشيب لا أذكر أنها كانت هناك من قبل ، أكاد أقسم وأنا أتأمل  
وجهي أنني قد كبرت سنتين .

— خدي ! قلت لها وأنا أعطيها المرآة ، إوعى تخليني ابص

فيها تاني !

ونظرت إلى توتو فلاحظت أمراً فائني ، لحيته هو الآخر قد نمت  
مع أنه لم يكن فيها حين برز من البحر شعرة واحدة . كانت  
الساعتان كافتين لكي تطول لحيته ، كما وقع لي في أول ساعتين  
لي في الجزيرة .

— زازا ، قلت لها يائساً ، الجزيرة دي مسحورة !

— والله ؟ سألتني في سخرية .

— والله مسحورة ! بصي لدقني وشعري وضوافري ، وبصي

لدقنه وشعره وضوافره .

فقلقت النظر بيننا حيناً ثم هزت كتفها .

— كل الدقون وكل الشعور وكل الضوافر دائماً تطول .

— بالسرعة دي ؟

فقلبت شفتها في غير احتفال .

— طب والتفاحة دي ؟

وحكيت لها حكاية التفاحة التي علمتها فلم تثرها بدورها .

— لازم علمت تفاحه كبيرة وانت مش واخذ بالك .

فيئست من إقناعها ، ونظرت إلى ساعتى لكي أرى عقرب

السااط وهو يقفز من الثانية عشرة إلى الواحدة .

— يا حلاوة ! هتفت زازا ، السمك استوى .

وتركت المرآة وخفت إلى السمك الذي بدأ توتو يخرس فيه سن

الخنجر ليرفعه من على النار ، ويودعه على فرشة من ورق الشجر

كان قد أعدها لذلك . فددت زازا يدها إلى السمك ثم جذبتها سريعاً

وهي تطرقع أصابعها متأوهة ، في حين أطبق الوغد على أكبر

الأسماك وراح يمزقها بسهولة كأنها خارجة من الثلجة .

— ماتيجي تاكل ، قالت زازا ، مستنى عزومة ؟

فهزرت رأسي ناظراً إليها في كبرياء .

— موش أنا اللي أبيع كرامتي بأكلة سمك ،

— إنت حر ، توفر .

لكن توتو لم يفهم المسألة على أنها كرامة ، إذ رأته ينتقى سمكة كبيرة ويضعها وحدها في ناحية ، مشيراً إليها وإلى بما معناه إنها سمكتي آكلها حين أجوع ، فأصارحك القول بأنها كانت لفتة جعلتني أبدأ في مراجعة مشاعري نحوه . هو عمل واجتهد وتعب وأنا نائم ، فإذا يجبره الآن على أن يختصني بهذه السمكة الكبيرة ؟ فرحت أرقبه وهو يلتهم السمك وخيل إلى أنني لم أعد أبغضه ، بل خيلي إلى مدى لحظة أنني قد بدأت أميل إليه . ما ذنبه إذا كان قد عرف زازا قبل أن أعرفها أنا ؟

— أما سمك ! هتفت زازا وهي تمضغ .

لكنني لن آكل سمكتي الآن ، سأنتظر حتى أنفرد ثم آكلها . دقائق قليلة وكان توتو قد أتى على السمكة الثانية فنهض وقصد البحر لينسل يديه ، ثم قصد إلى شجرة التفاح وبدأ يقطف وينهش . عسى أن تكون هذه الشجرة مطابقة لفكرتي عنها في سرعة النماء وإلا فما هو إلا يوم آخر ونجد أنفسنا بلا تفاح ، ويصبح اعتمادنا كاملاً على السمك الذي يصطاده هو . فلما رأني أراقبه تبسم ثم تجشأ ، ثم جلس على الأرض مسنداً ظهره إلى جذع الشجرة . ثم انفرد فيه كالكهف وهو يتشاءب ، ورأيت عينيه حمراوين خلال جفونه التي

بدأت تثقل ، في حين مال رأسه على صدره مرتين . ثم مال هو نفسه على جنبه واستلقى على الأرض ، ورأته يمد يده إلى جيبه ليتحسس الخنجر ، توطئة لأن ينقلب على الجانب الآخر ليجعل الخنجر محصوراً بينه وبين الأرض ، مازال الخبيث يشك في نواياي . وما هي إلا لحظة حتى رددت شخيرته أرجاء الجزيرة ، فلن يكون عجيباً لو أنه لفت إلينا أسمع سفينة عابرة .

— انت ح تاكل سمكتك ولا أكلها أنا ؟ سألتني زازا منذرة .

— لا يا شيخخة ! والنبي ؟

وهجمت على السمكة أنهشها لهما وجلداً وتقريباً شوكا .

— إمال كرامتك راحت فين ؟ سألتني ساخرة .

— السمك ما يتعارضش مع الكرامة لما يكون مشوي اقلت

لها وأنا أنهش .

فضحكت زازا وأسعدتني ضحكتها .

وبينما أمضغ وأبلع رأيتها تنظر إلى طويلاً وهي تبتمسم .

— انت منغاظ قوي من توتو ؟ سألتني بعد حين باسممة .

— ده وقت يطلع لي فيه ابن الكلب ؟ سألتها وأنا أخرج

شوكة من أسناني .

— معلش ، قالت زازا بمكر ، أنا أصالحكم على بعض .

ثم تشاءبت ورفعت ذراعيها تتمطى .

— آخ ! الأكل خلى النوم يكبس على .

وتشاءبت ثانية وانطرحت على جنبها ، ضمت ركبتيها إلى بطنها  
وعقدت ذراعيها على صدرها ، تكورت كقطعة صغيرة نائمة .

فما هي إلا دقيقة حتى انتظمت أنفاسها وانفخر فيها في بلاهة النوم .

فلا كل سمكتي ، آه لو كان معها رغيف وحبّة ملح وصحن طرشي !

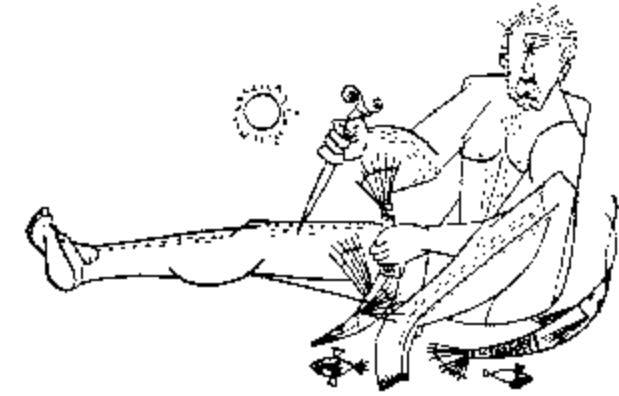
## الفصل الخامس



من السمكة فاتجهت عيني إلى زازا النائمة وراحت تنفس  
هناك ، الكيان الرائع الذي كان يمكن أن أحوزه لولا

ذلك الوغد النائم تحت الشجرة . زازا تنفس فيرتفع القميص الوردي  
على صدرها ثم يهبط في إيقاع فاتن ، وشعرها المبعثر على الرمال خيوط  
من ذهب . والشمس وراءها قد انحدرت نحو الأفق البعيد وصبغته  
بحمرة الشفق ، التقى الشفق بقميص زازا في مزيج من الحمرة الخالدة .

المرأة ملقاة بجانبها اكنني لن أقربها ، صورتي التي رأيتها فيها  
شيء لا يطاق . لماذا تطراً تلك التغييرات على أنا وتوتو ، في حين  
تظل زازا كعهدا ؟ لماذا لم يطل شعرها أو أظافرها مثلنا ؟ أي



أريد أن أرتب أفكاري ، وهي لن تترتب طالما أنا أنظر إلى زازا النائمة ، فلا أقم من هنا .

قت أتمشى في الجزيرة وأفكر . أتكون هذه الجزيرة - تساءلت - مسحورة حقاً كما قلت لزازا ؟ فمتى كانت توجد الجزر المسحورة خارج حواديت ألف ليلة ؟ ومع ذلك فالساعات فيها تجري بسرعة فذة كأنها تسابق الزمن ، واللعى والشعر والأظافر تنمو بمجنون ، والتفاحة الصغيرة الخضراء تصبح في ساعتين كبيرة حمراء . كل شيء يجري بسرعة مذهلة ، فهل يمكن أن يكون لهذه الجزيرة - لسبب ما - زمنها الخاص بها وحدها ؟ أشياء كهذه قرأت عن احتمال حدوثها في كوكب آخر غير كوكبنا ؟ فهل يمكن أن يختلف زمن جزيرة واحدة عن زمن سائر الجزر في كوكب واحد ؟

وصلت في تجوالي إلى جذع الشجرة الراقدة على الأرض وبجانبه المنشار الصخري . أناس ماشوا هنا وقطعوا هذه الشجرة ، فلماذا قطعوها ؟ وعلى السطح العلوي للجذع آثار لأدوات بدائية عملت فيه بالحفر والنحت ، فإذا كان أولئك الناس يقصدون أهل كانوا - مثلاً - يحاولون تفريغ جذع الشجرة وتحويله إلى زورق كبير ؟ إذا كان هذا هدفهم فلماذا بدأت عمليات النحت ثم توقفت ؟

واتجه ذهني إلى العظام وراء الكوخ فسرطان ما كنت أقصد

نحوها ، شيء ما في قبورها الرهيب يجذبني إليها . وهناك واجهتني الجمجمة وقد انفجر فيها بابتسامة الموت المفزعة . ترى من كان صاحب تلك الجمجمة ، وهل هو الذي وقف يوماً يعمل تلك الأدوات الصخرية في جذع الشجرة ؟ وما هذا الشق في أعلى الجمجمة ؟ هل تلقى الرجل قبل أن يموت ضربة قاتلة ؟

رعدة سرت في بدني فابتعدت عن المكان ، قصدت إلى موضعي الأول ورحت أرقب الرجل والمرأة النائمين . هنا لحم ودم وحياة ، خاصة تحت هذا القميص الوردى . أمعقول أن الغويشة التي أخذتها زازا كانت لأنثى مليئة بالحياة مثلها ، رفعت بالغويشة يدها لكي تسوى شعرها وفي عينيها نظرة نداء ؟ ألا ما أتعس تلك الأنثى لو أنها لم تستمتع بكل لحظة من حياتها .

نزعت عيني عن زازا وصوبتها إلى اللعين توتو حيث ينام تحت الشجرة وسط زوبعة من الشخير ، ترى ما جنسيته ومن أي بلد جاء ؟ بسهولة جداً يمكن أن يكون هندياً من آسيا ، وبسهولة جداً يمكن أن يكون هندياً من أمريكا ، وربما كان مغولياً أو سلافياً أو حتى آرياً مولداً ، من الممكن أن يكون أي شيء . ومهما كان من أمره فنحن رجلان ومعنا أنثى واحدة . أنا الآن لا أكرهه ولكنه لا يثق بي . الرجل للرجل إما صديق محبوب وإما منافس مرهوب ، والله لأقول هذه الحكمة لزازا . لجدير بي أن أجعله



يجبني أو يرهبنى ، أو على الأقل يحترمني . يجب أن أحوز صداقته ولو عن طريق المغامرة .

كان قد انقلب على الجنب الآخر الذى يكشف عن جيب المايوه حيث يوجد الخنجر ، ثم مفتوح فى بلاهة وهو يغط ، فماذا لو قصدت إليه فانتزعت الخنجر من جيبه ؟ هى مغامرة خطيرة بلاشك ، لو انتبه إلى لكان فى ذلك نهايتى . سيظن أننى أريد أن أقتله ، ويكون معذوراً إذا هو سبق إلى قتلى . مغامرة رهيبة ، معركتى مع هذا العملاق الأسمر ، لكنها ضرورية .

على أطراف أصابعى تسلكت نحوه ، أكاد أسمع بأذنى دقات قلبى . وفى الطريق توقفت على صوت سمعته لكنه لم يكن إلا صوت زازا وهى تحلم . خطوتين أخيرتين وأشرفت على الرجل النائم ، ما أعجز الرجل حين ينام . جنوت فى حذر بجانبه ، ومددت إلى جيب المايوه يداً ترتعد . جسمى كله يرتعد من إحساس المغامرة ، المهندس للسكين الذى لم يعرف للمغامرة إلا على الورق . ثم دسست إصبعين متوترتين فى جيب المايوه ، وعرق بارد تصبب على وجهى . بالإصبعين قبضت على سن الخنجر وسحبته برفق ، كاد قلبى يتوقف عندما رأيت الرجل يتحرك . تفرز فجأة وزجر ، ورأيت الموت فى عينيه المقلتين . كان فيما يبدو يحلم ، ترى أى أحلام عجيبة تدور فى تلك الدماغ الغامضة ؟ تفرز ثانياً ثم سكن ، وعادت أصابعى إلى سن الخنجر ،

جذبتة برفق حتى أخرجته من جيب المايوه ، ووقفت به وأنا ألهث . بالخنجر أقف بجانب الرجل النائم ، سيد الموقف ومالك زمام الأمور . بضربة واحدة أستطيع أن أقتله وتصبح زازا والجزيرة كلها لى . ضربة واحدة ويتحول هذا الجسم النابض إلى جثة هامدة ، وعدة أيام أخرى ويصبح فى الجزيرة هيكل جديد . أفكار ألوكها وأنا أعرف أنها مضحكة ، لست أنا الذى يقتل الرجل نائماً كان أو صاحياً . لم أستطع أن أبغضه فهل أستطيع أن أقتله ؟ لكننى سعيد بنجاحى فى المغامرة ، فرحة صبيانية ترقص فى صدرى . لماذا لا أقص أظافرى طالما أن الخنجر فى يدي ؟ قصصتها ثم خطر لى أن أحلق لحيتى وعند ذلك عرفت فائدة الصابون . أمكننى أن أشدبها لحسب ، أما حلقها فستحيل . ولماذا أحلقها وسوف يصبح لمنافسى بعد حين لحية مثلها ؟ إنى لأنظر إليه فيخيل إلى أنها تنمو تحت بصرى ، مثل التفاحة المتدللية من الشجرة فوق رأسه . فرشقت الخنجر فى الأرض على مقربة من الرجل النائم ، وعدت لأجلس فى موضعى الأول أمام زازا . هى تنقلب على جنبها ، عينها تفتحتا ونظرتا إلى الرمال ، ثم حادت ببصرها إلى . ثم استوت جالسة تستوعب الدنيا ، وبسطت ذراعها لتمطى .

— أنا نمت كثير ؟ سألتنى متثابرة .

— موش قوى .

— وانت قاعد هنا من كثير؟

— برضه مش قوى .

— طب هات لى اشرب .

فقصدت إلى الجرة وفي طريقى مررت بالخنجر المرشوق  
في الأرض . ثم عدت فوجدت عينيها مصوبتين إلى الخنجر ، تنقل  
النظر بينى وبينه في دهشة .

— إيه اللي طلع الخنجر ده ؟ سألتنى .

— أنا ، أجبته فى بساطة .

— ليه ؟

فابتسمت فى غموض وناولتها الجرة ، لكنها لم تشرب .

— ليه ؟ سألت ملحة .

— علشان اقص ضوافرى ، قلت باستخفاف وأنا أجلس بجانبها .

فراحت تنفوس فى حيناً ، تنقل النظر بينى وبين الخنجر وصاحبه

النائم ، تقلب فى ذهنها مختلف الاحتمالات .

— إنت شخص غريب ، قالت لى حين فهمت .

فعربدت الفرحة فى صدرى أكثر من قبل ، رأيت فى عيني  
زازا نظرة احترام . عرفتنى على حقيقتى أو على الأقل كما يجب أن  
أكون . لست ذكياً وشجاعاً فحسب ، وإنما نبيل أيضاً . أسلب

غريمى سلاحه ثم أردده إليه ، جنتلمان فى البر والبحر وكل مكان .

— كلت السمكة ؟ سألتنى وهى تتلفت حولها .

— آه .

— اخص عليك ، قالت فى دلح ، موش كنت تخلى لى حنة ؟

— حقك على ، قلت لها ، كنت جعان قوى .

ورفعت الجرة وشربت ، خيوط الماء سالت من جديد على

عنقها وتسالت إلى صدرها .

فلما أنزلت الجرة مددت إصبعها إلى عنقها العاجى أمسح الماء ،

نظرت فى استسلام وابتسمت .

— انت حلقت دقنك كان ؟

ومدت يدها تتحسس وجهى ، فجذبت يدها إلى شفتى وقبلتها .

ونظرة حنان سبحت فى بحيرة عينيها ، فأدريت شفتى من وجنتها

وطبعت قبلة مرتعدة . أحبك يا زازا ، قلت لها ، أحبك ، وهممت

بأن أطبع قبلة ثانية فابتعدت .

— توتو صحى !

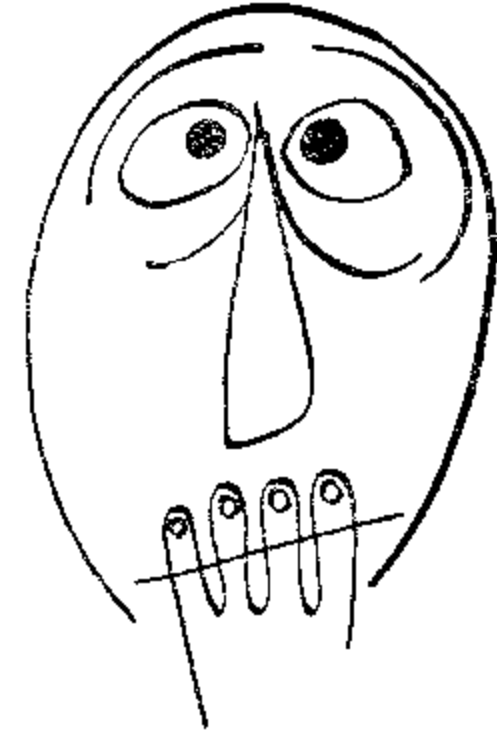
فتابعت نظرتها لأراه جالساً يدعك عينيه من النوم ويتشاهب ،

ثم امتدت يده بحركة لا شعورية إلى جيب المايوه . لم يكن الخنجر

هناك طبعاً ، وهو ما يفسر نظرة الفزع التى ارتسمت فى عينيه .

ثم وقع بصره على الخنجر المرشوق فى الأرض ، حملق إليه فى ذهول

ثم نقل بصره إلى أنا، ثم إلى الخنجر ثم إلى كأنه لا يصدق عينيه .  
 وبسرعة خطفه من الأرض وراح يتأمله محاولاً أن يستوعب الموقف .  
 فلما نظر إلى في المرة التالية تبسّمت له ، فظل يرمقني مدى حين  
 في دهشة ثم ابتسم . ثم وقف وهم بأن يضع الخنجر في جيبه لكنه  
 عدل ، ألقى الخنجر ورشقه في الأرض كما كان .  
 — تزاوا ! قال بلا مناسبة وهو يبتسم .



ونظرت إلى زازا فوجدتها هي الأخرى تبسّم ، ثم تحولت  
 ابتسامتها إلى ضحكة فرح ، موجة سعادة غمرتنا كلنا فجأة . وقصد  
 توتو إلى البحر ليغرف الماء براحتيه ويفسل به وجهه ، ثم قصد  
 إلى شجرة التفاح فقطف ثلاث تفاحات ، اثنتان منهما قذف بهما  
 إلينا وهو يتبسم . ثم أولانا ظهره وابتعد ، عملاق برنزي جميل

مرسوم على الأفق الأحمر . إلى جذع الشجرة المقطوع ذهب ،  
 دار حوله واختفى . ثم ارتفع صوته بأغنية غريبة ، بصوت تينور  
 عميق مطرب .

فالتفت إلى زازا وابتسّمت . ضوء الشفق الأحمر يصنع وجهها  
 بسحر عجيب ، فضممتها إلى وقبلتها ثلاث قبلات . فإني لأهم بالقبلة  
 الرابعة إذ انقطعت أغنية توتو فجأة وصدرت منه صرخة نشاز ،  
 فنظرت لكي أراه واقفاً يلوح بذراعيه إلى البحر ويصرخ .  
 وفي البحر كان شيء يتحرك ، نعم شيء يتحرك في البحر . فوثبت  
 زازا لترى ماذا هناك ، في حين أقعدتني عن الوقوف خيبة  
 أمل قاتلة .

— يا عالم ! ياهوه ! هو أنا كل ماجى ابوسك يطلع لي  
 م البحر غريق ؟ !  
 فضحكت زازا ونكشت بيدها شعري ، ثم انطلقت تجرى  
 إلى البحر .



فلما صار الركب قبيل الشاطئ، بخطوة أدلى الرجل الجالس ساقيه من فوق الخشبة ونزل في الماء، شامراً إلى أعلى ذيل جلبابه الأبيض الفضفاض، ثم خرج إلى الشاطئ فترك الجلباب يتدلى ورفع يديه إلى السماء.

— الحمد لله رب العالمين! الحمد لله رب العالمين! ألف حمد وألف شكر لك يارب، ألف حمد وألف شكر. الحمد لله رب العالمين! رجل طويل عريض أبيض يناهز الأربعين، في وجهه مسحة من المهابة رغم زراية منظره العام في الجلباب نصف المبتل. وبينما وقف يردد أدعيته كان الرجل الآخر قد خرج من الماء وتهالك على الأرض وهو يلهث، وكان هو الآخر يلبس جلباباً من قماش رخيص مخطط. أسمر اللون قصير، إلا أنه عريض الكتفين سميك الرقبة كأنها رقبة ثور. جبهته ضيقة مائلة إلى الوراء، وصدغان عريضان وشفطان غليظتان، وبلاهة عامة في وجهه الأسمر الجلف. ثم كف الرجل الآخر عن الأدعية وصوب عينيه إلينا، راح ينقل بيننا نظرات مستريبة مع اختصاص لزايا بنظرة أطول نوعاً.

— سلامو عليكم، قال لنا بصوت غليظ تشوبه بحة.

فرددنا السلام.

— حضراتكو من أهل البلد دي؟

## الفصل السادس



منظراً غريباً حقاً، ذلك الذي رأيناه يقترب منا في ضوء الشمس الغاربة. رجل جالس — متربع — على ما يشبه خشبة كبيرة طافية، والخشبة تنزلق على الماء وحدها بدون أن يبذل الرجل أي مجهود. فلما اقتربت منا أدركنا ما الذي يجرها، عندما سمعنا صوت يد تضرب الماء ووقع بصرنا على الرجل الذي يسبح خلف الخشبة ويدفعها إلى الأمام. فلما اقتربت أكثر سمعنا صوته وهو يلهث وينهج ويعتل كشيال يصعد السلم بحمل ثقيل.

— شد حيلك يا كرشة! قال الرجل الجالس مستحشاً، خلاص

فاضل خطوتين.

فشرحت له مالا يعرف من أمر البلد ، كيف أنها جزيرة لا بلد ،  
وكيف أننا كنا مثله في الباخرة التي غرقت . ثم عرفته بنفسى وعرفنى  
بنفسه ، الحاج طلبة حسنين من ذوى الأملاك .

— وسيادته ؟ سألتنى الحاج طلبة مشيراً إلى توتو .

— ده واحد غرقان زى حالاتنا ، أجبتة ، مايبعرفش عربى  
واسمه توتو .

— طوطو ؟ اهتف المدعو كرشة ، إلا طوطو دى ا

وكان صوته غليظاً قبيحاً ككل شىء فيه .

— يعنى ماهوش مسلم ؟ سألتنى الحاج مواصلاً اهتمامه بتوتو .

— والله معرفش ، لغاية دلوقت ماشفتوش بيصلى ا

فابتسمت زازا وسرئى أننى تسببت فى ابتسامتها .

— والهانم جماعتك ؟ سألتنى الحاج .

سؤال مخرج كما ترى ولذلك تظاهرت بأننى لم أسمع .

— أفندم ؟ تساءلت .

— بأقول الهانم جماعتك ؟

— أ.. أيوه ، أجبتة بعد لحظة تردد .

ونظرت إلى زازا فخيّل إلى أننى رأيت فى عينيها نظرة اعتراض ،

والحقيقة أننى لا أدرى لماذا قلت أيوه . ربما كان ذلك لأننى أردت  
أن أعطيها مركزاً اجتماعياً يحميها من تطفل الأعراب ، وربما لأننى  
وجدتها فرصة صالحة لاكتساب حق رسمى فى التبسط معها علناً .

— طيب ياأخى موش تلبسها حاجة تسترها ؟ سألتنى الحاج طلبة  
فى لهجة لوم يشوبه ازدراء .

— والله كنت أحب ألبسها ، أجبتة ساخرا ، بس أصلنا نسينا  
نجيب معانا دولاب الهدوم ا

فزغر لى الحاج ثم وقف حيناً يفكر .

— كرشة ا قال أخيراً ، إقلع جلابيتك ا

فالتفت الآخر إليه فى دهشة حيث جلس على الأرض .

— هه ؟ ؟ تساءل فى بلاهة .

— بأقول اقلع جلابيتك .

— جلابيطى ؟

— آه ، عشان الست تلبسها .

فتردد كرشه لحظة ثم نهض ليخلع الجلباب ، كشف عن صدر  
طار غزير الشعر كصدر الغوريلا ، وعن كتل غليظة من العضلات  
المكدسة على ذراعيه وكتفيه كأنه ممن يشيلون الحديد . والحمد لله  
أنه كان يلبس تحت الجلباب سروالاً طويلاً أسود ذكرنى بسر اويل  
أهل الإسكندرية .

— أما الجلالية تنشف خلى الست تلبسها ، قال لى بلهجة الأمر وهو يناولنى الجلباب .

— أنا ألبس الجلالية دى ؟ ا صرخت زازا فى استنكار .

فلم يجبها الحاج إلا بنظرة قاسية أسكتتها .

— أيوه يا زازا ، قلت لها أنا بلهجة حزم زوجية ، موش احسن ماتنى عريانة كده ؟

فزغرت لى ولم تقل شيئاً .

— مافيش هنا حاجة تتاكل ؟ تساءل كرشة فجأة .

فأشرت إلى شجرة التفاح ، قصد إليها بسرعة وهو يدب على الأرض وقد تدلت ذراعاها كالغوريلا .

أما الحاج طلبة فتربع على الأرض وشرع يخرج محتويات جيوبه .  
أخرج أول ما أخرج سبحة من الكهرمان وضعها بجانبه على الرمال ، فقلت فى نفسى هذا والله رجل ورع يستحق الاحترام .  
ثم أخرج شيئاً تبينت أنه دفتر صغير من نوع ما .

— كل حاجة اتبليت ، قال الحاج طلبة متأنفأ ، حتى دفتر الشيكات .

دفتر شيكات ؟ إنه إذن يستحق الاحترام جدا . ثم أخرج الشئ الثالث الذى عرفت منه أننى لن أستطيع أبدا أن أفيه حقه

الكامل من الاحترام - أخرج مسدساً كبيراً أسود فتحه وسحب منه مشط الرصاص ليفحصه ، ثم رد المشط إلى المسدس ورفع فوهته إلى أعلى . طراخ ارددت الجزيرة دوى الرصاصة التى أطلقتها ، فشهقت زازا فى ذعر وتوترت عضلات توتو الذى وقف يرقب المشهد فى صمت .

— الحمد لله ماخسرش م المية ، قال الحاج طلبة .

— إنت ديماً شايل مسدس فى جيبك يا حاج ؟ سألته بسخرية مستترة .

— شغلنا عايز كده ، أجابنى باقتضاب ، ماتعرفش القبلة فين ؟  
فأشرت إلى الشمس التى غاصت فى الماء عند الأفق ، وبمراجعة الجهات الأصلية عرفنا أين توجد القبلة . فانتظر الحاج حتى اختفى قرص الشمس ثم رد السبحة والدفتر والمسدس إلى جيبه ووقف ينوى الصلاة . طويل عريض مهيب فى جلبابه الأبيض ، فخور فى صلاته أكثر منه خاشعاً . أشرت إلى زازا وانتحينا جانباً ، وتبعنا توتو معتبراً نفسه من نفس الشلة .

— أنا قلت انك مراتى لآنى ...

— لأنك سافل ! قاطعتنى بسرعة .

فشرحت لها فائدة الأمر فى حمايتها من هؤلاء الأغراب ، لكنها لم تقنع .



— حد قال لك انى محتاجة لحماية ؟ وإذا كان ضرورى حماية ، ليه  
ماقلتش إنى مرات توتو ؟ أنت أعنى ولا هو ؟  
— هو أعنى لكن أنا لى لسان .  
فسكتت مفحمة .

— والله لما يعمل إيه مانا لابسة الجلابية دى ! قالت بعد حين  
فى عناد .

لكنها كانت تعرف أنها سوف تلبسها ، الحاج طلبه كما شعرت  
زازا وشعرت معها قد قرر أن يفرض نفسه زعيما على جماعتنا  
الصغيرة ، لسبب ما يشعر الرجل أن عنده من المسوغات ما يرشحه  
بالبداهة لتلك الوظيفة .

— ما فيش حبة مية ؟ أتانا صوت الحاج وقد انتهى من الصلاة .  
فانتقلنا إلى حيث توجد عين المياه ، رفع الحاج الجرة إلى فمه  
وراح يجمع منها ويمصص الماء بصوت غلب على ضجة كرشه الذى  
ما برح يقرش التفاح .

— ناولنى تفاحة يا كرشة ، قال الحاج بعد أن شرب .  
فأحضر له كرشة ثلاث تفاحات .

— أما طماح يا حاج ! لوظ والله ، لوظ !  
وبينا الحاج يأكل نظر إلى الكوخ وبدا أنه يفكر .  
— العشة دى تساعنا كلنا ؟ سألتنى بأمل .

— ياريت يا حاج ، أجبته بأسف ، دى يادوب سايعانى أنلومراتى .  
فسكت الحاج منفتحاً .

— على كل حال الدنيا دفا ، قلت له مهوتنا .  
فلم يجب .

— وبرضه تقدر تتبادلها ، أضفت ، احنا ليلة وانتو ليلة .  
فلم يجب .

— الا طبعاً اذا كنت تحب تاخذها لوحدك ا أضفت  
ساخراً .

— ودى تيجى يا أستاذ ؟ أجابنى مستنكراً ، الست تنام بره  
ونا ياراجل انام جوه ؟

فوجهت إلى زازا نظرة ذات معنى .

— الحاج يعرف انجليزى ؟ سألته فهز رأسه بالنفى .

— عرفتى فايدة الجواز ؟ قلت لزازا بالانجليزية .

فلم تعلق ورأيت كرشة يزغر لى .

— النبى عربى يا أسطاز ا شخبط فى من بعيد .

فنظرت إليه بازدرء ولم أعلق . وأخرج الحاج سبحته وراح

يداعب حباتها متمتماً ، وكرشة واصل التهام التفاح حتى بدأت أخاف

على المحصول . لكنى لم أقل له شيئاً . ثور كهذا ليس من الحكمة

أن تقال له الأشياء .



— تزا تزا ! قال توتو لزازا باصمًا .

— تظاظا !؟ قلده كرشه مستهزئًا ، نكطة قوى الراجل ده !

وخيمت على الجزيرة عتمة المساء ، لم يخفف منها إلا قرص القمر الشاحب الذى برز عند الأفق الشرقى ، والذى ما برح شحوبه أن تحول إلى لون فضي جميل يرتعش على ماء البحر . فأدركت أن الساعة قد حانت ونهضت متثائبًا كمن كبس عليه النوم .

— يا لله بينا يازازا ، قلت بالبساطة الزوجية المناسبة .

وسحبته من ذراعها فترددت لحظة ثم انقادت . جذبتها وقصدنا إلى الكوخ على مهل ، زوج وزوجته يتجهان إلى بيتهما ، ما الغرابة فى ذلك ؟ لكن قلبى كان يدق كالطبل بين ضلوعى ، على إيقاعه المجنون ترقص فى صدرى فرحة وحشية معرودة . رأيت فى حياتك رجلا يقتنص لنفسه هذه العروس الرائعة بتلك السهولة المعجزة ؟



## الفصل التاسع



أنفرد بزازا فى الكوخ حتى أخليت سبيل الضحكة المكتومة فى صدرى ، رحمت أضحك وأضرب بكفى على فخذى من شدة الطرب ، بصوت منخفض بالطبع كيلا يصل إلى سمع الآخرين فى الخارج .

— والله العظيم انك سافل ! قالت زازا بغیظ ، أسفل راجل عمرى شفته !

لكن صوتها كان يدل على أنى لست سافلا إلى هذا الحد ، وعلى أن غضبها ليس أصيلا . ورأيتها تجلس على السرير الخشبي الواطئ ، وشعاع من القمر تسلل من كوة فى أعلى العشة وأنار وجهها . فذهبت وجلست بجانبها .

— إبعد عنى ! قالت لى ببقية من الغیظ .

فابتعدت قائلا لنفسى على مهلك ، أمامنا الليلة كلها .

— ما فيش شك ان الأرض أريج ، قالت زازا وهي تجلس  
على الأرض في شعاع القمر .

فجلست بجانبها باسماء .

— تسمح تدير وشك للحديقة وتنام ؟

— أدير وشي للحديقة ليه يا أبلا ، أنا عملت حاجة ؟

فابتسمت زازا ، وعندما تبسم زازا أحس كأن الشمس قد طلعت  
بعد يوم مطير . أجل ابتسامة على أجل شففتين بين أجل غمازتين ،  
ونور الجنة يرقص في عينيها .

— أحبك يا زازا ، قلت لها بصدق .

— حبك برص ! أجابت في غضب مصطنع .

وتناولت يدها فلم تعترض ، رفعتها إلى شفتي وقبلتها وقلت لها  
أحبك من جديد . في عينيها تراءت نظرة حنان ضميرتي بسعادة  
رهيبة ، فأدريت شفتي من وجهها ثم توقفت .

— خايف ابوسك يطلع لنا م البحر غريق تاني !

فضحكت زازا وقرصت خدي .

— ساعات يبقى دمك خفيف .

— ستات كثير قالوا لي كده ، أجبها وهمت بالقبلة فأوقفتني

طرقة مفاجئة على الباب .

— والله لما يموت مانا لابسة الجلابية دي !

فشرحت لها مالا تعرف عن أهل الورع والتقوى ، كيف أنهم  
لا يتذوقون الجمال بنفس الطريقة التي نتذوقه بها نحن . شعاع النور  
الذي ينبعث من قيصها الوردى ويسحرني ، لا يمكن لرجل مثل  
الحاج طلبه أن يرى فيه سوى شمعة من نار جهنم ترتعد في يد إبليس .

— انت عاوزة الراجل كل ما يبص لك يتنقض وضوه ؟ !

فلم تجب زازا مباشرة ، كانت تفكر .

— دمه ثقيل ا قالت أخيرا في تقزز .

وتفكرت لحظة أخرى ثم ابتسمت .

— ومع ذلك تعرف ان فيه حاجة جذابة كده ؟ !

— لا يا شيخة ! فقلت لها بغيظ ، ماتقولي لي بالمره ان كرشه راخر

فيه حاجة جذابة .

— طب وانت يعني بتقول فيها ؟ قالت ضاحكة ، كل راجل

وفيه حاجة !

فتصعبت وهبت هي واقفة تنأف .

— يا بابي ! السريره ناشف بشكل ا دي الأرض أريج .

وكان هذا صحيحاً ، ولحسن الحظ كان الكوخ بلا أرضية

من خشب أو غيره ، مجرد جدران أقيمت حول مساحة من رمال

الجزيرة الناعمة .

— يا أستاذ أحمد ! أتأني صوت الحاج طلبة من الخارج ، افتح  
يا أستاذ أحمد !

— الله يخرب بيتك ! قلت وأنا أغلى ، ده وقته يابن الكلب ؟  
ووراء الباب وجدت الحاج طلبة وبجانبه كرشة .  
— أي خدمة ؟ سألته ببرود .

— لا مؤاخذة يا أستاذ بس أصلى آه .. هاه .. هاه .. هاتشى !  
أبعدت وجهى عن طريق العطسة فى اللحظة المناسبة .  
— أصلى يظهر خدت برد من مية البحر ، قال الحاج .  
— طب وانا اعمل إيه ؟ سألته بنفوس البرود .

— طعمل ايه يعنى إيه ؟ بوأ فى كرشة ، تبيطه معاك فى الضفا !  
— أبيت مرأتى مع راجل غريب ؟ أجبتة بغلظة .

فمطس الحاج ثانيا وثالثا ، وبين عطساته يعتذر لى عن هذا  
الاقتحام الذى لم يكن يجب أن يبدر منه لولا الظروف اللعينة .  
هو ضعيف الصدر - شرح لى - بسبب إصابته منذ شهور بالتهاب  
رئوى حاد ، فلو لم يعتكف بهذا الزكام الطارىء لتعرض للموت بردا .  
— إن شالله اللى يكرهك يارب ! قال كرشة وهو يحملق إلى  
بعينين جاحظتين .

وأشار الحاج إلى السرير الخشبي الواطىء قائلا إنه من الممكن

وضعه على جنبه ليقسم العشة إلى قسمين ، كما أنه من الممكن تعليق  
جلباب كرشة فوقه ليكون بمثابة ستار بيننا .

— وعلى كل حال الأمر أمرك ، قال الحاج فى النهاية .  
— الأمر أمره يعنى إيه ، جأر كرشة ، هو بيت أبوه ؟ بانيه  
ولا شاريه ؟

— من فضلك بلاش قلة أدب ! قلت له بحدة .  
— لا يا شيخ ! زأر كرشة وهو يقتحم الكوخ .  
جبينه وضعه على جبيني وأنفه على أنفى وراح ينفخ بتهديداته  
فى فى .

— انت فاهم نفصك إيه يا أسطاز ؟ ده الحاج طلبة اللى بيكلمك !  
ده لولا ظوقه كان رماك بره ونام مطرحك . أما طجرمة صحیح !  
— سيبه يا كرشة ، قال له الحاج طلبة .

— والله العظيم الواحد يوضبه ! قال كرشة وهو يبتعد عنى .  
— زازا ، قلت لها بحزم ، يالله بينا من هنا .

وجذبها وغادرنا العشة فجذبني الحاج طلبة من حمالة فانلتى .  
— على فىن يا أستاذ ؟

— نبات بره ، قلت له ببرود ، مالناش حته هنا .  
— ودى تيجى يا أستاذ ؟ بقى معقول اطرده راجل ومراته  
من بيتهم ؟ والله مايمكن أبدا .

— أما تخف ان شاء الله نبقى نرجع بيتنا .

— والله ما يمكن أبدا ، ياسلام ؟ أنا اللي ابات بره وزى ماتيجي .

— لأ ، احنا اللي حنبات بره ، يا الله يا زازا .

هو يجذبني وأنا أجذبه في مباراة في الكرم والمروءة ، وأخيراً  
نفخ الحاج طلبية في استسلام .

— ياسلام يا أستاذ احمد ، لو كنتش عنيد كده !

وعطس من جديد ثم أخرج من جيبه دفتر الشيكات .

— مادام ح تباتوا بره ، قال لي وهو يفتح الدفتر ، أنا ح  
أخذ العشة بالإيجار .

فظننت أنه يمزح لكنه كان جادا ، إذ فتش في جيبه حتى عثر  
على قلم من الرصاص ، ثم تهيأ لكتابة الشيك .

— عشرين جنيه في الشهر كويس ؟ سألتني .

— خليمم ثلاثين ، أجيبته متهكماً .

— ثلاثين ازجر في غيظ ، لا هوأنا بأجر فيللا مفروشة ؟  
دي عشة فاضية كحيانة !

— ما تزعاش ، قلت ضاحكا ، هات اللي تجيبه .

فهم بالكتابة ثم بدا عليه التردد .

— ومع ذلك موش ح ازعلك ، خليمم ثلاثين ا أجرة  
ماشحططتك م البيت .

وشرع يكتب الشيك .

— هو على بنك إيه ؟ سألته .

— الأهلي .

فالتفت إلى زازا .

— هو البنك الأهلي فاتح فرع هنا يا زازا ؟

فضحكت زازا لكن الحاج لم يضحك .

— هو احنا ح نقعد هنا على طول يا أستاذ ؟ قال لي في غيظ ،

ضروري ح تفوت مرا كب وتاخذنا .

وناولني الشيك .

— ويمكن تيجي مركب بعد يوم ولا اتنين ، أضاف بلهجة

مازحة ، تبقى خدت إيجار شهر على يومين . حلال عليك يا عم ،  
تصبحوا على خير .

ودخل فأغلق الباب عليه .

— آل يبيطوا الحاج بره ! برطم كرشة وهو يحرقني بنظراته .

فسحبت زازا وابتعدنا ، قصدنا إلى جذع الشجرة وجلسنا

وراءه ننظر إلى البحر الذي يلعب في ضوء القمر . لكنني لم أجد

في نفسي أية ذرة من الشعرية ، كرهت كلا من البحر والقمر .

وخجأة سمعت زازا تضحك .

— فيه إيه يضحك ؟ سألتها في غيظ .

— إنت ! أجابتنى وسط ضحكها ، لو كان كرشة مسكك كان

فعضك فعض !

فسكت في غيظ بينما أنهت هي ضحكها .  
— وريني الشيك كده ؟  
فناولتها إياه .

— ده ع البنك الأهلي صحيح .

— هه ا نفخت ساخرا ، وايش عرفنا ان له رصيد ؟

— إنت وبخنتك بقى .

وطوت الشيك ودسته في صدر فالتى ، وأنا أواصل صمتى  
الكثيب .

— ياأخى فرفش بقى ا قالت زازا بعد حين ، ولا اقوم ادور  
على توتو ؟

فرايت أن أفرش ، ماذا تجدى الكآبة وما حدث قد حدث ؟  
فابتسمت لأستدرج الفرفشة ، ومددت ذراعا أحطت به كتف زازا  
وطبعت قبلة على خدها . فإنى لموشك على أن أطبع الثانية إذأتانى  
صوت كرشة الغليظ .

— عيب كده يا اسطاز ا قال كرشة الذى برز فجأة من وراء  
الجدع ، انت موش لوحدهك .

وأمامى وقف نافشا عضلاته الغليظة وسط غابة من شعر الغوريلا .

— إنت قدامك رجالة يا اسطاز ا

في تحد سافر راح يحملق في وجهى ، ويتمنى أن أرد على تحرشه  
فتكون فرصته للفتك بى . مكتوب على ألا ألتقى في هذه الجزيرة  
اللعينة إلا بالعمالقة والفتوات .

— إنت جاي تقف جنبنا وتقول لى عيب ؟ سألته بلهجة أردتها  
أن تكون لهجة غضب فطلعت لهجة عتاب .

— أنا حر اقعد مطرح ما يعجبني .

وكنت أعرف أنه حر حقاً ، عضلات الحرية تصرخ في كل سنتى  
من جسمه .

— قومي بينا يازازا ، قلت لها وأنا أنهض .

نهضنا وقصدنا إلى شجرة التفاح فجلسنا تحتها ، ماهى إلا لحظة  
حتى رأينا كرشة يأتى ويجلس بالقرب منا . فى حقد بالغ نظرت  
إليه ، وفى استخفاف مهين رد نظرتى بعينين تهذلت عليهما جفونه  
الغليظة المنفرة .

— أما والله ا قالت زازا وهى تفلت ضحكة .

وفى تلك اللحظة ظهر توتو ، أقبل فجلس أمامنا صامتا .  
كرشة نظر إليه فى كراهية ولم يقل شيئاً ، أحد منا لم يقل شيئاً .  
ثم تنخم كرشة وبصق واستلقى على جنبه متهيئاً للنوم ، ماهى إلا دقيقة  
حتى رددت شخير القبيح أرجاء الجزيرة .

— تزانزا قالت توتو وهو يتسم .

فأجابته زازا بابتسامة ، ورحت أنا أنقل بصرى بين الاثنين

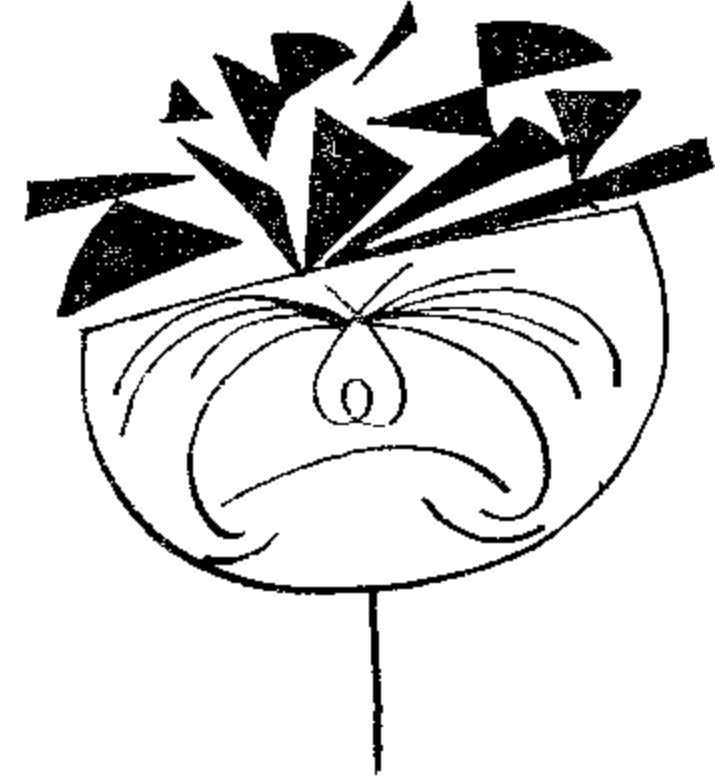
لحظة ثم نهضت في صمت .

— على فين ؟ سألتني زازا بنبرة استهزاء .

## الفصل الثامن

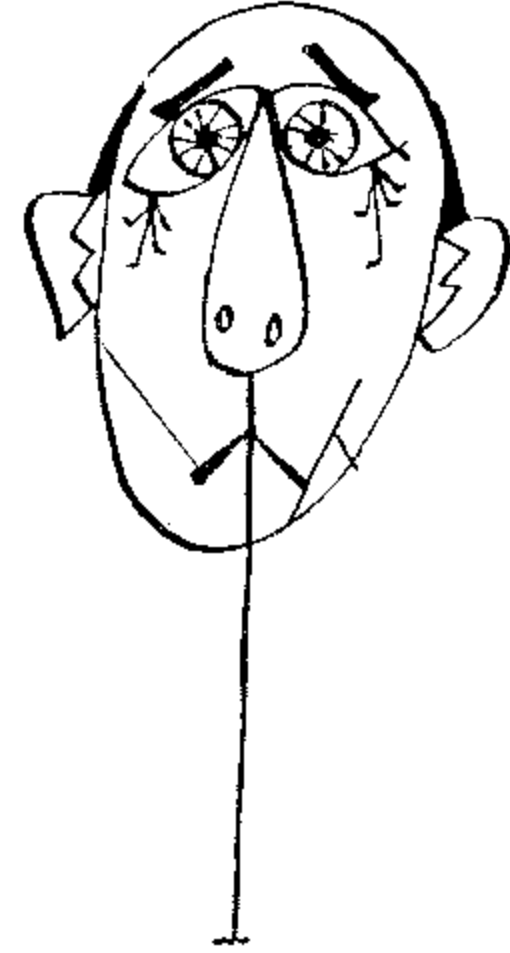


شدة همى وغمى لم أحاول عندما كبس النوم على أن أبتعد  
عن العظام بل نمت بينها ، وصحوت بعد حين فوجدتني  
أضع يدي على الجمجمة في حنان ، كأني مرسوم في صورة سيرالية .  
لكن لماذا صحوت بهذه السرعة ؟ يخيّل إلى أن هناك ضجة غريبة أيقظتني .  
نعم هناك ضجة بالقرب مني ، صوت أنفاس مضطربة وزمجرة وحشية  
وتلاطم أجسام عارية فيما يشبه المعركة . فنهضت على عجل ودرت  
حول الكوخ لكي أكتشف أنها معركة فعلا ، بين توتو والثور  
الآخر كرشة . كان الأخير حين وصلت مطوقا خصر توتو بذراعي  
أخطبوط كأنه يريد أن يعصره ، في حين كان توتو مطبقاً بيديه  
على عنق كرشة لكي يخنقه . فلما أدرك كرشة أنه سيخنق ترك



فلم أجبها . كنت أشعر بالمهانة وأريد أن أخلو لنفسي . قصدت  
إلى ماوراء الكوخ حيث توجد العظام ، جلست بالقرب منها ألوك  
أحزاني . أمامي ترقد الجمجمة صامتة صابرة خالدة ، في ضوء القمر  
تصوب إلى ابتسامة لا أدري لماذا خيل إلى أنها ساخرة .

خصر توتو ورفع يده إلى وجهه لكي يدخل إصبعاً في كل من عينيه . فأخلى توتو سبيل عنق كرشه وأمسك بشعره ليشده منه إلى الوراء ، وفي الوقت نفسه صوب إلى بطنه لكمة عنيفة لوأصابت



جبلًا لهدته ، فأنثى كرشه نصفين من الألم . لكنه لم يسقط ، بل هجم برأسه على توتو فنطحه في بطنه نطحة جعلته هو ينثى نصفين ، ثم طارت قبضة كرشه إلى وجه توتو بلكمة سفلية علوية ألقت به على الأرض . فإنه ليهم بالانقضاء عليه إذ طارت ساق توتو إلى وجه كرشه برفصة ولا رفسة البغل ألقته هو الآخر

على الأرض . وهناك التحم الاثنان وراحا يتمرغان على الرمال ، فم كل منهما ملتصق بكتف الآخر بما فهمت منه أنه يعضه . لم أكن قد انتبهت إلى أن هناك متفرجا آخر على المباراة هو زازا ، إذ وقفت عن قرب وهي تعض إصبعها وترتعد . فقصدت إليها لأطمئنها .

- يظهر انهم بيتخانقوا ، قلت لها باسمًا .
- بيتخانقوا ؟ ! صاحت زازا في فزع ، دولح يموتوا بعضا
- محتمل ، وافقتها ، وأرجو ان القليل يكون كرشه .
- وانت واقف كده ليه ؟ موش تروح تفص الخناقة ؟
- أنا ؟ ! هتفت في ذعر .
- إمال انا ؟
- يابنتي صلي ع النبي ، دنا خايف اتعورم الفرجة ا
- طيب روح ساعد توتو .
- موش شايف انه محتاج لأي مساعدة .
- بقي بدمتك انت راجل ؟
- أنا طول عمري عندي مبدأ ، أخبرتها ، إني أحتفظ برجولتي لحاجات أنفع من الخناق ا
- فسكتت وهي ترمقني في ازدراء ، وعدنا نتفرج على المباراة .

كان الرجلان قد وقفا من جديد وعادا إلى الوضع الأول ، كل منهما  
يمسك برقبة الآخر محاولاً أن يخنقه . وفي تلك اللحظة سمعت صرير  
باب الكوخ ، وبرز الحاج وهو يدعك عينيه من أثر النوم . راح  
يبرش حيناً نحو المتعاركين ، فلما اكتشف حقيقة الموقف أخرج  
المسدس من جيبه وقصد إليهما بسرعة . دار بالمسدس حتى صار  
وراء توتو ثم رفعه وأهوى به على رأسه بضربة شديدة ، فسرعان  
ما رأيت توتو يترنح ويسقط على الأرض . فلم يرحمه كرشة ،  
بل انقض عليه وركب فوقه مطبقاً يديه على رقبتة لكي يكبل عليه .  
— سيبه يا كرشة ! صرخ الحاج .

لكنه لم يتركه ، فأسرع الحاج إليه وشده من شعره .  
— إنت مجنون ؟ عاوز تعمل لنا جناية ؟

فنهض كرشة وراح يتفحص الأرض حوله وهو يلهث كالثور  
المجنون ، ثم انحنى والتقط شيئاً تبين أن خنجر توتو الذي لا بد  
أنه حاول استعماله في بداية المعركة وفشل .

— وديني أفتح كرشه ! زار كرشة وهو يلوح بالخنجر فوق  
بطن توتو .

— هات الخنجر ده ! أمره الحاج ، هات باقول لك .

فناوله كرشة الخنجر ، وكانت عينه واردة من أثر رفصة توتو،

ووجهه كله — مثل وجه توتو — قد أصبح شوارع .  
— إيه الحكاية ؟ سأله الحاج مستفسراً .

— كله م المقطف ده ! قال كرشة وهو يشير ناحيتي .

نظرت خلفي أتلمس شخصاً آخر يقف هناك لكنني لم أجد  
أحدًا ، ليس في هذه الجهة أي مقطف آخر . وشرع كرشة يحكي  
الحكاية ، كيف أنه صحا من النوم ليأكل تفاحة ويشرب ماء ،  
فإنه ليسير إذ لمح أبشع منظر يمكن أن يراه إنسان ، منظر توتو  
وهو يضم زازا إلى صدره ويقبلها في ضوء القمر .

— وصيادته نايم زى البرش ! أضاف مشيراً إلى من جديد .

هو نايم والثاني ناظل فيها بوص !

فراح الحاج طلبة ينقل النظر بين زازا وبينى .

— صحيح الكلام ده يا هانم ؟ سأها أخيراً .

فتنمرت زازا .

— صحيح ولا موش صحيح انت مالك ؟ صرخت في وجهه .

— بقى كده ؟

— آه كده .

— وإيه رأى سيادتكم ؟ قال ملتفتاً إلى .

عند ذلك أدركت أنني يجب أن أصحح الوضع وأرد الأمور

إلى نصابها . الكرامة .



— بقى صلى ع النبي يا حاج ، قلت له ، أنا كذبت عليك لما  
قلت إن زازا مرأتى . أنا لا جوزها ولا هى مرأتى ، آه .

فانفغر فم الحاج وجحظت عيناه .

— لا انت جوزها ولا هى مراتك ؟ سألتنى بدهشة بالغة .  
— آه .

— وواخدها جوه تبات معاها ليه ؟ سألتنى فى ذهول .

— ما تدقش ، أجبتة ببساطة .

فواصل الحاج حملته إلى .

— تبقى ندل ا قال لى نجأة .

— لا يا حاج ، ما تطولش لسانك .

— لا يا شيخ ! تستغفلنى وتستكردنى وتقول لى ما تطولش

لسانك ؟ إنت فا كرنا إيه يا أستاذ ... قوادين ولا إيه ؟

فلم أجب .

— أنا طارف انها كانت باردة منى ، قلت معترفاً ، إنما الحكاية

انتهت . من هنا ورايح زازا حرة فى نفسها ، تتصرف على كيفها .

فسكت الحاج مفكراً .

— إنتى يابت ا صرخ فى زازا نجأة .

— بت فى عينك ا صرخت هى فيه .

فراح يحملق إليها بعين تطلق شرراً ، ونجأة رفع يده وأهوى على  
وجهها بقلم شديد .

— لمى لسانك يا ... ! جأر الحاج فى وجهها .

واضعة يدها مكان الصفة رأيت الدموع تترقرق فى عينيها ،  
ذقتها ترتعد كطفل صغير يبكى .

— أما سماجة صحيح اهتفت أنا فى حنق ، تمد إيدك على واحدة  
ست ؟ هى مراتك ؟ تقرب لك إيه عشان ...

ولم أكمل كلامى بسبب أتتى وجدتنى نجأة جالسا على الأرض ،  
على أثر لبكة شديدة فى صدرى من قبضة كرشة .

— مانطولش لسانك على الحاج يالوح !

ورفع قدمه يهدد برفصى فسكت وأبصرت زازا تجرى  
نحو الكوخ وهى تبكى ، دخلت وشفقت الباب وراءها . وواصل  
الحاج الغاضب صياحه بصوته الذى زاد الغضب من بخته .

— ودينى وأيمانى إن شفت واحد منكوه هوب عليها مافى

غير دهه !

ولوح بالمسدس أمام وجهى ، ومشيرا به إلى توتوالذى مازال نائماً .

— ودينى لأريبىكو يا ولاد الكاب ا أضاف الحاج وهو يولبنى

ظهره ويبتعد .

لكنه توقف وقد ذكر شيئاً .

— هات منه الشيك ا صاح الحاج يكلم كرشة .

وقبل أن يصل كرشة كنت قد أخرجت المذكور من عبي .

— هاط جطك البلا ا قال كرشة وهو ينتش الشيك من يدي .

وقصد به إلى الحاج الذي مزقه ونثره على الأرض ، ثم ابتعد ووراءه كلبه كرشة . والتفت لأرى توتو وقد بدأ ينتبه ، استوى جالساً وراح يهز رأسه ليفيق ، ثم رفع يده يتحسس ما في وجهه من جراح .

— كان ضروري م البوس الليلة دي ياسى زفت؟! اقلت له بغيظ .

فلم يتسّم توتو ، لأول مرة واجهني بوجه عابس . ثم نهض في صمت واتجه إلى البحر ، انحنى ليغرف الماء براحتيه ويغسل به وجهه . قبيل الغروب رأيتُه يفعل ذلك ، قبل أن يجلس لينشد أغنيته الغامضة الجميلة . راحت عليك ياتوتو ، يا أيها التمثال البرونزي الجميل . ويبدو أنها راحت على أنا الآخر وعلى زازا .

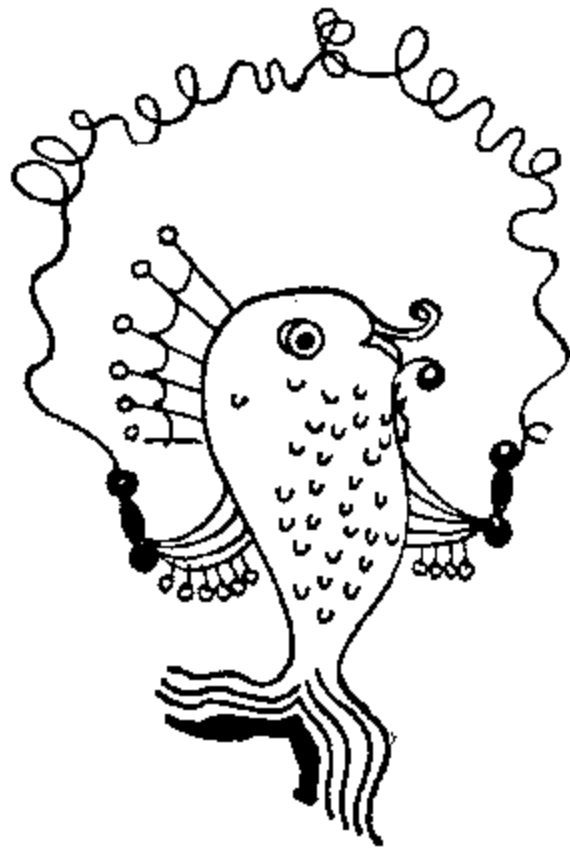
فنهضت وجلست وراء الكوخ بين العظام ، تبادلنا نظرة طويلة مع الجمجمة التي تأكدت أن ابتسامتها كانت ساخرة .

## الفصل التاسع



في الصباح جائعاً فقصدت إلى شجرة التفاح ، وجدت الحاج متربعاً تحتها والسبحة في يده ، دفتر الشيكات منشور بجانبه في الشمس لكي يجف . باب الكوخ مقفل على زازا التي يبدو أنها خصمتنا ، وكرشة يتسكع في آخر الجزيرة عند البحر ، وتوتو غير ظاهر ، لا بد أنه في مكانه المختار وراء جذع الشجرة . مررت بالحاج متجاهلاً إياه ، ومددت يدي إلى الشجرة لأقطف التفاحة . بالرغم من كل ما التهمه كرشة من التفاح مازالت الشجرة محملة بتفاح جديد بين أحمر وأخضر .  
— صباح الخير ، قال لي الحاج فجأة .  
فتظاهرت بأنني لم أسمع .

- والسماك جه منين ؟
- م البحر .
- ما أنا فاهم انه م البحر ، قال محاولا كتمان غيظه ، لكن مين اللى اصطاده ؟
- توتو .
- فسكت الحاج لحظة مفكرا .
- اصطاده بايه ؟
- بالخنجر بتاعه .



- فتفكر الحاج لحظة أخرى .
- كرشة ! صاح مناديا ، كرشة !

- صباح الخير يا أستاذ ! قال ملحا .
- صباح الفل ياسيدي ، أجبته بتريقة .
- وهممت بأن أبتعد بالتفاحة فناداني .
- يا أستاذ ! تسمح بكلمة ؟
- أفندم ؟؟ سألته ببرود .
- فابتسم الحاج .
- أنا طرف انك زعلان مني لكن حقك على ياسيدي .
- فلم أجب ، اكتفيت بأن نظرت إليه في كبرياء .
- إنت غلطت ف حتى ، أضاف ، وأنا غلطت ف حقك والمساح كريم .
- وشرح لي كيف أنه كان مضطرب الأعصاب بسبب حادث الفرق ، وكيف أنه لا يصدق حتى هذه اللحظة أنه قد كتبت له النجاة ، بالإضافة إلى أنني قد ضاعفت من اضطراب أعصابه بالفصل الذي عملته فيه أنا وزازا ، إلى آخر هذا النوع من الكلام .
- خلاص ياسيدي ، قلت له لأريحه ، اللى فات مات .
- وهممت بأن أبتعد فاستوقفتني .
- إلا بحق يا أستاذ ، هو شوك السمك ده جه منين ؟
- فابتسمت في سخرية .
- من السمك اللى كلناه امبارح .

فالتفت كرشة نحونا ورأى إشارة الحاج فأقبل مسرعاً ، غورياً  
شنيعة المنظر تدب على الرمال نحونا .

— ما تنزل يا كرشة تصطاد لنا سمكتين ؟

— سمكتين ؟ واصطادهم بإيه ؟

— بالخنجر ده .

وأخرج الخنجر من جيبه .

— خنجر ؟ هو الخنجر يصطاد سمك ؟

— آه . الراجل ده بيصطاد بيه ، إنت اقل منه ؟

— عمري ما سمعت ان الصمك ينصا بخنجر !

— روح جرب .

— أروح ، ، قال وهو يهز كتفيه في غباء .

وتناول كرشة الخنجر واتجه إلى البحر . وصير باب الكوخ

وبرزت زازا بقميصها الوردى ، وقع بصرها علينا فانقلب وجهها ،

وراح الحاج طلبة يتفحصها بنظرة غاضبة .

— ما لبستيش الجلابية ليه ؟ سأطها الحاج بمحدة .

فلم تجبه زازا ، نظرت إليه في ازدراء من فوق لتحت .

— ما تردى على !

فأصرت على الصمت والازدراء .

— أنا لسه متوضى ! صرخ الحاج ، طايزه تدنك عريانة خليكي  
جوه العشة .

فراحت تزغر له حيناً ثم بصقت ودخلت صافقة الباب خلفها .

وأسرعت أصابع الحاج التي تداعب حبات السبحة ، واشتغلت

شفتاه بالدمدمة . كانت لحيته قد تضاعف طولها ، فرفعت يدي

إلى لحيتي التي حدث لها الشيء نفسه .

— ما حسستش على دقنك النهارده يا حاج ؟ قلت له .

فرفع يده إلى لحيته وسرعان ما بدت عليه دهشة يمازجها الخوف .

— وبصيت لضوا فرك ؟

فرفع أظافره يتأملها بعين تضاعف ما فيها من الحيرة والخوف ،

فسرني المنظر حتى ضحكت .

— بتضحك ليه ؟ سألني .

— لا ولا حاجة .

— ليه صحیح ؟ سألني بضعف ، انت مخي على حاجة ؟

— لا ، بس حبيت أديلك فكرة عن الجزيرة دي !

وخطر لي أن أحكى له عن التفاح لكنني أمسكت ، حسبته اليوم

هذه الجرعة من المعلومات . وكان الخوف مازال مرتسماً في عينيه

اللتين راح يجيلهما حوله وهو يتشمم الهواء .

— يمكن الجو هنا فيه حاجة بظالة ؟ سألتني في ارتباك .  
— الله أعلم .

فصمت وزادت سرعة كل من أصابعه وشفتيه ، يستعيد بالخالق  
من شر ما خلق .

— مافيش فايضة ، قال كرشة وقد وصل فجأة ، ولا صمكة  
راضية تنصاد .

فصوب الحاج إليه نظرة ازدراء .

— ما انت طول عمرك حمار ! قال بغيظ .

— يا حاج طلبه هو إيه .. حد صمك إن الصمك ينصاد بمخنجر ؟

— واشمعي هو صاده ؟

— اكنه ابن .. قال كرشة شارحاً .

فسكت الحاج على مضض ، ودقيقة من التفكير ثم التفت  
إلى بابتسامة سخيفة .

— ماتخلي أخينا ده يصطاد لنا سمكتين ؟ قال برقة غير لائقة عليه .

— حلوة دي ! أجبتة ساخرا ، امبارح ترقعوه علقه والنهارده

مايزينه يصطاد لكو سمك ؟

فالتعت في عينه نظرة غيظ لكنه كبجها .

— كله يمكن يرضى ، قال مغرباً ، نراضيه بقرشين .

— إنت معاك فلوس يا حاج ؟

— أكتب له شيك .

— والله معرفش إذا كان توتو يفهم في الشيكات ولا لا .

— وشيك عشان إيه ؟ جأر كرشة معترضاً ، هو موش

ح يطفح معانا ؟

— أيوه لكن ح يشتغل ، قال الحاج بلهجة إباء ، وما دام

ح يشتغل لازم ياخذ أجرته .

ثم التفت إلى بظرف زائد .

— قوم كله والنبي ياسى أحمد !

سى أحمد ! وبالأمس - قبل أن يجوع الوغد - كنت ندلا

وابن كلب ! وتناول الحاج دفتر الشيكات وبدأ يكتب .

— عشرة جنيه كويسين ؟ سألتني .

— عشرة جنيه ! قال كرشة محتجاً ، دول يجيبو طرناطة صمك .

فتفكر الحاج لحظة .

— طب والله لادى له عشرة ، قال بلهجة سخاء .

وكتب الشيك وناول له لي فنهضت قاصداً به إلى توتو ، أنا الآخر

جمت واشتهيت السمك .

— تاخده وتصطاد لنا سمكتين ؟

فرفع إلى نظرة بلهاء من حيث جلس مستنداً إلى جذع الشجرة ،  
وأحسست أنا الآخر أن سؤالى بالغ السخافة .

— طاوزين ناكل يا بنى ، قلت له مناشداً ، جمعنا .

وأشرت إلى البحر وإلى فى وإلى بطنى الخاوية ، فلم يزد الوغد  
عن أن هز رأسه وابتسم . أدركت بعد حين أننى أنفخ فى قرية مقطوعة .

— أما ابن كلب صحیح ! قال الحاج فى غيظ حين عرف  
نتيجة مسعاى .

ثم التفت إلى بنظرة يمزج فيها الرجاء بالخجل .

— ماتكم اسمها إيه ، قال مشيراً برأسه نحو الكوخ .  
— زازا ؟

— آه ، يمكن تقدر تقنعه !

فواجهته بابتسامة صفراء ، صفراء إلى الدرجة التى جعلته  
يغض النظر .

— بقى بعد ماضربتها امبارح ، قلت له ساخرا ، عايزها النهارده  
تتوسط لك ؟

— وهى موش ح تاكل معنا ؟ سألتنى فى غيظ ، وهو انا  
ح اشغلها ببلاش ؟ هى رخره ح ادفع لها قرشين .

فأدركت أنها فرصة لكى أرى مشهداً لطيفاً .

— زازا ! صحت منادياً ، زازا !

فلم يفتح باب الكوخ .

— زازا ! أعدت النداء ، تعالى طازينك فى كلمة .

فانفتح الباب عن زازا ، واضعة يدها على خصرها تنظر إلينا  
متحدية .

— ممكن تيجى لحظة ؟ صحت أكلمها ، الحاج طازينك حاجة .

فوقفت حيناً ترمقنا فى ازدراء ، ثم بدأت تتقدم منا متقصعة

ويدها ما برحت على خصرها . نمرة متحفزة تقرب منا ، روح

التحدى تتناثر من كل هزة فى كل جزء من جسمها تحت القميص

الوردى . الحاج ثبت بصره عليها لحظة ثم أشاح عنها بوجه مكفهر .

— أفندم ؟ سألتنا فى برود حين وصلت .

— الحكاية وما فيها ، أخطرتها باقتضاب ، إننا جمعنا وعايزين

توتو يصطاد سمك .

— طب وانا مالى ؟ قالت أخيراً ، شأنى إيه أنا ؟

— أصلى كلمت توتو فى حكاية الصيد مارضيش ، شرحت لها ،

والحاج طلبة شايف يعنى ان لكى دالة عليه ، فيقول يعنى لو أمكن

يعنى تروحي له اتنى وتحاولى تقنعيه .

— بقى كده؟ نطقت آخر الأمر بلهجة تقطر سماً، سى الحاج  
جاع وعازنى ا كلم له توتو؟

وسكنت لحظة ثم استرسلت .

— واشمعنى انا اللى اروح اقنعه؟ ماتعرفش تقنعه انت

ياسى الحاج؟

فاحمر وجه المذكور حيث جلس يتشاغل بالتسبيح .

— هو اتى ح تقنعيه ببلاش؟ صرخ فيها فجأة ، ح اكتب،

لك شيك! إتنى شيك وهو شيك، الله!

— خلى شيكاتك لروحك يادلمدى ، أجابته وهى تخلم أمامه

رقبة السخرية ، مابنا كلش م الكلام ده ياسى الحاج!

وبنظرة ازدراء أخيرة أولتنا ظهرها وعادت إلى الكوخ ،

وقفت عند الباب ترمينا بنظراتها .

— آل اقنعه آل ، ههىء!

ضحكة خليعة ثم دخلت وشفقت الباب .

— أما بنط... صحيح! قال كرشة وهو يضرب كفاً بكف .

أما الحاج فلم يقل شيئاً ، وكلام كثير كان يمكن أن أوجه

إليه على سبيل الشماتة لكننى أمسكت .

— تسمح لى بالخنجر لحظة يا حاج؟ سألت المذكور .

فتردد لحظة ثم ناوله لى .

— إيه؟ تساءل كرشة بفرح ، ح تصطاد لنا صمك؟

— لا ، أجبته ، ح احلق دقنى .

وأعملت الخنجر فى لحتى بالتهذيب ثم فى أظافرى بالتهذيب ،

ح يبقى لا أكل ولا عياقه؟

— يا صلام يا صيدى ، الشياكة واخدة حدها قوى! قال كرشة

وبسق على الأرض .

وقبل أن أرد الخنجر إلى الحاج طلبت رصمت على جذع شجرة

التفاح علامتين ، بعدد اليومين اللذين مرا علينا فى هذه الجزيرة

اللعيينة . إذا كنت سابقى هنا حيننا نجدى بى أن أعرف كم من

الزمن بقيت .

وارتفعت الشمس فى السماء وبدأ الجوع يقرصنا ، هل يستطيع

أحد أن يعيش على التفاح وحده؟

زازا معتكفة فى العشة ، وتوتو مخنبيء وراء جذع الشجرة ،

والحاج طلبتة يصلى الظهر . وكرشة نزل ثانية يحاول صيد السمك

وعاد خائباً .

— بس لو تصيبنى عليه يا حاج! قال كرشة للحاج بعد أن صلى ،

والله مافى غير قلمين اطينين وينزل يصطاد زى الكلاب!

فلم يجب الحاج ، وصرير باب الكوخ الذي خرجت منه زازا  
جأة . على عجل مرت بنا دون أن تكلمنا ، مسحتنا وهي تمر بنظرة  
ازدراء شاملة . فراقبناها وهي تبتعد نحو جذع الشجرة ، دارت  
وراءه واختفت .

— إياك تكون جاءت وراحت تقنعه ، قلت للحاج طلبة .

ومرت دقيقة قبل أن تبرز زازا من وراء جذع الشجرة .

— يظهر انه موش راضى يقتنع ، قلت معلقاً .

— ياما نفصي اشوفها بتقنعه ازاي اقال كرشة .

لكن الحاج لم يتكلم ، منشغلاً بالتسبيح يزغر لجذع الشجرة .

ثم برزت زازا وهي تجذب توتو من يده .

— لا والله ، قلت بفرح ، يظهر عرفت تقنعه ا

لكن توتو لم ينجذب لزازا بل حدث العكس ، هو الذي

جذبها فاختميا حيث كانا وراء جذع الشجرة . ثم رنت من زازا

ضحكة عالية ، وبرزت وهي تجري وتوتو وراءها . فلما حصلها

طوق بذراعه خصرها وراح يجذبها — وهي تقاومه ضاحكة —

حتى اختميا وراء الجذع من جديد .

الحاج طلبة راقب المنظر — أعنى تخيله — بعينين جاحظتين وفم

مفتوح جمدت التسابيح عليه . ومن وراء الجذع وصلتنا من زازا

صرخة ضاحكة نفرت لها عروق الحاج واحمرت عيناه .

— كرشة اقال جأة بصوت مختنق ، قوم له ا  
فما كاد كرشة يسمع كلمته حتى وثب يجري ككلب الصيد ،  
وفي طريقه أخرج الخنجر من حزام سرواله .

— ده ح يقتله يا حاج ا قلت في لهفة وأنا أنهض .

فلم يجب الحاج ونهض هو الآخر ، بتؤدة راح يسير نحو جذع

الشجرة في حين انطلقت أنا أجري . الحمد لله ، وجدت أن الجريمة

لم تقع — لم تقع بعد على الأقل . كان ذراع كرشة مرفوعاً إلى أعلى

وقد قبض توتو على معصم يده المسكة بالخنجر . صراع العضلات

الرهيب بين الرجلين ، بين ذراع كرشة الذي يريد أن يهبط بالخنجر

إلى جسم توتو ، وقبضة توتو التي تحاول إبقاء الخنجر بعيداً .

لكن عضلات كرشة كانت أقوى ، أخذت يده المسكة بالخنجر

تهبط شيئاً فشيئاً ، وذراع توتو يرتعد محاولاً إيقافها بلا فائدة .

— يا حاج حوشه ا هتفت في فزع ، ده ح يقتله ا

— حوشه يا حاج ابوس إيدك ا صرخت زازا .

فلم يجب الحاج ، ا كتنى بأن أخرج المسدس من جيبه ووقف

يرقب المشهد ، وكان الخنجر قد لامس عنق توتو .

— يا حاج حوشه انا ف عرضك ا صرخت يائساً .

لكن الحاج لم يحرك ساكناً ، فأدركت أنني يجب أن أتصرف

بسرعة لإنقاذ توتو .



رفعت قبضتي وأهويت بها على يد الحاج بكل قوتي فإذا  
بالمسدس يسقط منها على الأرض . فأنحنيت بسرعة البرق وخطفته ،  
وثبت به نحو كرشة .

— سيب الخنجر ده ! صرخت فيه مهدداً ، ارميه حالا !

رأى كرشة للمسدس في يدي فبدت في عينيه دهشة يمازجها  
بعض الخوف . فلما رأى أصوب المسدس إلى وجهه وأبدأ في الضغط  
على الزناد صار خوفه رعباً واضحاً وترك الخنجر يهوى إلى الأرض ،  
فالتقطته وأصبحت أنا سيد الموقف . فرح وحشي جرفني ، وإحساس  
مخيف بالقوة والسلطان .

— ما حدش يقرب مني ! صرخت فيهم جميعاً ، ابعدوا عني !

يدى اليمنى تصوب المسدس واليسرى تشهر الخنجر ، تراجعت  
خطوتين لكي أكون على مسافة مأمونة منهم .

— جرى إيه ياسى أحمد؟ سألتني الحاج بلهجة عتاب ، هو

المسدس ده بتاعك؟

— دلوقت بقى بتاعى ! صرخت فيه وأنا أتراجع خطوة أخرى .

— ياراجل ما تقولش كده ، قال بابتسامة صفراء ، ناولنى

المسدس ناول !

وإسط يده واقترب مني خطوة .

— خليك عندك ! . صرخت وأنا أبتعد خطوة .

لكنه ما برح يقترب مني .

— ياراجل اعقل ، قال لى بنفس الابتسامة ، بلاش صغرنة !

وتقدم خطوة أخرى شجعت كرشة فبدأ هو الآخر يتقدم .  
الحاج طلبه بإسط يده يتسم وكرشة جاحظ العينين متدلى الفك ،  
كلاهما يقتربان مني ببطء كأنهما لا يبصران السلاحين اللذين في يدي ،  
أو كأنهما يعرفان أنني لن أستخدمهما .

— ابعدوا عني لا ضرب ! صرخت بصوت مبجوح .

لكن صوتي لم يعجبني ، وعرق بارد تصبب على جبيني ،  
فيبدو أنني لن أستخدم أسلحتي فعلاً . رصاصة واحدة يمكنها  
أن تودي واحداً منهما وترهب الآخر لكنني فيما يبدو لن أطلقها .  
لم أطلق رصاصة واحدة في حياتي ، لم أقتل ذبابة فكيف أقتل الآن  
إنساناً؟ المسدس والخنجر في يدي وأنا الذى أتقهقر أمامهما ،  
أمام الحاج الباسم والغوريلا اللاهثة . وكما يحدث لكثير من الناس  
الذين يسيرون إلى الورا تعثرت قدمي في شيء ما على الأرض  
فإذا بي أترنح وأسقط على ظهري . وفي غمضة عين شعرت بشيء  
ثقيل يرتمي فوقى ، لم يكن صعباً أن أميز فيه جثة كرشة . بيده  
اليسرى سحب المسدس من يدي ، وبيده اليمنى سحب الخنجر ،

ثم استوى جالساً على بطنى وهو يزغرى صامتاً . لم أعرف سر صمته إلا بعد لحظة ، عندما غمرت وجهى البصقة التى كان يحوشها فى فيه .

— أفتح كرشة يا حاج ١٢ قال المذكور حيث جالس فوقى .

— لا سيبه ، قال الحاج باسماء ، ده راجل طيب ا

فبدا الأسف على وجه كرشة .

— والله نفصى أوضبه ، قال وهو ينهض عنى .

المسدس عاد إلى يد الحاج طلبه والخنجر عاد إلى يد كرشة ، كلاهما بدأ يزحفان نحو توتو .

— انزل اصطاد يا بن الكلب ا قال الحاج لتوتو وهو يشير

إلى البحر ، ارمى له الخنجر ع الأرض يا كرشه ا

فتردد كرشة لحظة ثم ألقى بالخنجر بالقرب من توتو .

— قولى له ينزل يصطاد ، قال الحاج لزاا ، ودينى ان ما نزل

لا سيح دمه ا

تناولت زازا الخنجر بسرعة وقدمته إلى توتو .

— انزل والنبي ياتوتو ، قالت له راجية وهى تطبطب على ظهره ،

عشان خاطر ياتوتو ا

فتناول توتو الخنجر ، تقبضت يده عليه كما تقبضت كافة

عضلاته ، فرفع الحاج المسدس وبدأ يضغط على الزناد .

— انزل ياتوتو ا صرخت زازا فى يأس ، أبوس إيدك انزل ا  
فظل توتو يحملق لحظة إلى فوهة المسدس وقد بدا عليه الخوف ،  
وما لبث أن أولانا ظهره واتجه إلى البحر فى صمت .

— اقف اتفرج عليه عشان تتعلم منه ، قال طلبه لكرشة .

وانتهت أنا إلى أنتى ما زلت جالساً على الأرض فنهضت وأنا أمسح  
عن وجهى بصقة كرشة .

والثفت الحاج إلى ، رمانى بنظرة قاسية وهم بأن يقول  
شيئاً ثم عدل . والمسدس وضعه فى جيبه وقصد إلى جذع الشجرة  
فجلس بجانبه ليرقب الصيد .

أنا نظرت إلى زازا التى راحت تنقل بين الجميع نظرات حائرة .

— متأسف يا زازا ، قلت لها بالإنجليزية ، يظهر أنى مقدرش  
اقتل أبدأ .

فراحت ترمقنى بما خيل إلى أنه نظرة احتقار .

— على كل حال كتر خيرك انك أنقذت حياته ، قالت أخيراً .

— النبي عربى يا حضراط ا أخبرنا كرشة .

فسكتنا .

فى أقل من ساعة كان توتو قد صاد — بعددنا — خمس سمكات ،

ثم أعد الوقود وأشعل النار وجلس يشويها حتى نضجت .

— شيل السمك ده يا كرشة ! قال الحاج ، وديه لى هناك  
تحت الشجرة .

فحمل كرشة السمك وسط نظراتنا المندهشة واتجه به إلى شجرة  
التفاح ، أما الحاج طلبه فأخرج دفتر الشيكات والقلم وكتب شيكا .

— السمك ده يادوبك على أدغدايا ، قال لزازا ، ماوزين تا كلو  
خلوه يصطاد تانى . وآدى شيك بخمسة جنيه اديه لسي زفت ! آه ،  
أنا احب آكل بفلوسى .

لم تمد زازا يدها نحو الشيك ، وقفت تحرق الحاج بنظرة  
ازدراء . فألقى الحاج بالشيك على الأرض وانقلب نحو شجرة التفاح .

— شوف ابن الكلب اقلت لى زازا ، شوف السافل !

فوجدتني فجأة أضحك وأضرب كفا على كف ، ثم وجدت  
أنه لامناسبة للضحك فكففت .

— مكسوفة اقول لتوتو يصطاد تانى ، قالت زازا .

— والله لى حق ، أجبتها باستسلام .

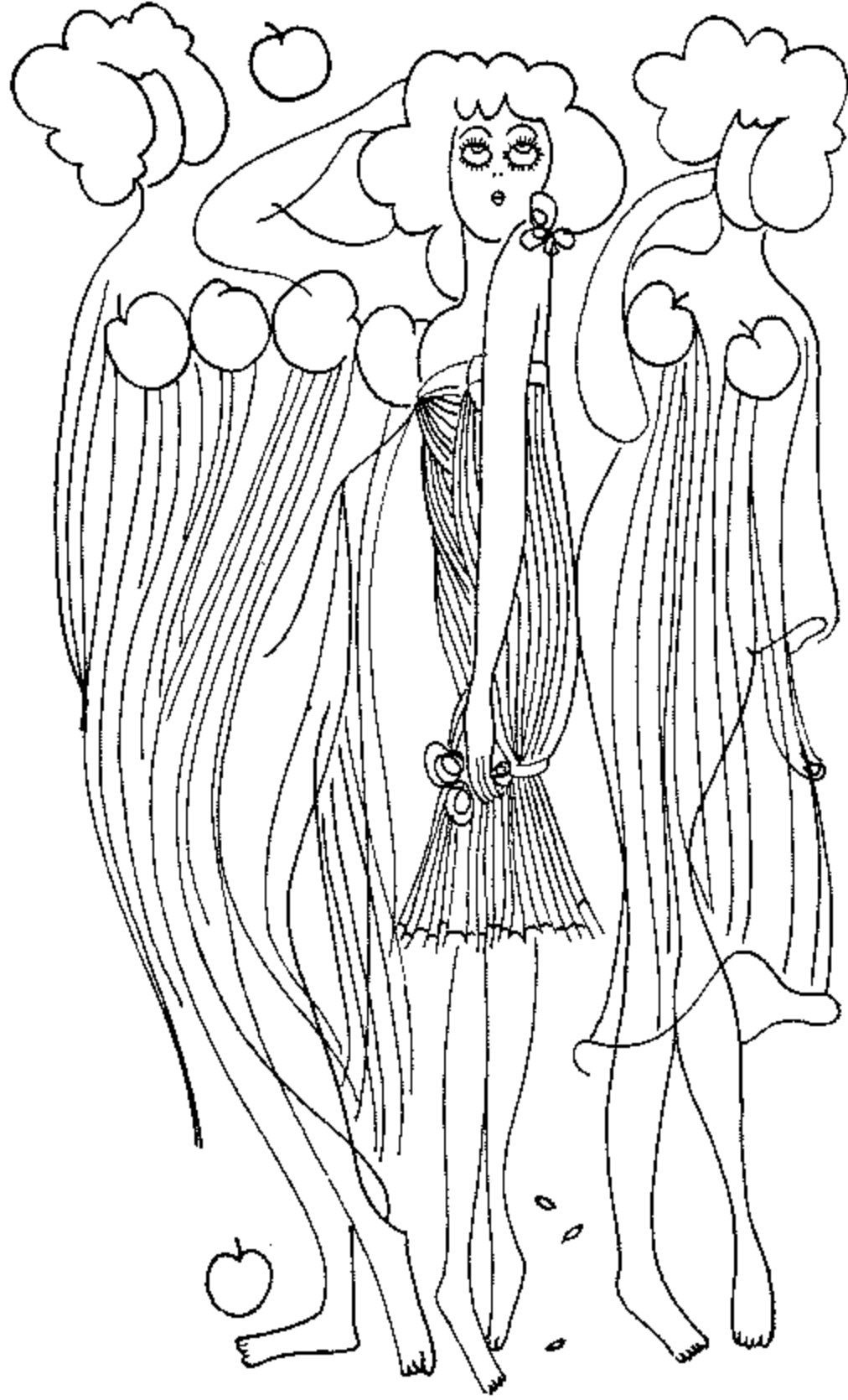
— تزازا ! قال توتو فجأة وهو يبتسم .

وبسرعة راح يجرى بالخنجر نحو البحر ، عاود الصيد من جديد .

## الفصل العاشر



توتو ثلاث سمكات تشار كنافيهاهو وزازا وأنا ، أكلت  
سمكتى من فرط الجوع حتى ذيلها . والحاج طلبه كما فهمت  
أكل فى الغداء سمكتين وأعطى كرشة واحدة ، واحتفظ باثنتين  
للعشاء . زازا أكلت واعتكفت فى العشة ، وتوتو لاذ بمحله المختار  
وراء جذع الشجرة ، أما أنا فذهبت لأنام حيث تنام الجمجمة . نمت  
وصحوت عدة مرات ، فى كل صباح أضيف علامة جديدة على جذع  
الشجرة ، صارت العلامات كلها سبع علامات . وبالخنجر أهدب  
لحيتى أيضاً ، وأقص أظافرى التى تصر على أن تتحول فى اليوم  
الواحد إلى مخالب . ثم ينتقل الخنجر إلى توتو الذى صار كل يوم  
ينزل للصيد من نفسه ، جانب من السمك يأخذه الحاج وكرشة



في مقابل شيك ، والباقي أشارك فيه مع توتو وزازا . فإذا جلسنا مع زازا فعين الحاج طلبة دائماً علينا ، أو كرشة يحوم حولنا من بعيد ، لكي يستوثقا من أنه لا يوجد في جزيرتنا حب . ونسيت أن أخبرك أن زازا قد اضطرت إلى ارتداء جلباب كرشة ، وذلك بعد مشاجرة بينها وبين الحاج كادت تنتهي كالمشاجرة السابقة بالضرب . قصرت ذيل الجلباب لكي يناسبها وحولت الكم الطويل إلى كم قصير ، والجزء الذي قصته من الذيل صنعت منه حزاماً ربطته حول خصرها . بالرغم من فكاهاة منظرها لم تزل شبيهة فائنة .

— والله عال يا كرشة ، قال المذكور متصعباً ، عشط وشفط

جلابيطك فسطان !

ورفعت زازا ذراعها لكي تهersh تحت إبطها .

— والنبي الجلابية دي ماهي خالصة ، قالت وهي تهersh بشدة ،

ياريتني جيت معايا دي دي تي !

وظللت مدة على خصام مع الحاج طلبة ، أمحاشاه ويتحاشاني

ولا نتبادل حتى تحية الصباح .

ثم بدأ هو بإعادة العلاقات .

— اللي مافي مركب واحدة فانت ، قال لي في غيظ ، ولاجنس

مركب توحيد الله !

ورفع يده يتحسس لحيته المتدللية ، إذ كان لا يهذبها كثيراً .  
سرح بصره في أرجاء البحر يبحث عن سفينة ، البحر العريض  
الصامت صمت القبور ، والأفق المستدير الذي يحاصرنا من كل  
ناحية كطوق من حديد .

— أنت موش بتقول انك مهندس مراكب ؟ سألتني فجأة .

— أظن قلت حاجة زي كده ، أجبتة بجفاء .

فتجاهل جنائى وسكت لحظة يفكر .

— طب ماتبنى لنا مركب ؟ قال بتردد كأنه هو نفسه

يستسخر الاقتراح .

— بس كده ؟ أجبتة بتهمك ، بكره الصبح تكون المركب

جاهزة !

— أنا موش باهزر ، قال وهو يحاول كتمان غيظه ، أنا

باتكلم جد .

— طيب ممكن ولا مؤاخذة تدينى فكرة أبنيا بابيه ؟

فأشار إلى جذع الشجرة المقطوع .

— شوية هندسة ويبقى مركب ، أخبرنى .

رجل غويط - قلت فى نفسى - خطرت له نفس الفكرة التي

خطرت لى مرة وأنا أهذب لحيتى ، لكن أين الأدوات التي تحول

الجذع إلى مركب ؟

— فين عدة الشغل ؟ سألته .

— الخنجر والمنشار وشوية صبر !

تماماً كما خطر لي مرة وأنا أقص أظافري ، وغد ما كر .

— شوية صبر يا حاج ؟ سألته لاثماً .

— طولة البال تهد الجبال ، واحنا اربع رجالة طول وعرض !

ثم ضيق عينيه ورمقني بنظرة خبيثة .

— تاخذ كام وتبنيها ؟ سألتني بلهجة كريهة .

فرايت أن أفكر قبل أن أجيب . هي فكرة لا تخلو من

الوجاهة لمن يريد أن يغادر الجزيرة ، ومن منا لا يريد مغادرتها -

على الأقل بعد وصول سيادة الحاج وكلبه كرشة ؟ فإذا تم تحويل

الجذع إلى زورق ونجحنا في الخروج به إلى البحر العريض ، أليس

من المحتمل أن نصل إلى أرض أهلة بالسكان ؟ وإذا نجحنا في ذلك

فلماذا لا أكون قد خرجت من هذه المحنة بمبلغ دسم ينفعني

في مستقبل حياتي ؟ إنني في جميع الحالات لن أضرب شيئاً .

فتنحنت قبل أن أتكلم .

— ألف كويس يا حاج ؟ سألته ببساطة .

— ألف اهتف الحاج ، ألف إيه ؟

— ألف جنيه طبعاً ، قلت بهدوء .

— ألف جنيه ا زجر الحاج ، هي نهية يا أستاذ ؟

فرشقت إيهامي في جمالة الفانلة .

— موش عاجبك شوف لك مهندس غيري ، أنا تسعيرتي كده ،

أجبتة بكبرياء وأنا أنصرف عنه .

وعلامه ثامنة وتاسعة رسمتها على جذع شجرة التفاح ، صارت

هناك عشر علامات . وزازا أقبلت لتقطف تفاحة ، ثم جلست

على الأرض تأكلها وقد شرد بصرها إلى البحر .

— احنا لازم نشوف لنا حل ، قالت أخيراً ، شوف لازم

يعنى إيه ؟

— حل لإيه ؟ سألتها باسمها .

— للعيشة الهباب دي !

— عندك فكرة ؟

— المصيبة ان ما عنديش ، إنت اللي عامل لي فيلسوف .

— تنفع بايه الفلسفة قدام مسدس وخنجر وغوريلا ؟

— أنا عارفة ليه ما غرقوش ؟ كانت ساعة نحس يوم ماطلعوا !

أى والله ، كانت شفتاي على شفتيها ، وكان توتو ينشد أغنية

جميلة في ضوء الشفق الأحمر .

— جينا سيرة القط ا قالت زازا .

إذ أقبل الحاج طلبة علينا وراح ينقل بيننا نظرة فاحصة ليتأكد من أننا لآنحِب بعضنا ، ثم مد لي يده بورقة تبينت أنها شيك .

— خد ياسيدي ولا تزعل ، قال بسخاء ، آدى شيك بخمسيت جنيه .

فنفخت ساخرا .

— يا حاج طلبة أنا موش بتاع فصال ، أفهمته، أنا عمري ماخدت مقاوله باقل من ألف جنيه .

فرمقنى بغيظ يحاول أن يداريه بابتسامه صفراء .

— ياراجل ماتبقاش طماع ا هوانت موش ح تركب معانا فيها؟ فرفعت يدي لأقلل الموضوع .

— أرجوك يا حاج ، ما تضيعش وقتك ووقتي .

وأوليته ظهري فحذبنى من حمالة الفانلة .

— طب خليم سبعمية ، قال مساوما .

— ألف يعنى ألف .

— طب تمنية .

— ٩٩٩ لا ، أجبتة بحزم .

فلاً صدره بالهواء ونفخ ، ثم مزق الشيك الذى فى يده وشرع يكتب شيكا آخر .

— ياساآر ، دنت صعب بشكل ا قال وهو يناولنى الشيك الجديد بالألف .

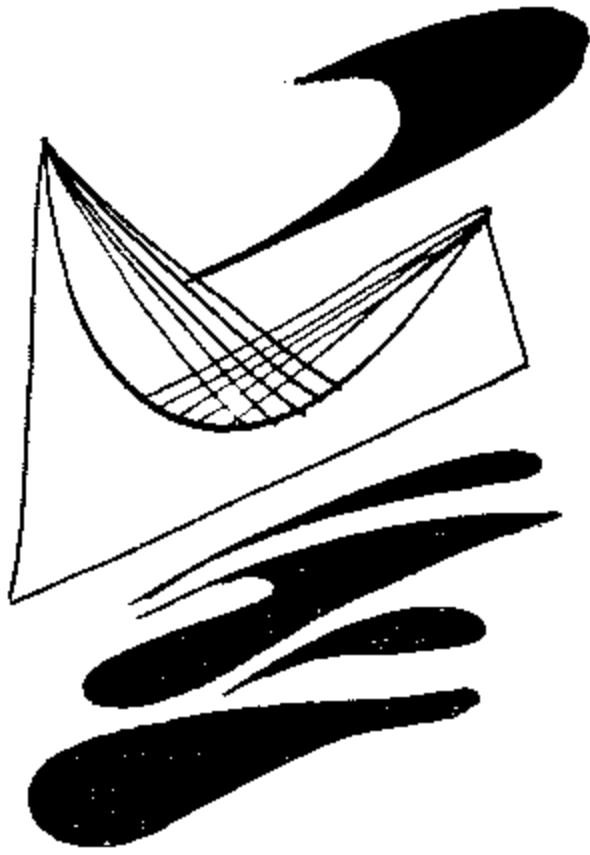
تناولته ببساطة لكى لا يكتشف فرحتى بهذا المبلغ الذى لم أقبضه قط فى حياتى ، طويته ودسته فى عبي . وكانت زازا تتابع حديثنا بعينين واسعتين .

— ألف جنيه بتوع إيه ؟؟ تساءلت فى دهشة، إانت ح تعمل إيه؟ فرشقت إبهامى من جديد فى حمالة الفانلة .

— ح ابني مركب ، قلت لها ببساطة وأنا أتجه نحو جذع الشجرة فى خيلاء .

لكننى كنت أشعر أن فرحتى بالصفقة ليست خالصة ، وخزة من الشك تفسدها على . فن أدراى — كما تساءلت مرة قبل ذلك — أن شيكات الحاج طلبة لها رصيد هناك ؟





## الفصل الحادى عشر



يكن إغراء توتو بالعمل صعباً ، كان توتو دائماً  
يجب العمل . وكان سريع الفهم لما أكلفه به ،  
بعكس كرشة الذى كان لا يفهم الشئ إلا بعد أن يعاد عليه مرات .  
وأنا على أى حال لم أكلفهما بالكثير ، لاشئ غير الحك في ظهر  
الجذع بالخنجر والأداة الصخرية الأخرى ، تلك العملية التى نرجو  
أن تؤدي على مر الزمن إلى تفريغ الجذع من الداخل وتحويله  
إلى زورق .

— موش ترسم لهم علامات على الخشب ؟ سألتنى الحاج .  
— لسه بدرى ، أجبته بإيجاز على .

لم أكن مجنوناً حتى أرسم لهم خطوط العملية الكاملة  
واكشف عن أوراقى كلها مرة واحدة . أنا الآن مهم لأننى مسئول  
عن بناء المركب ، ولكى أحتفظ بهذه الأهمية يجب أن أقدم  
تعليماتى بالقطارة .

— اشمنى سى طوطو يشتغل بالخنجر وأنا بالهبابة دى ؟ تساءل  
كرشة .

فجعلتهما يتناوبان استخدام الخنجر .

— وانتو ان شاء الله ح تقعدوا تنفرجوا عليهم ؟ ! تساءلت  
زازا ساخرة منى ومن الحاج طلبه .



— إزاي بقي؟ قال الحاج معترضاً ، لازم كلنا نشتغل .

وتناول الخنجر من كرشة وراح يعمل في الخشب نحو ربع ساعة ، لم يتوقف إلا عندما تذكر فجأة أنه يجب أن يتوضأ ويصلي الظهر .

— خد يا باشمهندس ، قال وهو يناولني الخنجر .

فرحت أشتغل بدوري نحو ربع ساعة ، لم أتوقف أنا الآخر إلا عندما خطرت لي فكرة هندسية تحتاج مني إلى ساعة من الحسابات على الورق .

— والنبي تابعين نفسكوع القاضي ! قالت زازا وهي ترقب العمل .

— والله انا برضك باقول كده ، وافقها كرشة .

وكانت عملية خرافية حقاً ، محاولة تفرغ الشجرة بخنجر وقطعة صخر . والشمس قطعت رحلتها عبر السماء ومالت للغروب ولم يحدث في الجذع أكثر من بعض الخدوش الشبيهة بما كان فيه من البداية .

— الصبر يا جماعة ، الصبر ! قال الحاج طلبة حيث جلس يسبح بعد صلاة المغرب .

وتعدينا مثلما تعدينا بالتفاح فقط ، لم يوافق الحاج على تضييع وقت توتو في صيد السمك وشيه .

— آهه يوم ممك ويوم تفاح ، قال الحاج بعد أن صلى العشاء .  
وبحلول الظلام كان ضرورياً أن يتوقف العمل ، الليلة ليست مقمرة والنار التي أشعلناها لم تكن كافية . خستنا جلسنا حول النار في صمت ، وهيج النار يلقي على وجوهنا ظلالاً متراقصة .

— مطهياً إلى الدنيا برضت شوية ، قال كرشة وهو يدعك بيده صدر الغوريلا .

وكان الجو قد تغير فعلا عن ذي قبل ، لم يعد جو الصيف الذي يستحب فيه نوم الخلاء . عشر علامات رسمتها على الشجرة ،  
أيمكن أن تكون كافية لانتهاء الصيف الذي لم يبدأ إلا منذ شهر واحد ؟

— تفكر الشغلانة دي تاخذ لها أد إيه يا باشمهندس ؟ سألني الحاج طلبة .

— شهرين .. ثلاثة .. أربعة ..

— قول خمسة سطة صبعة ا قال كرشة .

— قول ثمانية تسعة عشرة ا قالت زازا ضاحكة .

ثم نهضت متهيئة للانصراف .

— تصبحوا على خير يا حضرات ا قالت وهي تبتعد .

تبتعد وهي تترنم بأغنية إنجليزية ، تلك الأغنية التي تبينت بعد

قليل أنها ليست أغنية ، وإنما هي كلمات عادية لحنها زازا موجهة إليها إلى شخص يعرف الإنجليزية .

— ألا يمكنك ، ترنمت ، بعد أن يناموا ، ترنمت ، أن تأتي إلى الكوخ قليلاً ؟

فكاد قلبي — وقد فهمت — يقفز من حلقى ، فمن غيرى يعرف الإنجليزية حتى توجه إليه هذا النداء ؟ وابتعدت زازا وهي تترنم على إيقاع من دقات قلبي ، ستة عيون غيرى راقبتها وهي تراقص نحو الكوخ في جلباب كرشة .

— ماوزين ننام علشان نصحى للشغل بدرى ، قال الحاج طلبة حين أقفل باب الكوخ على زازا .

— آهه ده عز العقل ! أجبتة وأنا أنطرح على الأرض .

وانطرح الحاج هو الآخر غير ناس أن يحكم ثني جلبابه على جيبه ، وكرشة نام على ظهره كالقتيل . أما توتو فتركنا ومضى إلى ماوراء جذع الشجرة . فأغلقت عيني متظاهراً بأننى سأنام ، كأن رجلاً يستطيع أن ينام وفي صدره هذا القلب المجنون .

عقدت يدي تحت رأسي ورحت أحاول ترتيب أفكارى المحمومة . هل ألبى النداء وأذهب إلى زازا ؟ إنى أعرف أننى سألبيه حتماً ، كيف بالله عليك لا أفعل ؟ لكن أليس جديراً بي أن أفكر في العواقب ؟ رصاصة تستقر في صدري أو خنجر يفوس في بطني ،

أو على الأقل علقه حامية تحطم ضلوعى ؟ لكنهم من ناحية أخرى لا يستطيعون اليوم إيذائي بشدة ، أنا المهندس الذى فى يده خلاصهم . لا أظن أن أحداً سيقتلنى أو حتى يضربنى ، سيكتفون فى أغلب الظن بتهزئى ، فمن الذى لا يغامر بالتهزىء تلبية لأغنية زازا ؟ من لا يفعل ذلك فلا شك أنه مهزأ من الأصل .

ارتفع غطيظ كرشة فازداد خفقان قلبي ، وازداد أكثر عندما أجابه شيخير الحاج طلبة . لكننى لم أنهض من فوري ، انتظرت حتى يغرقا فى النوم . نعم أنا للمهندس الذى سيخرجهم من هنا ، جدير بي أن أستمتع ببعض الامتيازات . بأى حق يتحكم فى الحاج طلبة ويعلمنى مبادئ السلوك ؟ الشيك الذى أعطاه لى هو أجرى عن العمل ، أما حريرتى فلا أذكر أننى بعته لأحد .

غرق الرجلان فى النوم فنهضت بحذر شديد ، جثوت على يدي وركبتي ورحت أزحف نحو الكوخ . فى الظلام أسمى نحو الكوخ كالحيوان ، أليس غريباً أن يسمى الرجل إلى الحب وهو يسير على أربع — خاصة وهو رجل مهندس ؟

فلما بلغت باب الكوخ لم أطرقه وإنما نقرت عليه بأظفارى ، سرطان ما انفتح بصريير خافت .

— أنت فين؟ أتاني صوت زازا .

— أنا ايه! أجبته هامسا من حيث جنوت .

— ومالك ماشى كده؟ سألتني في دهشة حين رأته .

— هس! قلت لها محذراً .

ودفعت الباب برأسى ودخلت ، مصراً لمحب لا أدريه على مواصلة السير على أربع . فلما أقفلت زازا الباب نهضت كالمحموم أتلمسها في الظلام .

— أنت . . .

— هس! قاطعتها من جديد ، بلاش كلام ليسمعونا!

وألقيت ذراعي حولها وضممتها إلى صدري ، بقوة نهلت من عطرها في شراهة رجل عطشان ظمآن صديان وقعت يده — بعد أن كاد ييأس — على شوب بيرة مثلجة . وسمعت من تلاحق أنفاس زازا ما دلني على أنها لا تختلف عني كثيراً . لحظة من النشوة ما كان أمتعها ، وما كان للأسف أقصرها . إذ شعرت بشيء يرتطم بظهري حيث وقعت ، باب الكوخ الذي انفتح فجأة بعنف مع صوت الحاج طلبه .

— والله عال يا باشمهندس! والله عال قوى ، عال قوى قوى!

فالتفت لأواجهه هو وكرشة ، كرهتهما كما لم أكره أحداً

من قبل . وكان كرهى مشوباً بشورة مدمرة ، قررت فجأة أن أطالب بحريتي .

— هو إيه اللي والله عال؟! صرخت في وجهه ، أنت مالك ومالى؟! بأى حق تدخل علينا؟ حاشر نفسك بيننا ليه . . .

— لا يا شيخ! جأر الحاج طلبه ، ولك عين تتكلم كمان؟ أنت فاكرنا إيه يا أستاذ؟ فاكرنا قوادين واللا إيه؟

ومن صوته عرفت أنه لن يقبل ثورتى ، فرأيت أن أحاول حل المشكلة بالمنطق البارد — إذا كان للمنطق البارد يمكن أن يحل شيئاً .

فنفخت كل الهواء الذى فى صدري وخرجت من الكوخ . — بقى صلى ع النبي يا حاج ، قلت له بأهدأ صوت عندي ، أنا باحب زازا وعائز أتجوزها ، عندك مانع؟

فسكت لحظة يستوعب كلامى .

— تتجوزها؟ سألتني بعد حين ، تتجوزها ازاي بقى؟

— زى كل الناس ما بتتجوز؟

— وفين للأذن اللي يجوزها لك؟

— هي الدنيا طول عمرها فيها مأذون؟ الجواز ورقة نكتبها وانت وكرشة اتنين شهود!

فأخم الحاج لحظة ، لكنه لم ييأس .

— واحنا نعرف منين انه جواز بحق وحقيق ؟ ما يمكن  
الحكاية كلها نصب .

— با قول لك نكتب عقد .

فسكت الحاج طلبة ، ثم رفع يده ليهرش رأسه وهو يفكر .

— إن جيت للحق ، قال أخيراً بلهجة جديدة ، البت دى عايزه

حد يلها !

— بس ما تقولش بت ا قالت زازا .

— لكن تفتكرك انك تقدر تلها يا باشمهندس ؟ سألتنى الحاج

بابتسامه كريهه .

— مقدرش ليه ، صغير ؟

— افرض ان الطور اللي هناك ده ، قال مشيراً إلى جذع الشجرة

حيث يوجد توتو ، جه اتهمم عليها تانى ، ح تقدر سيادتك تحوشه ؟

— ياسيدى ابقى حوشه انت !

— حاجة لطيفة قوى ! سيادتك تتجوز وانا اشتغل لك غفير ؟

— على كل حال ما تحملش هم ، أما يتهمم عليها ابقى اتصرف انا .

— وافرض انه قتلك ؟

— فى ستين داهية !

— والمركب يا أستاذ ؟ مين يبنى المركب يا باشمهندس ؟ إنت

فاكر ان حياتك ملكك انت بس ؟

فأدركت أننا نتجادل فى الهواء .

— ماهو شوف بقى يا حاج ، قلت بحزم ، إما إنى أمجوزها

وإما إنى موش عامل لكو المركب . قلت إيه بقى ؟

— لا يا شيخ ! زمجر الحاج ، والشيك اللي ف جيبك يا أستاذ ؟

— اتفضل ، قلت وأنا أخرج الشيك من عبي ، بله واشرب ميته !

فما كدت أقولها حتى وجدت نفسى جالساً على الأرض ،

على أثر زغد فى صدرى من يد كرشه . يبدو أنتى سأقضى نصف

وقتى فى هذه الجزيرة مبروشا على الأرض .

— ما تطولش لصانك على الحاج !

— سيبه يا كرشه ، قال الحاج ، قوم يا باشمهندس .

ومد يده يساعدننى على النهوض وبدأ يتكلم بهدوء .

— شوف ياسى أحمد ، قال الحاج طلبة ، احنا متفقين على إن

البت دى لازم تتلم ، موش كده برضه ؟

— وياقول لك المها موش راضى .

— ما تضحكش على نفسك ، موش انت اللي تقدر تلها !

فبدأت أفهم .

— ما تحطها على بلاطة وتريحنا يا حاج ، قلت له ساخرا .

— يعنى إيه ؟ سألتنى .

— يعنى قول انك انت عاوز تتجوزها ، أجبتة .

فسكت حيناً يتفكر ، ثم تفشت في وجهه بسمة حياءً أبله .

— وحد يتأوصل لست زازا ؟ ا قال وهو يعض البصر .

فرت من زازا ضحكة صغيرة .

— ثم انت ح تتجوزك على إيه ؟ امترسل الحاج طلبه ،

ماهيتك كام في الشهر ؟ عشرين ثلاثين جنيه ؟ الست زازا عايزه

راجل مقتدر . راجل ملو هدومه ، يلبسها وينغنها ويعيشها عيشة

ملوك ، ولا انا غلطان يا ست زازا ؟

فلم تجب زازا من فورها ، راحت تنقل النظر بيننا حيناً ثم بدأت

تضحك . في جلاب كرشه رأيت جسمها يترجرج من شدة الضحك

حتى تهالكت على ركبتيها ، ورفعت يديها إلى وجهها لتستر بهما

ضحكها . فلما رفعتهما بعد حين كان وجهها مبللاً بالدموع .

— ماهو شوفوا اما اقول لكم ، قالت بصوت متهدج ،

اتفقوا مع بعض وشوفوا لي عريس ا أنا عايزه اتجوز وخلص ا

وبسرعة نهضت وانطلقت تجرى نحو الكوخ ، دخلت وشفقت

الباب خلفها .

— جالك كلامي يا باشمهندس ؟ قال لي الحاج طلبه ، البت عايزه

راجل يلها ا

فأحسست فجأة أنني أريد أن أبكي .

— طب والله العظيم مانا عامل لكو المركب ا هتفت بصوت

تخنقه الدموع .

فصوب الحاج إلى نظرة طويلة قاسية .

— طب إيه رأيك انك ح تعملها ؟ قال لي بهدوء .

— لا مش عاملها ا قلت متحديا .

— لا ح تعملها .

— لا موش عاملها ا

وهنا تدخل كرشه .

— الله انت لمض كده ليه ؟ الحاج قال لك ح طعملها يعني

ح طعملها ، آه ا

وزغد جديد فوجدتني مبروشاً على الأرض . يبدو أنني

سأعملها .



الرسمية . عقد الزواج كتبه الحاج على ظهر شيك سوف تجده بين هذه الأوراق إن هي وصلتك ، وعلى العقد وقع الحاج ووقعت زازا ووقعت أنا ، وكرشة بل إصبغه بريقه وبصم . ثم طوى الحاج عقده وأودعه في جيبه مع السبحة والمسدس ودفتر الشيكات .

— مبروك يا حاج ، قال كرشة ، مبروك ياسط ظاظا !

— الله يبارك فيك يا كرشة ، أجابه الحاج ، ومن هنا ورايح موش تايزك تقول ست زازا . هي اسمها الحقيقي إيه ؟

— عظيظة !

— خلاص ، تبقى تقول ست عزيزة .

— مبروك ياست عزيزة ، قلت ساخرا .

— يا الله يا عزيزة اجري ع البيت ، قال لها الحاج بلهجة الزوج الذى أصحخجأة قواما .

فاهتز صدر زازا بضحكة صغيرة ثم نهضت متجهة إلى الكوخ ، لم تنس قبل إقفال الباب أن تلتفت نحوى وتخرج لسانها .

— عقبال البكارى يا حاج ! قال كرشة .

فتجاهل الحاج كلمته .

— إحنا ليه قاعدين من غير شغل ؟ تساءل الحاج طلبة مشيرا

إلى جذع الشجرة .

## الفصل الثانى عشر



يكتف الحاج طلبة - فى الصباح - بأن يتزوج زازا بدلا منى، وإنما طالبنى بأن أشهد على الزواج مع كرشة.

— سبحان الله ! قلت له فى مرارة ، بقى تخطف الولية منى

وطايزنى اشهد على جوازكم ؟

فلم يجب الحاج .

— ح طشهض ، أخطرني كرشة ، يعنى ح طشهض !

فشهضت .

وبينا أخذ الحاج يد زازا فى يده ليقرأ الفاتحة رأيت صدرها

يهتز بضحكة مكتومة وقد تورد وجهها حياء . لم يتورد وجهها عندما

قبلتها أو عندما قبلها توتو، فالخجل فيما يبدو لا يصيبها إلا من العقود

— ح نشغل في يوم فرحك يا حاج؟ قال كرشة معترضاً ،  
أنا باقول ناخذ النهارده أجازة .

فتفكر الحاج لحظة .

— زى بعضه ياسيدى ، قال متساهلا ، خدوا النهارده أجازة .  
وتفكر لحظة أخرى ثم أشار إلى توتو الذى راح يتسكع بعيدا .

— وخلى الجدع ده يصطاد لنا سمكتين .

— وجب يا حاج .

وسكت الحاج طلبه حيناً ثم تئأب وتنعنج ، ثم بسط ذراعيه  
يتمطع ، وأخرج السبحة ونهض متثاقلاً ، بدأ يتحرك نحو الكوخ  
على مهل . ببطء وتؤدة يسير ، طويلاً عريضا حافيا يداعب حبات  
السبحة المتدللية من يده ، آل يعنى ابن الكلب رايح يسبح ا  
أنا وكرشة تابعناه وهو يبتعد بنظرات تقطر حسدا ، لأول مرة  
تشاركت مع كرشة في شعور واحد . فبينما راقبت الحاج متجها  
إلى الكوخ ساورنى مع الحسد شعور آخر غريب ، شعور بالراحة  
لأننى لست أنا الذى يتجه إلى ذلك الكوخ ا لم يكن فى إمكانى  
أن أحتمل على ظهري هذه النظرات الحاسدة ، كأن الحاج كان مصيبا  
حين قال أننى لا أستطيع أن أحمى زازا . هو وحده الذى  
— بالمسدس وبعضلات كرشة — يستطيع أن يحميها ، إذا صح  
أنه من الممكن لزازا — أو من اللازم — أن تحمى .

— مع ا قال كرشة حين دخل الحاج وأقفل الباب ، أما حكاية  
ياولاض ا

وبنم منفشوخ بابتسامة كريهة ، وجفون متهدلة على عيون  
العوريلا ، راح يحدق فى الباب الذى أغلق على الحاج وزازا .  
وشعور غريب آخر دهمنى فجأة ، أننى لست أكره كرشة كما يجب  
أن أكرهه . هو ضربنى وأذلىنى وقد يضربنى ويدلنى فى أية لحظة ،  
ومع ذلك لا أكرهه . بل يخيل إلى أنه كان من الممكن لو تغيرت  
الظروف أن أحتمل شيئاً من الميل إليه .

— صلوات ياسطازا قال فجأة بلهجة تريقة ، إنت آصتنا  
قوى ا

— الله يأنصك ا أجبتة بنفس اللهجة رافعاً يدي إلى جبينى  
بالسلام .

— طب والنبي انط راجل طيب ، أضاف كرشة مستهزئاً .

— ده بس من أصلك .

— مع ا تقصع كرشة ، مع ا

فرحت أتفرج عليه حينما لكى أستوعيه .

— إيه؟ سألتى ، بتشبه على ؟

— ممكن أسألك سؤال؟ قلت له بهدوء .

— إصأل ، اأنا وراانا ءاآة ؟

— إنا ولامؤاآة ما لكش آفة فى الءنا آفرضرب الناس ؟  
فلم فبآ من فوره ، راح ففآصنى من آآ آفونه المءءلة  
بنظرة مسآربة .

— فعنى إفه بقى ؟ سألنى آآرفاً .

— فعنى من فوم ما شرفنا هنا ، شرحنا له ، ما شفناكش  
بفعمال آاآة آفر فا آضربنى فا آضرب فوفو . إآنا أءفناك فى آاآة ؟  
— فعنى إفه ، انفو موش بآظعلوا الآاآ ؟ أآابنى بنبرة آآرش .  
— زعلناف فى إفه ؟ ؟ سألناه بفروف .

— فا صلام ، كل ءه وما زعلطوهش ؟

فأصررا على بفروفى .

— كل ءه فببى إفه ؟

فأآء كرشة ففكر ، نآوا من ءقفة فبآآ عن آهمة  
فلصقها بنا .

— ناظلفن بفوص فى البآ ءءامه ، هى ءى شوفة ؟ قال آآرفاً .

— طب وهو ءآله إفه ؟ هى مرانه ولا بنآه ؟

— الآاآ ما فببش المصآرة ، أآابنى ، ولا انا آبها كآان ، آه !

— والآوازة ءى موش مسآرة ؟ إشمعنى هو آآوزها ؟ ؟ فله

ما آآوزهاش أنا ؟ .

— عشان ما فعرفش فلها .

فآرفنا آآظة .

— طب وانآ ؟ سألناه ، إنا ما فعرفش فلها ؟ فله

ما آآوزهاش انآ ؟

فسآآ آآظة مفآما .

— وانا إفش أوصلنى للآاآ فا اسطاز ؟ قال بعء آفن ، الآاآ

ءه مرفننى من صآرفى . آابنى م الشارع وعملفنى بنى آءم . أنا لآم  
كطافى من آفره فا اسطاز .

وكانآ لهآآه ءء أصبحت عءائفة سافرة نصآآنى بأن أكف ،

لكننى فبب أن أكمل مهمتى .

— لكن هى مسآظرفاك انآ ، ءآآ مآامراً ، مرة ءآآ لى

انها شافنة فىك آاآة آءابة !

فآرفنا آآظون كرشة ففنا آءلى فكه الأسفل ، وآركزا

عفنه على الكوخ وءء طفآآ على وآبه ابآسامة آقرفة .

— هع ! قال كرشة آآرفاً وهو فنهض ، أما فروح نصطاء الفءا !

وآركنى وآآآه نآو فوفو ، من بعفء رأفآه فلقى له بالآنآر

وفشفر إلى البآر ، فآناول فوفو الآنآر ونزل للصففء بالطاعة الفى

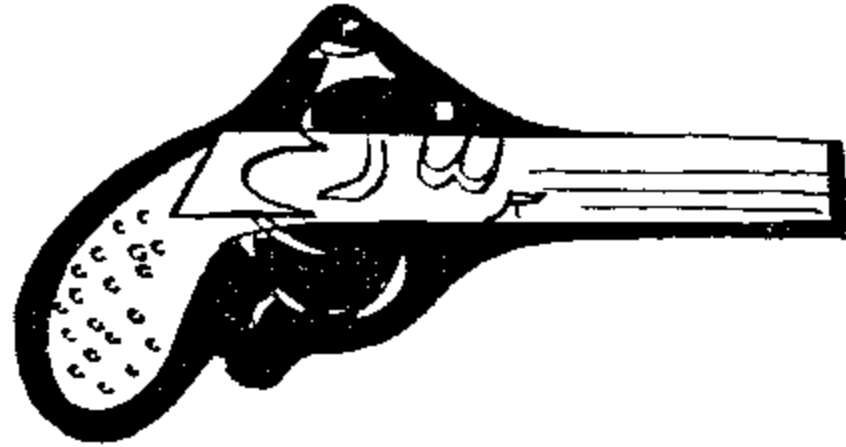
اعآاء عفها فى العهء الآآفر . وأنا ءصءآ إلى شآرة الفآاآ ورفمآآ

عفها بالمنشار علامة آءفءة .



منا شيكا بخمسين جنيها . غير أنني فقدت فيه ذلك الاهتمام الشديد  
بسير العمل في الزورق ، لم يعد يتطلع بشوق بالغ إلى مغادرة الجزيرة .  
ولكى يهذب لحيته وشعره وأظافره بالخنجر تسبب في تعطيل العمل  
أكثر من ساعة . وكانت اللحية التي يهذبها قد أصبحت نصف بيضاء ،  
وأكاد أقسم أنه لم تكن في وجهه منذ أيام تلك الغضون  
والكراميش .

### الفصل الثالث عشر



— إوعوا حد يروح ناحية العشة ، قال لنا مرة ، الست  
بتستحمى وراها !

فأنجبت عيوننا إلى العشة تريد أن تخرقها إلى ما وراءها ،  
ثم ظهرت زازا في جلباب كرشة وهي تعصر القميص الوردى الذي  
غسلته ، ثم ضربت به الهواء ونشرته على غصن من شجرة التفاح  
وهي تغنى .



علامات جديدة وأصبح عندنا مشروع زورق حقيقي .  
بالخنجر والمنشار أعملنا النحت والكحت في جذع  
الشجرة حتى ظهر لنا تجويف عميق يبشر بالخير . أنا وتوتو وكرشة  
تعمل والوغد طلبة لا بد في الكوخ يلحق العسل ، فإذا خرج من  
الكوخ فذلك لكي يستحم في البحر ويصلى ، ثم يعود وهو يحمل  
نصيبه ونصيب زازا من السمك الذي صاده توتو . مرة واحدة أقبل  
ليلقي نظرة على الزورق ، رأى التجويف الكبير فبدأ عليه السرور .  
— بارك الله فيكم ، قال لنا مهنئاً ، شدوا حيلكو يا جدعان !  
ولكى يكافئنا على نشاطنا أخرج دفتر الشيكات وكتب لكل

— إوعى تقول ممنوع الحب ، زقزقت زازا ، إوعى تزعل م اللي  
يجب . كل شيء ممنوع في الدنيا إلا الحب ، إلا الحب ا

وبينا غنت راحت تهز رأسها الفاتن على إيقاع النغم .

— عزيزة ! ناداها الحاج زاجرا ، بلاش غنا وادخلي العشة ا

زوج حمش أطاعته زازا وعادت إلى الكوخ . هي في الكوخ  
معظم الوقت ، ليس عند الحاج طلبه نساء يغادرن البيت ويتسرحن  
أمام الأغراب بلا لزوم . فلما رأى أنظارنا لا تترك القميص المعلق  
إلا لكي تعود إليه ، ذهب فنزعه عن الشجرة واختفى به في الكوخ .  
حتى قميص زازا يعتبره الحاج حراما علينا .

— تازا ا تازا ا تازا ا

هكذا راح توتو يردد بغير شعور وهو يعمل الخنجر في  
حاء الشجرة .

— هو إيه ياخويا اللي تظاظا تظاظا ا قال له كرشة ، ماتشطغل  
وانت صاكت ا

فسكت توتو . وعلامتان جديدتان على شجرة التفاح وبدأنا  
نرتعد من البرد ليلا . في هذا الجو الجديد لم يعد من السهل علينا  
أن ننام عراة في الخلاء ، النار التي نشعلها تزودنا بشيء من الدفء  
ثم لا تلبث أن تنطفئ فنبرد .

— اتفرج يا سيدى ، قلت لك كرشة متأففاً ، هو نايم دفيان  
واحنا بنتكنتك .

فلم يجب كرشة من فوره ، كان يفكر .

— عارف انا ح اصهل إيه ؟ قال بعد حين ، ح اقول له يرجع لى  
جلاييطى .

— طب وانا وتوتو ؟ سألته .

فأجابنى ببصقة على الأرض .

— والست تمشى عريانة ؟ قال الحاج في غيظ عندما طالب كرشة  
بجلبابه في اليوم التالى .

— يا حاج خليها جوه البيت ، برطم كرشة ، أنا باباط طول  
الليل ا طكطك ا

— هو يطكطك ، قلت للحاج ، وانا وتوتو نرد عليه .

فسكت الحاج مفحما .

— ممكن ولا مؤاخذة اعرف انت لا بس تحت الجلاية دى  
إيه ؟ سألته بعد لحظة .

فوخزنى بنظرة حادة .

— يعنى إيه ؟ سألتى بغيظ .

— يعنى باقول ما دام انت نايم جوه دفيان ، تبقى تسلفنى  
جلاييتك بالليل ا

— والله عال ! قال الحاج وهو يضرب كفا بكف ، واحد  
ماوز جلابية الست والثاني ماوز جلابيتي !

— ما هو انت يا حاج لو تجرب البياط برة كنت تعظرتنا ،  
قال كرشة .

— وما تنساش يا حاج ، قلت أنا ، إتنا لازم نحافظ على صحتنا .  
إذا عييننا مين اللي يعمل المركب ؟

فسكت الحاج لحظة مفكرا ، ثم ابتعد عنا دون أن يجيب .  
لكنه بالليل نادى كرشة إلى الكوخ ، ومن خلال الباب الموارب  
ناوله الجلبابين .

— ربنا ما يجرمنا منك يا حاج ، قال كرشة داعياً .

هو لبس جلابيه وأنا لبست جلاباب الحاج طلبة .

— والله عال يا كرشة ، قال للذكور ، عشت ولبصت بنص كم !  
وكان منظره نكتة حقا في ذلك الجلاباب الذي حولته زازا  
فستانا ، مثل منظرى أنا في جلاباب الحاج الفمضفاض الذي يتهدل  
حولى على الأرض . لكنه أذفأنى أثناء النوم ، إذ تهت فيه كأننى  
أنام فى خيمة . فتذكرت توتو الذى يبيت بالمياوه وراء جذع  
الشجرة ورثيت له ، ربما تناوبت معه ارتداء الجلاباب إذا اشتد  
البرد عن ذلك . لكن اشتداد البرد صنع بى العكس ، جعلنى أنسى

كل شىء عن توتو . بل إتنى طالبت الحاج ذات صباح بأن يترك  
لى جلابيه خلال النهار أيضاً .

— لا يا شيخ ! جأر الحاج فى وجهى ، والنبي صحیح ! ماتاخذ  
القائلة وملحقاتها !

— ما هو أصل يا حاج . . .

— لا أصل ولا فصل ، دنا لو مشيت وراكح تقلعنى عريان !  
إقلع الجلابية يا باشمهندس !  
فخلعتها .

— وعلى فكرة الست ابتدت تبرد بالليل ، قال الحاج لكرشة  
منذراً ، يعنى ما نتش واخذ الجلابية الليلة .

— يا نهار اصوض ! جعر كرشة ، دنا اموطم البرض يا حاج .

— إنت راجل وتستحمل لكن هى ست ، قال الحاج بحزم .  
وطلب الخنجر لكى يهذب لحيته التى كاد الشيب أن يشملها كلها ،  
وسط طائفة جديدة من الغضون والتجاعيد . لكننا عملنا فى ذلك  
اليوم كالم نعمل فى أى يوم آخر ، العمل من ناحية إشيع الدفء فى  
أجسامنا العارية ، ومن ناحية أخرى يقربنا من يوم الخلاص . كرهنا  
الحياة فى هذه الجزيرة اللعينة حيث لا غذاء ولا كساء ولا نساء .  
وزازا أيضا تبين أنها كرهت حياتها .

— دى ما بقتش عيشة ! أتانا صياحها من الكوخ المقفل ،  
إنت ح تدفنى بالحيا !

فلا ندري بماذا أجاب الحاج طلبه .

— أنا طهقت خلاص ! طاد صوتها الصارخ ، إعتقنى يا أخى !  
فلم ندر برضه بماذا أجابها .

— طب والله ما نا قاعدة لك ! ح اخرج يعنى ح اخرج !

وانفتح باب الكوخ بعنف وخرجت منه زازا ، يد الحاج  
حاولت أن تستوقفها ففشلت . خرجت زازا مسرعة والحاج وراءها ،  
فلما أوشك على اللحاق بها بدأت تجرى ، والحاج يلهث وراءها  
ولا يستطيع أن يمسكها .

— كرشة اصاح الحاج مناديا ، إمسك البت دى !

فناولنى كرشة الخنجر وانطلق يعدو ، غوريا قبيحة تطارد  
الغزال الشارد . ووقعت زازا بين ذراعيه ، خيل إلى أنه احتجزها  
هناك لحظة زائدة عن الحاجة . ثم جذبها من يدها وقصد بها إلى  
الحاج طلبه الذى أهوى على وجهها بصفعة قوية .

— أنا ما حدش يضربنى ! صرخت زازا بصوت مخنق ، موش  
عايزه اقمدمعك ! زهقت من خلقتك ! طلقنى وريحنى منك !  
فناولها الحاج صفقة ثانية وجذبها داخل الكوخ وهى تبكى .

— تازا ! تازا ! زجر توتو بغير شعور وهو ينظر إلى  
الكوخ بمرارة .

علامة جديدة على جذع الشجرة وخرجت زازا من الكوخ  
تصرخ فى فزع .

— إلقوا الحاج ! إلقوا الحاج !

فأسرعنا إلى الكوخ لكى نجده ملقى على الأرض وهو يتلوى  
من الألم ويزجر كحيوان جريح .

— ماله يا زازا ! سألتها .

— موش عارفة . مرة واحدة بصيت لقيته بيقول يابطنى ، وراح  
واقم من طوله .

— مالك يا حاج ؟ قال له كرشة ، صلامتك .

لكن الحاج لم يجبه ، راح يجيل بينه وبينى نظرة زائغة  
وهو يتأوه .

— هاتى له يشرب ، قلت لزازا .

فلما سقيناه أخذ يسعل ويسعل ، فاحترنا هل الوجع فى بطنه  
أو صدره أو فى الاثنين معا . هناك رقد يلهث ويجيل فى السقف  
نظرة تأهبة ، ثم ثقلت جفونه وبدأ أنه سينام . وقبل أن ينام رأيت  
يده تمتد إلى جيبه لكى تحم إقفاله على المحتويات الثمينة .

— سخن زى النار ا قالت زازا وهى تتحسس جبينه .

ونزعت قطعة من ذيل قيصها ، بلتها بالماء ووضعها على جبينه بصفة كعادة . فلما تأكدنا من أنه قد نام غادرنا الكوخ وعدنا إلى العمل .

— لاحول الله يارب ، قال كرشة متوجعا ، صحيح المؤمن من منصاب . فلم أعلق ، رحمت أنحت فى المركب وأنا أقول لنفسى ماذا لو مات الحاج طلبة ؟ لست أخاف عليه بالطبع — فليمت فى ستين داهية — وإنما أخاف من الموقف الذى سيعقب وفاته . المسدس المحشو بالرصاص ، من الذى يرثه من الحاج وكيف يستخدمه ؟ الحق يقال أن الحاج لم يستعمل مسدسه حتى هذه اللحظة إلا فى حفظ النظام ، فإذا يحدث إذا وقع السلاح الخطير فى يد وحش ككرشة أو مأفون كتوتو ؟

وقطعت زازا خواطرى ، إذ خرجت من الكوخ وأتت ترقب العمل فى صمت .

— سبتيه ليه يا ست ظاظا ؟ قال لها كرشة معاتبا .

— ح اصمل له ايه ؟ آهه نايم .

فسكت كرشة ، ونظرت زازا إلى .

— على الله يموت ا قالت لى بالإنجليزية .

— والله موش متأ كدد ، أجبته بنفس اللغة .

وهمت بأن أروى لها خواطرى عن المسدس لكن كرشة منعى .

— النبي عربى يا أسطاز ا قال وهو يضربنى كتفا كاد يوقعنى .

فسكت صاغرا . لكنه اضطر بعد حين إلى أن يعتمد عنا إلى

ما وراء الكوخ لحاجة عرضت له فوجدت فرصتى للكلام ،

رويت لها خواطرى عن المسدس ، تلك الخواطر التى لم يكن من

العسير على امرأة ذكية مثل زازا أن تقتنع بوجاهتها .

— طب والعمل ؟ سألتنى حائرة .

— موش عارف ، أجبته مترددا فى مصارحتها بالفكرة

التى تراودنى .

— تيجيش اسرق منه المسدس وهو نايم وارميه فى البحر ؟

قالت هامسة بعد لحظة .

فتفكرت فى الأمر .

— لآ ، قلت لها ، المسدس ضرورى لحفظ النظام . من غيره

ح ينزلوا ضرب ف بعض بالخنجر .

فسكنت مقتنعة ، وعند ذلك غامرت بإطلاعها على فكرتى .

— ايه رأيك تسرق الرصاص من المسدس ؟

فأسمعت عيناها .

— أسرق الرصاص ؟ سألتنى فى دهشة .

— آه ، هو المسدس له قيمة من غير الرصاص ؟

— طبعاً لا .

— الحاج يفتح المسدس يشوفه قاضي ولا مليون ؟

— لا .

— خلاص ، إسرق الرصاص .

وشرحت لها كيف أن المسدس القاضى سيظل صالحاً لحفظ النظام مثل المسدس الملائن طالما أن أحداً لا يعرف من الأمر شيئاً ، وفي الوقت نفسه لن يستطيع الحاج طلبه أن يستخدمه في القتل إذا سولت له نفسه ذلك . فإذا ما تمكن كرشة أو توتو من اختطاف المسدس من الحاج — بسبب موته أو اشتداد المرض عليه — فإنما يكون قد اختطف سلاحاً لا قيمة له .

— طب والنبي فكرة ! قالت زازا بسرور ، تعرف انك

لثيم قوى ؟

فاكتفيت بابتسامة صغيرة وأنا أسبل جفون التواضع ، واضطررنا إلى قطع الكلام بسبب عودة كرشة .

وبينما انشغل المذكور بالنحت تبادلنا وزازا عبر جذع الشجرة نظرة تفاهم صميق ، في عينيها رأيت نظرة احترام وتقدير أطربتنى .

ثم خفق قلبي وغمرتني نشوة بالغة ، عندما رأيتها تزم شفقتها وتمدها نحوى في شكل قبلة صامته ، حبيتي زازا .

انتهينا من العمل في المساء فرحنا نعود الحاج طلبه ، وجدناه كما تركناه نأتما يلهث بصوت كالحشرجة . كلمته فلم يسمعنى ، وجسست جبينه فوجدته ما زال يلسع ، أسخن حاج جسسته في حياتى .

— لا حول الله يارب ، قال كرشة وهو يضرب كفها بكف ، صحيح يا عالم المؤمن منصاب .

سمعت منه تلك الكلمة مائة مرة خلال النهار ، ليته كان هو الآخر مؤمناً .

— تاخذ الجلاية دى ؟ سألتنى زازا مشيرة إلى جلباب كرشة الذى ترتديه ، موش معقول نطلع الحاج الليلة .

— طب ماخدهاش انا ليه ؟ نعر كرشة ، هى موش جلابيطى ؟ فراحت زازا تلسعه حيناً بنظراتها ثم ابتسمت فجأة .

— لك حق يا كرشة ، قالت له بظرف غريب ، خد جلابيتك ، إنت أولى بيها يا غلبان !

وخلعت الجلباب عن القميص الوردى ، تلقفه كرشة منها في فرح .

— ربنا ما يحرمنا منك يا سطر ظاظا ، ربنا يشفي لك الحاج يارب .  
وبينما اختفى رأسه في الجلباب وهو يلبسه واجهتني زازا بأعذب  
ابتساماتها ، أسبلت جفونها في دلع وزمت شفيتها ، أهدتني قبلة  
صامتة كقبلة الصباح . كأنتى أفقت من تلك القبلة ، كأنها لم تمشش  
في دماغى من الصباح إلى المساء . فلما غادرنا الكوخ كنت أرتعد ،  
كما ارتعدت طول النهار كلما ذكرت تلك القبلة . لأنها ستكون  
الليلة وحدها تقريبا مع ذلك الرجل الغائب عن الوعي ، فهل أسمعك  
تقول أنه عمل غير أخلاقي ؟ ربما ، فهل كان عملا أخلاقيا من الحاج  
طلبة أن ينتزع زازا منى ويستأثر بها دونى ؟ وإزاء تلك الرعدة  
الجامحة التى شملتني ، كيف تتوقع منى حاسة أخلاقية مرهفة ؟ فلما  
انفردت بكرشة في الخارج رأيت يرفعه صدر الجلباب إلى أنفه  
لينهل من رائحة الجسم الذى كان فيه من قبل .

— الله يا ولاض ، الضفا حلوا !

وفرك كرشه كفيه ثم تئاب وتمطع ، وتمدد على ظهره ليسان .

— موش ح طنم يا باشمهنضس ؟

— دنا نمت تقريبا ، قلت وأنا أتصنع التثاؤب .

وطاقدا يدي تحت رأسي حيث تمددت رحت أنظر إلى النجوم  
اللامعة في السماء المظلمة ، تترلامع على فستان سهرة أسود ، يرتعد

مثل ملايين الخلايا المرتعدة في جسمى أنا . حبيبتى أسبلت جفونها  
في نداء ، زمت شفيتها وأهدتني قبلتين . زازا تناديني لأنها تريدني ،  
زازا الجميلة العزيزة ، زازتى أنا .

وشخير كرشه شق سكون الليل ، رن في أذنى في تلك الليلة  
موسيقيا منغما ، كآلة نحاسية في مقطوعة لسترافنسكى . نام الحمار  
كالقتيل ولم يشعر بشيء مما يحدث في صدرى ، لم يخطر له أننى قد  
أجترىء على اقتحام بيت الحاج المريض . لأنه لم ير القبلتين ولا رأى  
كيف أسبلت زازتى جفونها . فليهنأ برأحتها الجميلة في جلبابه ،  
ولأنهض أنا إلى الجميلة نفسها .

وكانت الجميلة في انتظاري ، فتحت الباب بعد نقرة واحدة .

في الظلام لم أرها لكننى شممتها ، ومددت يدي لمست يدها .

— أنا سرقت الرصاص ! قالت هامسة .

— والله ؟ همست في فرح ، فبن هو ؟

— رميته في البحر !

— إيه ؟ أنا موش قلت . . .

— هس ! قاطعتنى بيد وضعتها على شفتى ، بعدين الحاج

يصحى !

فأنصت لحظة إلى أنفاسه الثقيلة المنتظمة ثم نسيت كل شيء

إلا زازا ، ضمعتها إلى صدري بقوة وقلت لها أحبك . وخزة  
في الضمير ما زجت حبي ، لكن ليس للحاج طلبه أن يلوم إلا نفسه ،  
انزع مني زازا بعد أن كانت زازتي أنا .

— ضميرك موش بيأنيك ؟ سألتها هامسًا .

— حد قال له يتجوزني ؟ أجابت ببساطة .

وضممتني إليها وهي تلهث ، غبنا للمرة الأولى في عناق طويل .

### الفصل الرابع عشر

أضع للماء على يدي طوال اليوم التالي ، حرام أن  
تضيع منهما رائحة زازا . واشتغلت في الزورق  
بجهاش وأنا أصفر مائة لحن .



— إنط مفرفش قوى النهارده ، قال لي كرشة بحسد .

فأجبتة بأغنية وأنا أترقص .

— إوعي تقول ممنوع الحب ، إوعي تزعل م اللي يحب .

— كل شيء ممنوع في الدنيا ، اشتركت زازا ، إلا الحب ،

إلا الحب !

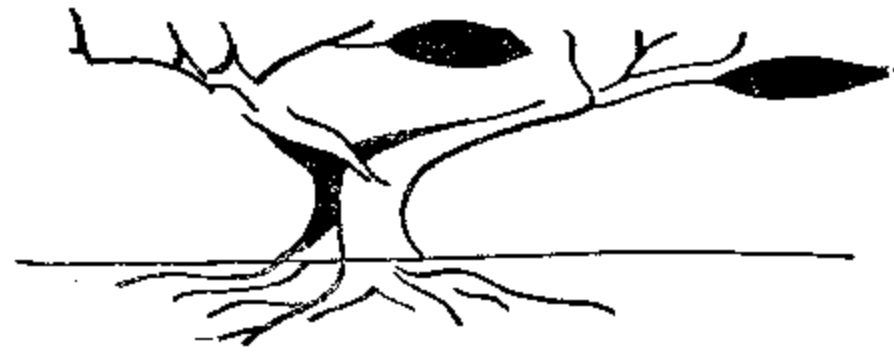
— بتغني يا ست عظيظة والحاج عيان ؟ قال لها كرشة لائما .





— أحب العواصف ا قلت لزاا مداعباً .

فراحت تضحك وتضغط القميص على فخذها كيلا يطير ثانياً .  
غيوم كثيفة سوداء برزت هناك عند الأفق ، بسرعة تزحف عبر  
السماء مدفوعة بريح مجنونة ، ما هي إلا دقيقة حتى حجبت الشمس  
وحبست الكون في شبه خيمة قائمة كثيفة . فلما صارت الغيوم  
فوق رؤوسنا لا أفهم كيف توقفت فجأة كأنها كانت تبحث عنا  
وما خرجت إلا من أجلنا . وفي لحظة واحدة فتحت السماء أدشاشها  
ووجدنا أنفسنا تحت سيل غزير من المطر ، أغزر مطر نزل في أي  
يوم على دماغى . فسرعان ما كنا نجري نحو الكوخ وقد وضعنا  
أيدينا فوق رؤوسنا ، نتصايح أثناء الجرى ونضحك كالعيال .



— الحقيقة مال كيش حق أبدا ياست عزيزة ا عقت على  
كلامه ساخراً .

ترى هل أجد الليلة فرصة لمعاودة المغامرة ؟ يكون موقفاً  
طريفاً حقاً لو حاول الحاج طلبه أن يقتلنى بالمسدس الفاضى . ألا ليت  
الخنجر لم يكن ضرورياً للصيد والنحت ، إذن لتحايلت على سرقة  
هو الآخر . عند ذلك يمكنى وتوتو — بالعضلات وحدها — أن  
نصعد أمام طلبه وكلبه كرشة .

— والله خسارة ترمى الرصاص فى البحر ، قلت لزاا بالإنجليزية .

— قلنا النبى عربى يا أسطاز ا قال كرشة وضربنى كتفا .

و فجأة رأيت زازا تحيط صدرها بذراعها وترتعد .

— الدنيا ساقعة ا هتفت متأففة .

إذ هبت فى تلك اللحظة نسمة باردة نفذت فى عظامى أنا الآخر ،  
خيل إلى أنها نزوة طابرة من هواء البحر . لكنها لم تكن كذلك ،  
نسمة أخرى تبعها أسقع منها ثم بدت السمات تتحول إلى رياح  
سافرة . رياح شديدة تهاجمنا من كل ناحية ، وفى البحر ظهرت  
الأمواج لأول مرة ، أمواج تقور وترتفع وتلتوى ثم تنقلب على  
الشاطئ بقسوة .

— موش معقول أبدا ا هتفت زازا ، مرة واحدة كده ؟

فأجابتها الرياح بهبة شديدة أطارت ذيل قميصها عند رأسها ،  
مشهد هم كرشة مثلما همنى .

أقفلنا علينا باب الكوخ ووقفنا نرتعد ، نحواً من خمس دقائق  
قبل أن أذكر أمراً خطيراً جعلني أفتح الباب ثانياً .

— إلتحقوا المركب اصرخت بجنون .

إذ كان قد حدث لها ما توقعت ، وصلت الأمواج الهائجة إلى  
جذع الشجرة وبدأت تلطمه بعنف ، فأخذ يتقلقل ويتمايل ويوشك  
أن ينسحب إلى البحر مع الأمواج العائدة . فانطلقت وتوتو وكرشة  
نجري إليه ، تعاوناً على دفعه ودحرجته بعيداً عن الشاطئ ، ولم نتركه  
إلا بالقرب من الكوخ نفسه .

— الحمد لله انك افكرته ، قالت زازا .

— لازم واحد فينا يفكر ، أجبته بالأنفة المناسبة .

ودوى الرعد وعصفت الريح واهتز الكوخ اهتزازاً .

— سبحانه يا رب ، قال كرشة ، دى القيامة قامط !

— ده موش بعيد الجزيرة نفسها تفرق زى المركب ! قالت زازا .

— وماله ؟ سألتها باسمًا ، ما تحببش تنقذيني تانى ؟

ساعة بحالها والعاصفة تزجر وتعربد حولنا ، ثم أخذت تهدأ .  
شيئاً فشيئاً لانت الريح وبدأ صوت المطر يخف على أخشاب الكوخ

ففتحنا الباب ونظرنا ، رأينا الماء وقد أكل نصف الجزيرة بالراحة ،  
مياه تترجرج حولنا من كل ناحية وقد كساها الزبد الأبيض كأنها  
تغلى . والغيوم السوداء تبتعد في السماء مواصلة رحلتها المشثومة  
جهة الجنوب . ثم طلعت الشمس علينا ، أحسست كأن زازا تبسمت .

شيئاً فشيئاً تنسحب المياه إلى موطنها الأصلي ، تترك وراءها  
رمالاً مبتلة تبققل . لكن طلوع الشمس لم يخفف من حدة البرد ،  
وقفنا نرتعد كأننا في ثلاجة .

— شوفوا الشجرة ! هتفت زازا مشيرة إلى شجرة التفاح .

غسلتها مياه المطر وجعلتها خضراء زاهية ، أخضر وأزهى  
شجرة رأيتها في حياتي . والحمد لله أن العاصفة لم تسقط أكثر من  
نصف تفاحها ، وماذا لو أسقطته كله ؟ لهاها أسقطته وطرحت  
الشجرة غيره وهو يسقط .

— يانهار اسود ! هتفت زازا ثانية وهي تشير إلى الأفق الشمالى .

فتابعت إشارتها لكي أرى ذلك الفوج من السحب الكثيفة  
السوداء ، بسرعة تزحف نحونا على طول رعد جديد . يبدو  
أن الطبيعة لم تفرغ من أمرنا بعد .

— أصطغفر الله العظيم يا رب ، قال كرشة ، إحنا لسه لحقنا

ننشف ؟

بسرعة مذهلة أقبلت الغيوم نحونا ، وكالغيوم السابقة توقفت فوق رؤوسنا . فنظرنا لنرى سحابة بيضاء تنفصل عن كتلة الغيوم السوداء ، بخار كثيف أبيض يتلوى ويهبط نحو الأرض . هو البرد كما اكتشفنا بعد لحظات ، ثلوج بيضاء كالقطن المندوف بدأت تتساقط حولنا ، خفيفة أول الأمر ثم غزيرة ، سرطان ماغطت أرض الجزيرة كلها ببساط أبيض . فأسرعنا إلى الكوخ نحتمي به ، ومن خلال الباب الموارب رحت أرقب المنظر . البرد الذي يتساقط ويتراكم على الجزيرة ، وشجرة التفاح التي أصبحت كرة كبيرة بيضاء .

— ما تقفل الباب ده يا باشمهنضس ، قال كرشة متأففاً .

فأقفلته ووقفت أفرك كفى . ولما فتحناه بعد ساعة لناخذ فسكرة عن الموقف لم نجد الجزيرة التي نعرفها ، وإنما وجدنا بدلا منها كتلة من الثلوج البيضاء .

— طب واحنا بقى ح نبات الليلة دي ازاي ؟ تساهل كرشة .

— نبات هنا طبعا ، أجيبته ببساطة .

— نبات مع الحاج وست ظاظا ؟ قال مستنكراً .

— إمال يعنى تموتوا فى التلج برة ؟ قالت زازا .

وتبادلت وإياها نظرة وابتسامة ، قلبي يحدثني بأنها ليلة تنطوى

على كثير من الاحتمالات .

في الظلام تكدسنا جميعاً داخل الكوخ ونحن نرتعد كأطفال صغار خائفين ، ولكي نخفف من البرد القارس أشعلنا ناراً صغيرة في ركن من الكوخ والتفقنا حولها . أصابعنا تتلاقى ونحن نمد أيدينا إلى الشعلة الراقصة ، سعداء بدفئها وحتى بلسمتها .

— اللاه اهتفت زازا ، نار حلوة بشكل !

وراحت تسخن يديها وتمسح بهما خديها وأذنيها وعنقها ، فرحة الأطفال ترقص في عينيها .

— موش ناقصنا غير وقة ابو فروة ، اقترحت أنا .

— قول وقة صمك ! تدخل كرشة .

— تزازا ! قال توتو باسماً .

— الجدع ده ح يققع مرارطى ، قال كرشة .

— حقنا نوطى صوتنا شوية عشان مانقلقش الحاج ، قلت لهم .

فلو أن الحاج طلبية نام نومة الأمس لكان ذلك أحسن ، ولت كرشة تسطه النار فينام هو الآخر نومة الأمس . أما أنا فأسأ كون قطعاً آخر النائمين .

— مصكين يا حاج طلبية ، قال كرشة وهو يتصعب .

— والمصيبة ان ما فيش عندنا ولا قرص اسبرين ، قلت له .

— بس اياك ما يكونش مرض معدى ، قالت زازا .

— هي غالباً نزلة شعبية ، قات لها ، موش سامعة صوت نفسه ؟  
وتقلب الحاج طابة وبدرت منه أنة .

— عاوظ حاجة يا حاج ؟ سأله كرشة .  
فلم يجبه الحاج إلا بأنة أخرى .

— لكن احناح ننام ازاي بقى ؟ تساءلت زازا فجأة .

فأسرع كرشة بتقديم الإجابة التي يبدو أنه كان قد حضرها .

— حضرتك طبعاً تنامى جنب جوزك ، واحنا نطلقح مطرح

ما حنا قاعدين !

هو يرى فيما يبدو أنه بمرض الحاج طلبه قد أصبح رئيساً بالنيابة

ينظام أمرنا كما يشاء .

— واتفضلى حضرتك بقى عشان تنام ، أضاف مشيراً إلى ناحية

الحاج وهو يتشاءب .

فتشاءبت زازا بدورها ونهضت ، لكنه كان ثناؤبا ظاهر

الاصطناع . وقبل أن تفارق النار سخنت يديها ومسحت وجهها ،

ثم انتقلت إلى جوار زوجها .

— هه ، قالت وهي تستلقى ، تصبحوا على خير .

استلقت على جنبها وأولتنا ظهرها ، تكورت على نفسها كقطة

صغيرة ، فانة شبيهة حيث تاهت في جلباب كرشة . كذلك استلقى

توتو على جنبه دون أن يغمض عينيه ، مسنداً رأسه على ساعده

ونظرة في عينيه ترسم نحو زازا خطأ مستقيماً . أما كرشة فأسند  
رأسه إلى الحائط ، وسرحت إلى السقف من خلال جفونه المتهدلة  
نظرة بلهاء . بذراعى الغوريلا استند على الأرض حيث اضطجع ،  
أنفاس ثقيلة تتردد من صدره المغطى بالشعر والعضلات ، منظر  
بشع حقاً .

— ما بطناهش ليه يا باشمهنضس ؟ سألتى فجأة .

— وانت ما بطنامش ليه ؟

— أنا حر يا أسطاز ، أخطر فى .

— ربنا يديم عليك الحرية !

واستلقيت على جنبى وغطيت عيني بساعدى ، تاركا لهما ثغرة

صغيرة أرقب الموقف من خلالها . عين كرشة تركزت على كاتما يريد

أن يستوثق من أمرى ، ثم حادت إلى توتو الذى انتظمت أنفاسه

وبدا من أمره أنه نام . ثم تحولت عين كرشة إلى زازا ، بعد أن

مرت بى لتتأكد من أننى لا أراه . نظرة طويلة إلى زازا من خلال

جفونه المتهدلة ، وفك الغوريلا تدلى وكاد يلامس صدره . نظرة

طويلة ثقيلة لزجة حقيرة ، أحقر نظرة رأيتها . وأخيراً تنهد كرشة

وتصعب ، ومسح وجهه براحته وهو يتشاءب بقم ولاقم سيد قشطة .

ثم نقل بينى وبين توتو نظرة فاحصة ، بعين حمراء متعبه ، عين كلب

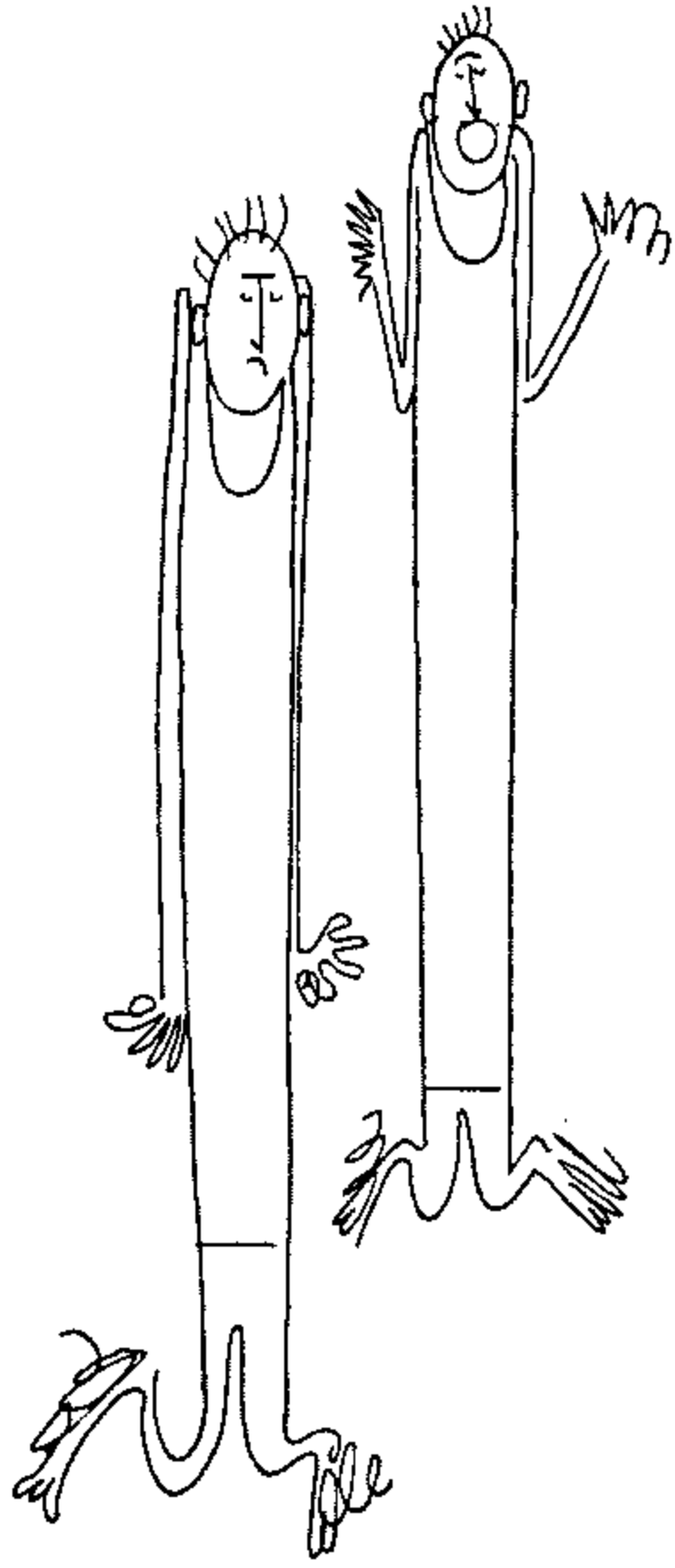
الحراسة الذى كبس عليه النوم . ويبدو أنه اطمأن إلى الموقف

فانزلق إلى الأمام ليتمدد على ظهره ، ما هي إلا دقيقة حتى ارتفع  
شخيرته مذكراً إياي بالعاصفة . شخير كرشة وغطيط توتو، مع فحيح  
الحاج طلبية وحشرجته ، مزيج من الأصوات لو سمعته أحد من الخارج  
لظن أن الكوخ يحتوي على وابلور طحين . فرفعت ساعدي  
عن رأسي بحذر ، ثم رفعت رأسي نفسها ونظرت إلى كرشة ، رأيت  
فه مفتوحاً تتصاعد منه الأبخرة كقوة بركان . فاستويت جالسا  
واستندت إلى الحائط ، عيني استقرت حيث يجب أن تستقر عند  
زازا . أقرب ماتكونين إلى ياحبيبتى وأبعد ماتكونين أيضا .  
لن يتاح لليلة أن تكون مثل ليلة أمس ، تلك الليالي لا تتاح للمرء  
كثيراً . تقلبت زازا كأنما أيقظتها نظرتي ، لكنها لم تكن نائمة .  
رفعت هي الأخرى رأسها وتلفتت ، ثم جلست وواجهتني بابتسامة  
عريضة صاحبة . كانت مثلي تنتظر ، فأى شيء ياحبيبتى يمكننا الليلة  
أن ننتظره ؟ وجهها فأتن على ضوء الشعلة الراقصة، ورفعت إلى شفيتها  
إصبعها رشيقاً قبلتها ثم لوحت بها نحوى . فخذوت حذوها ، أرسلت  
ها على الهواء قبلة مماثلة . هي ما برحت تبسم ، كالشمس بعد  
العاصفة تلك ابتسامة زازا . أجنونة هي لكي توجه إلى تلك النظرة  
المنادية ؟ وسط ثلاثة وحوش تريد منى أن أنهض وأقصد إليها ؟  
فاذا كانت تريد ذلك فلماذا لا تدعوني إليها بإشارة ؟ تريد منى  
أن أثبت رجولتي من تلقاء نفسي ؟ العضلات والشعر الكثيف

ترتفع وتنخفض على صدر الغوريلا ، يجب أن أعبر فوق ساقيه  
الممدودتين لكي أصل إلى المرأة الباممة . صراع عنيف دار في نفسي  
المحمومة ، بين مغناطيس الابتسامة ودواعي الحذر من الغوريلا التي  
قد تصحو في أية لحظة . فوجدتني فجأة أرتعد ، بقوة أرتعد وأمد  
يدي إلى النار أصطليها . لكن علاجي لم يكن لدى النار ، لن أجد  
دفتي إلا عند زازا . وزازتي ما برحت تبسم ، أسبلت جفنيها  
بين الظلال الراقصة على وجهها . فوجدتني أنهض وأنا أرتعد، ترنحت  
فاستندت على الحائط . ورفعت قدمي اليمنى بحذر شديد لأضعها  
على الأرض عبر الساقين الممدودتين ، رأيت في سروال كرشة ثقباً  
صغيراً . ثم نقلت قدمي اليسرى وصرت في الناحية الأخرى  
من الغوريلا النائمة ، فرحت أسير على أطراف أصابعي نحو زازا ،  
ثلاث خطوات وصرت عندها . جثوت على ركبتى ورحت أنظر  
في عينيها لاهتاً ، نظرة حنان سبحت في بحيرة عينيها . فددت يدي  
إلى كتفها ، أجفل كتفها من برودة يدي .

— إرجع ليسمعونا ، قالت هامسة .

لكنني لم أكن لأرجع ، بردان يبتعد عن النار ؟ فضممتها إلى  
وقبلتها ، للجسور وحده تفتح أبواب السعادة . لحظة من الدفء  
ثم زجيرة مفاجئة خلفي مصحوبة بشتمة بذئبة ، وفي كتفي الأيسر  
من الخلف غاص نصل بارد مسنون .



### الفصل الخامس عشر



الرمل في أنفي كرائحة الدماء وإن كنت لا أذكر  
أنني شممت أي دماء ، لماذا أنا نائم على بطني  
ووجهي في الرمل ؟ رمل العجوى ناعم جداً وأبيض ، حمام شمس ثم  
غدوة سمك في كازينو المكس . أو في أبي قير مع زجاجة بيرة  
ساقعة . أو في تافرنا مع كوز رتسينا وطاجن لسان عصفور . لكن  
بعض الناس يشربون بوظة ، وفي المسامط يأكلون كرشة . أنقلب  
على ظهري يوجعني كتفي ، خليتي على وجهي ، والجمجمة كانت  
مقلوبة فعدلتها زازا . تزازا ، كانت تلك ليلة خالدة ، وحدنا مع  
الرجل المريض . متمدداً على ظهري هبطت زازا برأسها وقبلتني .  
ثم رفعت رأسها لتنظر إلي ، ثم هبطت فقبلتني من جديد . كأنني

ماء وهي طائر يشرب منى . من الطيور ما يمنع صيده مثل أبي قردان ،  
لأنه يأكل الدود الذي سوف يأكلنا . يا حبيبي سخن زى النار ،  
هل سمعت صوتاً أو أنا مريض أهذى ؟ بعض الناس يهدون  
ولا يعرفون أنهم يهدون ، لكننى لست من ذلك النوع . أنا أهذى  
وأعرف أتى أهذى ، أنا أهذى إذن أنا مريض . كرشة طعنى من  
الخلف فى كتفى ، الخنجر يصيد السمك لكنه يقتل أيضاً . الصحة  
تاج على رؤوس الأصحاء يلمع فى الشمس ويغيب المرضى . والشمس  
مؤنثة بعكس القمر . مونلايت سوناتا وكروتزر أيضاً ، وتولستوى  
كانت له حبة كثيفة كالحاج طلبة . فتك بفلاحة روسية تحت  
شجرة البرتقال وكتب البحث . برتقال كثير فى روسيا ولكن  
ليس بقدر ما فى فلسطين . أرض الأنبياء حيث صلب المسيح أو شبه  
لهم . من كان منكم بلاخطيئة فليرجها ، لا بد أن كرشة بلاخطيئة .  
الزنا كان فاحشة وساء سيلا ، فلعلك قبلتها أو مانقتها أو فاخذتها .  
يا خسارة فاتتنى الجنة . لاحور ولا ولدان ولا نهر نبيذ ، وكان لسان  
العصفور حادقا نوعاً . وسيجارتى أسقط ولعها فستان سيدة طابرة ،  
زغر لى زوجها وكان بشنب . حضرتك تتجوزها وأنا أعمل لك  
غفير ؟ فاكرنا إيه يا أستاذ ، قوادين ؟ وقال الرجل النحيف يلزم  
خدمة يابيه ؟ وامرأة سمراء خلعت فستانها بسرعة كفلاح يخلم  
جلبابه لينزل التربة . وعلى السكة الزراعية حقل ذرة ، من بين

العيدان المتسكافة أطلت فوهة موزر . ليت زازا لم تلق الرصاص في البحر ، كأنه كان ينفعني . كان الوغد ساكتاً لأنه يحوش بصقة ، وكان يمكن يوماً أن يطعنني لولا الحاج طلبة . ومع ذلك خنته مع زازا ، وقالت زازا حد قال له يتجوزني ؟ في التبت تزوج المرأة عدة رجال ، والتبت هضبة كم هي عالية . وقمة إيفرست كم هي باردة . واقفاً على الثلوج تنزلق قدمي وأهوى من القمة العالية ، أهوى . لكنني لا أرتطم بالأرض ، أنحدر نحوها برفق حتى أستقر على الرمال . وفي الرمال رائحة الدماء ، دماي أنا . هل سمعت أحداً يقول أن عندي غرغرينة ؟ اسمها جانجيرين ولكنهم لا يعلمون . لكن في دمي كرات كثيرة بيضاء سوف تأكلها . لحسابي تأكلها ياترى أو لحسابها ؟ كل الأجسام العضوية تحب الأكل ولذلك قال شوبنهاور أن الحياة شر . لكن هذا لا يهم بالطبع مادام الكون آخذاً في التمدد ، خصوصاً وهو في الوقت نفسه آخذ في الانكماش . فقاعة صابون كبيرة حمراء تطير كالبالون في ضوء الشفق الأحمر . بلون دمي . بلون التفاحة التي تنمو مع كل دورة عقرب . لماذا أجد في فمي طعم التفاح ؟ أمي ماتت فن ذا الذي يسقيني وأنا مريض ؟ وسألتها مرة هو الحب حرام ياينة ؟ قالت كلا إذا كان شريفاً . وأمي كانت فلاحه مثل أبي ، فخلعت جلبابي يوماً ونزلت إلى التربة . فلاحه عجوز مرت على السكة الزراعية

تحمل حطباً كثيراً . وبجانب الزراعية غابة من عيدان الذرة . الذرة العويجة والبنادق الموزر ورائحة الدم في أنفي . لماذا لا تعدلني زازا كما عدلت الجمجمة ؟ إن كان هذا لأن الشمس مؤنثة . . .

\* \* \*

لعلك استنتجت من واقعة كتابتي لهذه السطور أنني لم أمت ، وأن الحمى التي أصابني بسبب الطعنة لم تكن من النوع القاتل — القاتل لي أنا على الأقل . كم من الزمن رعدت أهدي ، وماذا حدث في الجزيرة طوال تلك المدة ، كل هذه أشياء عرفت فيما بعد من زازا عندما عاودني الوعي . لذلك أكتفي بأن أخلصها لك على عهدة زازا لا عهدتي أنا ، واثقا من أن زازا لم تبذل أي محاولة لنشويه الحقيقة — لماذا تفعل ؟ ما كدت أتلقى طعنة كرشة في ظهري — روت زازا — حتى صرخت بقوة وسقطت على الأرض مغشياً على ، صرختي أيقظت توتو الذي وثب في اللحظة المناسبة لكي يمنع كرشة من توجيه طعنته الثانية إلى ، تلك الطعنة التي تؤكد زازا أنها كانت لا محالة قاضية على . وبينما أنا ملقى على الأرض دارت بين توتو وكرشة معركة عنيفة ، كل منهما يحاول أن يحصل على الخنجر لنفسه . ثم رفصة طائشة من قدم كرشة أصابت الحاج طلبة في جنبه فهب من النوم مذعوراً . فلما تبين ما يدور حوله قام متحاملاً على نفسه ومد يده إلى جيبه ليخرج المسدس ، لكن زازا



أسرعت إليه لتمنعه ، لا يجوز لأحد كما أوصيتها أن يكتشف سر  
المسدس الفاضى . فلما رآها تعترض طريقه صفعها صفعة شديدة  
ألقت بها أرضاً ، وكاد يخرج المسدس لولا نوبة السعال الشديد التي  
اعترتة فجأة . راح يسعل ويسعل وجأة ترنج وانكفاً على وجهه  
والزبد يسيل من فمه .

— إلقوا الحاج ! إلق يا كرشة ! صرخت زازا .

فالتفت كرشة إلى الحاج الساقط وكف عن العراك ، ولم يعترض  
على ذلك توتو الذي لم يطلب العراك أصلاً . فلما خفت نوبة السعال  
واستطاع الحاج أن يسترد أنفاسه وقف كرشة يتفحصني حيث رقدت  
فاقد الرشده ، يده تداعب الخنجر المعلق في حزامه كأنه يفكر في  
ضربى من جديد . ثم غير فكره لا تدرى زازا لماذا ، والتفت  
إلى توتو صارخاً فيه إطلع بره يا ابن الكلب ! فلما تردد توتو  
في الخروج لوح له كرشة بالخنجر مهدداً ، ومد يده إلى الباب ففتحه  
بقوة ، تلك الحركة التي كانت كلها بركة . إذ أنه ما كاد يفتح الباب حتى  
حدث آخر شيء كان يتوقعة ، طن من الثلوج على الأقل تدفق فجأة  
من الباب الذي انفتح ، هوى فوق كل من كرشة وتوتو ودفنهما  
تحته . فما برحا يجاهدان حتى خرجا ، وقضيا ساعة يحاولان كسح  
ذلك الثلج إلى الخارج . لكنها كانت محاولة عديمة النفع ، كلما دفعوا

إلى الخارج كمية من الثلج دخلت بدلها كمية أكبر . وحتى الخروج  
من الكوخ أصبح متعذراً لانسداد الباب بأكداس الثلوج . فكفوا  
عن المحاولة ووقفوا يلهثان ، صارت الدنيا برد موت . فأشعلوا ناراً  
ثانية بجانب الحاج وكانت ليلة . من شدة البرد لم يغمض لها جفن ،  
شأنها في ذلك شأن توتو وكرشة . إذ جلس الرجلان حول النار  
يتبادلان نظرات التربص ، كل منهما يصبى وتتدلى رأسه على صدره  
فيسارع برفعها مجفلاً ، وحشان يتوقع كل منهما أن يروح الآخر  
في النوم فيثب عليه ويبطش به . وهكذا عاشوا يومين كاملين ،  
مهدين بالموت برداً وجوعاً ، فكيف يخرجون من الكوخ للحصول  
على التفاح أو السمك ؟ وجأة شعروا بالشمس تشرق في الخارج ،  
وبدأ الثلج يذوب شيئاً فشيئاً . الثلج يتحول إلى ماء يسيل  
على أرضى الكوخ ويهدد بالغرق كلاً منى ومن الحاج الذي يرقد  
على الأرض مثلى . فحمل كرشة سيده وأرقده على السرير الخشبى ،  
أما أنا فتولت زازا وتوتو كسح الماء بعيداً عنى . ولما كانت أرض  
الكوخ لحسن الحظ منحدره بعض الشيء إلى الخارج فقد أخذت  
المياه تصرف نفسها ، سرعان ما انحسرت عن الكوخ توطئة  
لأنحسارها عن الجزيرة كلها . فخرجوا إلى الشمس كالمجانين يلتمسون  
الدفء والتفاح والسمك . يومان آخران وبدأ الحاج طلبه يتماثل  
للشفاء ويتساءل عن سر ما حدث .

— تصور يا حاج ، قال كرشة ، إني اصحى م النوم الاقي ابن الـ ..  
ده بيوصها ؟

— والله يا حاج ما حصل ا هتفت زازا بجرارة ، والله ما حصل ا  
ده كرشة كان بيحلم ا

واستخدمت كل ذكاتها في تدبير الكذبة المناسبة ، وكل مهارتها  
التمثيلية في إدخال الكذبة على الحاج . إذ روت له كيف أنه — الحاج  
طلبة — أخذ فجأة يئن ويتوجع ، لم يسمعه أحد سواي أنا فحفت  
إليه . جثوت بجانبه أسأله مالك يا حاج ، سلامتك ا فيينا أنا جاث  
هناك إذ استيقظ كرشة فجأة ، وبسبب كل من صحوه المفاجيء  
والظلام رأى المسألة بالمقلوب ، ظن أنني هناك بسبب زازا لا بسبب  
زوجها المريض ، فبادر بدون أن يتحقق من الأمر إلى توجيه طعنته  
الشريرة إلى .

— والله يا حاج شفته بيوصها ا قال كرشة يائساً ، والله  
كان بيوصها ا

— والله كذاب ا والله ما حصل ا

ومن عيون زازا طفرت الدموع ، دموع الزوجة التي يهتمونها

في شرفها زوراً وبهتاناً . والحاج طلبة يستمع إلى الطرفين وهو  
ينفخ من الغيظ ، ولا يعرف من يصدق منهما .

— ده يتجرأ ويقرب مني ف وسط تلت رجالة ؟ ا قالت زازا  
في ازدراء وهي تشير إلى حيث رقدت فأقد الرشد ، ده جبان يخاف  
من خياله ا

— والله العظيم طلاطة شفته بيوصها ا قال كرشة متمسكا .

— إخرس يا مجرم ا أنا بتاعة كده ؟ طب والله العظيم يا حاج  
لو صدقته لا انت جوزي ولا اعرفك ا آل بيوسني آل .  
وبصقت على الأرض وانصرفت غاضبة تبرطم .

— مثلت لك الدور ده يا بني تمثيل ا تحكي لي زازا ، والله  
العظيم الآخر كنت حاصدق نفسي ا

كل هذا وأنا ملقي على الأرض ساخناً كالنار محمواً أهدي .  
وكانت زازا قد عمدت بعد انقضاء معركة توتو وكرشة إلى تضييد  
جرحي لإيقاف التريف بقطعة من ذيل قميصها الوردى ، وذلك بعد  
أن كبست الجرح بالشئ الوحيد المتاح لها وهو الثلج . فلما ذابت  
الثلوج وتمكنوا من مغادرة الكوخ بدأت تحضر للماء لتسكبه في  
فمي ، وتحايلت على عصر التفاح وإضافته إلى الماء . لم يحاول الحاج  
منعها من تمريضى لأنه مال في النهاية إلى تصديق قصتها أو هكذا

أظهر ، كما أن إسعاف المريض وإغاثة المنكوب أمر تقضى به الأخلاق ،  
والضرب في الميت كما قال مرة حرام .

كذلك حرص الحاج على حياتي بسبب المركب ، فمن يصنعها لهم  
إذا أنا مت ؟ فلما طال مرضي رأى الحاج أن يجرب مواهب الهندسية ،  
راح يأمر توتو وكرشة وهما يشتغلان .

— إكحت هنا ! إنحت هنا ! لا موش هنا ! نعم هنا شوية .  
دوس هنا كان !

وهكذا حتى تم تفريغ جذع الشجرة وبدأ يتحول إلى ما يشبه  
المركب ، فراحوا يعملون الأدوات في جوانبها من الخارج لكي  
تستريح وتصلح لاعتلاء الماء . ثم نظر الحاج إلى نتيجة عمله ذات  
صباح وقال خلاص ، نزلوها يا جدطان ! وبينما تعاون توتو وكرشة  
على دفع المركب إلى الماء وقف الحاج يتلو ما حضره من الأدعية  
والصلوات المناسبة للمواقف البحرية .

— أما كت فرجة يا بنى ! تحكى لي زازا ضاحكة ، والله  
ولا والت ديزنى !

إذ ركب الرجال الثلاثة في المركب وساروا بها خطوتين ، ثم  
فوجئوا بها تميل إلى اليمين وتوشك أن تنقلب ، فمالوا جهة اليسار  
حتى يعدلونها ، لكنها لم تعتلد ، مالت معهم إلى اليسار حتى كادت

تنقلب ، فالوا يمينا فمالت يمينا ، ومالوا يساراً فمالت يساراً .  
أينما مالوا تمل معهم ، وأخيراً قررت أن تميل جداً ، فإذا بالرجال  
الثلاثة في الماء وهي فوقهم .

فقلبوها واعتلوها من جديد ، خمس مرات يعيدون التجربة  
ويحظون بنفس النتيجة . كلما ركبوها قلبتهم في البحر ، هم يريدون  
أن يركبوها وهي تريد أن تركبهم . وزازا واقفة على الشاطئ ، تتفرج  
وتكاد تموت من الضحك ، حتى أنها زعلت عندما يثسوا من  
التجربة وأقلعوا عنها .

— كان لازم يعنى تضربه يا بن الكلب !؟ صرخ الحاج في  
كرشة وهو يغلى من الغيظ .  
— هه ؟ قال كرشة في بلاهة .

— المهندس اللي ح بينى لنا المركب ، شرح له الحاج ، تضربه  
ليه ؟ راجل سمعنى بانازع وجاى يطمن على ، تضربه ليه يا بن الكلب !؟  
— وشرفك يا حاج كان يبوصها ا وضيئى وأيمانى كان . .

— إخرس يا طور ! موش تايز اسمع الكلمة دى تانى . جتك  
البلاف غباوتك وزناخة مخك ؟

فانصرف كرشة يضرب أخماساً بأسداس ، ومن تلك اللحظة

صار همهم الوحيد هو انتظار شفائي ، حتى أن الحاج كان يدعو لي  
بنفسه بعد كل صلاة .

— توتا توتا فرغت الحدوتة ، قالت زازا في النهاية باسممة ،  
حلوة ولا ملتوتة ؟

فلم أجبها لفوري ، رحت أنظر إليها طويلا ، طويلا جداً رحت  
أنظر إليها .

— زازا ، قلت لها أخيراً .

— همهم ؟ سألتني .

— أحبك ، أجبته .



### الفصل السادس عشر



يخيل إلى حيث رقدت أنتي سأخرج لأجد كل شيء  
متغيراً ، لكن أبدأ . خرجت فوجدت كل شيء على  
حاله ، شجرة التفاح التي تتوسط الجزيرة مثقلة الغصون بالتفاح  
الأحمر والأخضر ، وبئر المياه والجرة بجانبها ، والبحر الذي عاد  
صامتاً كما كان ، والأفق للمستدير الذي يحصر المياه حولنا من كل  
ناحية . لكنني اكتشفت اختفاء الجمجمة والعظام ، جرفتها الأمواج  
في أثناء العاصفة . فلو كنت ممن يهتمون بتلك الأمور لقلت أنه  
فأل حسن ، لكن شعوري كان عكس ذلك . افتقدت تلك الجمجمة  
التي تعلمت أن أحبها .

شيء واحد تغير في الجزيرة وهو وجوه سكانها ، إذ نظرت

إليهم فكأنما فارقهم منذ سنوات . الكراميش في وجه الحاج طلبة  
أصبحت أخاديد ، ومن لحيته وشعره كاد يخنق كل أثر للشعر  
الأسود . في عشرة أيام أصبح الحاج عجوزاً ، وكاد الشيء نفسه  
يحدث لتوتو وكرشة . إلا زازا التي يبدو أنها لا تتغير أبداً .

— ألف حمد لله على سلامتكم يا باشمهندس ، قال لي الحاج طلبة  
بشوق وهو يقبلني على خدي الأيمن .

في وجهه عليه اللعنة رائحة من زازا .

— والله ما تعرف كنت مخضوض عليك أد إليه ؟ أضاف وهو  
يقبلني على خدي الأيسر .

طبعاً تخض على يا وغد ، ألسنت أنا الذي في يده خلاصك ؟

— صدق اللي قال ادي العيش خبازه ، قال وهو يقودني نحو  
جذع الشجرة ، الهندسة برضه لها أهلها .

وكانت المركب مقلوبة فتعاونوا على عدلها ، نظرت إليها ورفعت  
حاجب السخرية الأيسر .

— دي ، سألتهم ، مركب ؟

فقالوا آه .

— أنا باحسبها موتوسيكل !

فتضحك الحاج طلبة ، وابتسم كل من توتو وزازا .

— موتوسيكل ؟ إلا موتوسيكل دي ! قال كرشة .

فتلفت حولي متظاهراً بالبحث عن مصدر الصوت .

— أنا سمعت حد بيقول حاجة ؟ تساءلت بازدياء .

— إسكت يا كرشة ، قال له الحاج .

فوقفت - أنا المهندس المنتظر - أجيل بينهم نظرات ساخرة  
لاسعة حرافة .

— إنتو طبعاً منتظرين اني اصلح لكم .. ال .. المركب دي ،  
موش كده برضه ؟

— طبعاً يا باشمهندس ، فيه مين غيرك ؟ قال الحاج في تواضع  
لا بأس به .

— عشان اصلحها لي شوية شروط .

فسكتوا في انتباه ، عيونهم تطوقني في لطفة .

— أولاً ، قلت ثم سكت لكي أزيد من لطفهم ، لازم البأف  
ده ييجي يبوس إيدي ويستسمحني .

وأشرت ناحية كرشة الذي راح يتلفت حوله فلم يجد في الناحية  
أي بأف سواه .

— بأف ؟ أنا بأف يا باشمهندس ؟

— تستاهل يا كرشة ، قال له الحاج طلبه ، وزى ما ضربته لازم تستمحه .

— أصطصحه ؟

— وتبوس إيده زى ما قال ، أضاف الحاج بحزم .

— أنا ابوص إيده ؟ قال كرشة فى ذهول .

— آه ، موش كنت ح تقتله ؟ موش عارف انه يقدر يوديك

محكمة الجنایات ؟

فراح كرشة يحمق فى وقد انفرفه ، بينما بسطت نحوه ظهر يدي لكى يقبلها ، مسبل الجفون أنظر إلى الناحية الأخرى فى كبرياء .

— بوس ا قال الحاج أمراً .

فتصعب كرشة وضرب كفاً بكف .

— اصطفقر الله العظيم يارب ، قال بمرارة ، عشت يا كرشة

وبصت الإيضين !

وتناول يدي فطبع عليها قبلة لوجة مقززة شائكة كأنها

عضة لا قبلة .

— اسمحوا لى بقى بشوية مية ، قلت للحاج .

— هات له مية يا كرشة .

وبينما أحضر الجرة ظللت باسطقاً يدي أبعد ماتكون عن جسمي ، توطئة لأن أسكب عليها من الجرة لأطهرها .

— شوف ابن ال . . ا صاح كرشة .

— كرشة ا قال الحاج ناهراً .

— ده يفكرنى بالشرط التانى ، قلت للحاج طلبه ، إذا الجدع

ده وجه لى أى كلمة ح ابطل شغل .

— من هنا وراج مالكش أى دعوة بيه يا كرشة ، قال له الحاج ،

وأى حاجة يقوها لك تعملها على طول ، سامع ؟

— صامع ، قال كرشة فى استسلام .

— يا لله يا باشمهنضس ، قال الحاج ، إحنا ضاع منا وقت كثير .

— أولاً ناولونى الخنجر .

فناولوه لى ، أعملته فى لحيتى وشعرى بالتهذيب ، وفى أظافرى

بالتهذيب ، ثم قصدت إلى شجرة التفاح ورسمت عليها عشر علامات

بعدد الأيام التى يقولون أننى رقدتها ، ثم قطعت تفاحة واتجهت إلى

المركب وأنا أقرشها .

— موش مصدق أبدأ أن دى مركب ، قلت لهم ، ده نعش بس

ناقصه الكسوة !

وبدأنا العمل ، إ كحت هنا وانحت هنا ، نعم هنا دوس هنا ،

أصلح ما أفسدوه بجلافتهم الهندسية . ساعتان وأنا أعطى الأوامر حتى تعبت .

— طاوز اتغدى ، أخطرهم .

فصا د توتو السمك وشواه ، كانت ست سمكات أكلت منها ثلاثاً وحدي .

— أنا موش واخدم طمع ، أفهمتهم ، لأ ، بس عشان القوسفور مفيد للتفكير .

وكان الحاج يريد أن أوصل العمل بعد الغداء لكننى اعتذرت .

— ما تنساش انى لسه قايم من العيا ، ولازم ادخل اقبل شوية .

واتجهت بجلال نحو الكوخ ، دخلته وأقفلته على لأنام . فلما أخذت حتى من الراحة نهضت وقصدت إلى المركب من جديد .

— هاها ، ضحكت وقد وقع بصرى عليها ، طب والله لولا

قلتولى إنها مركب كنت افكرتها عربية كارو !

فضحك الحاج طلبة ضحكة صفراء ، وتصعب كرشة فى صمت .

— أنجر ! قال توتو فجأة وهو يناولنى الخنجر .

— الله ! هتفت ، ده نطق !

— ح يقعد المدة دى كلها ما يلقطش منا كلمة ؟ تساءل الحاج ،

ده لو حيلة كان اتعلم .

— الخنجر أنجر ، قالت زازا شارحة ، والمركب أركب ،  
والشجرة أجرة !

وضحكت زازا فضحكت وضربتها برفق على ظهرها ، زغرلى  
الحاج وقال إحم .

بالخنجر والمنشار واصلنا العمل ، خمس علامات جديدة رسمتها  
على جذع شجرة التفاح ونحن نعمل . كلنا نعمل بما فينا الحاج طلبة ،  
ولعله كان أشدنا حماسة للعمل ، معذور وهو يحمل فى وجهه كل  
تلك الغضون والأخاديد . بالخنجر والمنشار ننحت ونكحت ، شيئاً  
فشيئاً بدأ الموتوسيكل يتحول إلى مركب . فوقفت ذات صباح  
أفحص نتيجة عملنا ثم ابتسمت .

— أفكر يا ولاد ، قلت لهم باسم ، إنها بقى مركب .

فتهلل وجه الحاج طلبة .

— يعنى نزل نجربها ؟ سألتنى بلهفة .

— ما فيش مانع ، قلت له بسماحة علمية ، تقدر تنزل .

— يا لله يا جدعان ، صاح وهو يشمر أكمامه ، يا لله !

— بس أنا موش طاوز اتبل ، أفهمتهم .

واعتليت المركب وهى ما تزال على الشاطىء داعياً زازا إلى  
مصاحبتي ، بينما راح الرجال الثلاثة يدفعون المركب وينزلونها إلى

البحر . فلما صار الماء عند ركبهم قفزوا ليركبوا ، أخذت بيد  
الحاج لأعينه على الصعود . وكنا قد نحتنا ما يشبه مجدافين كبيرين  
تناول أحدهما توتو وتناول الآخر كرشة وراحا بمجدافان .

— دى مشيت يا جدعان اهتف الحاج بفرحة طفل صغير ،  
مشيت ا والله ماشية ا

ورفع يديه إلى السماء وراح يطرها بالحمد والشكر .

— متيألى يا حاج ، نهته ، إني انا استحق كلمة شكر .

— كلمة وبس ؟ دنت تستاهل بوسة ا

وهجم على يغرق وجهى بقبلاته كأنه يأكلنى .

— ما كنتش عارف ، قلت له وأنا أصدده عنى ، إن البوسة

منك انت ا

فنظر إلى بنجبت ثم التفت إلى زازا .

— كافييه يا عزيزة ، يستاهلها !

فالت زازا على وقبلتنى ، ولكى أعرب عن شكرى ملت عليها  
وقبلتها قبله يبدو أنها تجاوزت حدود الشكر فقال الحاج إحم .

المقاديف تضرب الماء وسفينتى تسير باسم الله مجريها ومرساها .  
على الماء تنزلق برشاقة البجعة الحسنة ، بارك الله فى نغى الهندسى القذ .

— بدمتكو صحيح ؟ سألتهم بمد حين .

— صحيح إيه ؟ سألونى .

— كنتو مايزين تنزلوا البحر بوابور الزلط ده ؟ ا

فضحك الحاج ملء وجهه الذى يموج بالفرحة والأمل . على الماء  
تمشى سفينتى ، تناسب وتهادى على إيقاع جميل من خفق الموج  
على جنبها .

— من هنا ورايح ، قالت زازا ضاحكة ، حقنا نسميك  
احمد نوح ا

— لكى حق والله ، قلت مصدقا ، ولو ان فيها من كل صنف  
واحد بس ا

وأشرت إلى ركاب السفينة فضحكت زازا وضربتني على ظهري .

— متيألى سرعتنا خفت شوية ؟ تساءل الحاج بعد حين بقلق .

— قول للطور ده يقذف زى الناس ، قلت مشيراً إلى كرشة .

— قذف كويس يا كرشة ؟

— ما انا باقصف اهه ، برطم كرشة ، إمال انا باعمل إيه ؟

لكن سرعتنا كانت قد خفت فعلا ، حتى بدأ القلق يساورنى  
أنا الآخر .

— على كل حال الحق موش ع المركب ، نهت الحاج ، كل ما بندخل  
جوه الموج بيتقل .



— كلام معقول ، قال مستعداً لقبول أى تفسير .

ثم بدأت المركب تحيد جهة اليمين .

— إعدل المقداف يا أخينا ، قلت لكرشة .

— ماهو معضول آهه .

وكان فعلا معدولا ، وكذلك مجداف توتو ، لكن المركب ظلت تحيد إلى اليمين . كنا نسير والجزيرة خلفنا فأصبحت الآن عن يميننا ، رقعة أرض صغيرة على مسافة تقرب من الكيلو .

كنا نسير مبتعدين عنها والآن نسير بمحاذاتها .

— حاجة غريبة خالص ، قلت فى غيظ ، ناولنى المقداف .

تناولت مجداف كرشة على أمل أن أعدل من سير المركب ، إذ كانت لى خبرة بالتجديف أيام الجامعة . جدفت كما يجب أن يكون التجديف ، وجعلت توتو يحذو حذوى ، لكن هذا لم يغير من الأمر شيئاً . المركب مصرة على أن تسير بمحاذاة الجزيرة بدلا من أن تبتعد عنها ، كأنها تنوى أن تدور حولها . فلو لم تكن تدور حولها فلماذا هى طول الوقت عن يميننا ؟

— عندى فكرة ، قلت .

— إلحقنا بيها ياصى نوح اقال كرشة ساخرآ .

حولت حركة الجدافين بما يجعل المركب تتجه نحو الجزيرة

عمودياً لىكى أرى إن كانت ستطيعنا أو تظل تدور حول الجزيرة . فأطاعتنا المركب ، أخذت تقترب من الجزيرة وبسرعة أكبر مما نطلب . فعكست الوضع ، أدرت المركب كما كانت جاعلا الجزيرة خلفنا ورحنا نجدف ، أطاعتنا المركب أيضاً . راحت تبتعد عن الجزيرة كما حدث من قبل ، حتى وصلت إلى نقطة معينة فخادت إلى اليمين وبدأت تسير بمحاذاة الجزيرة . من جديد رفضت المركب أن تبتعد عن الجزيرة وأصررت على أن تدور حولها .

— حاجة موش مفهومة بالمره ، قلت معلنا حيرتى .

— حاجة تجنن اقال الحاج وهو ينفخ .

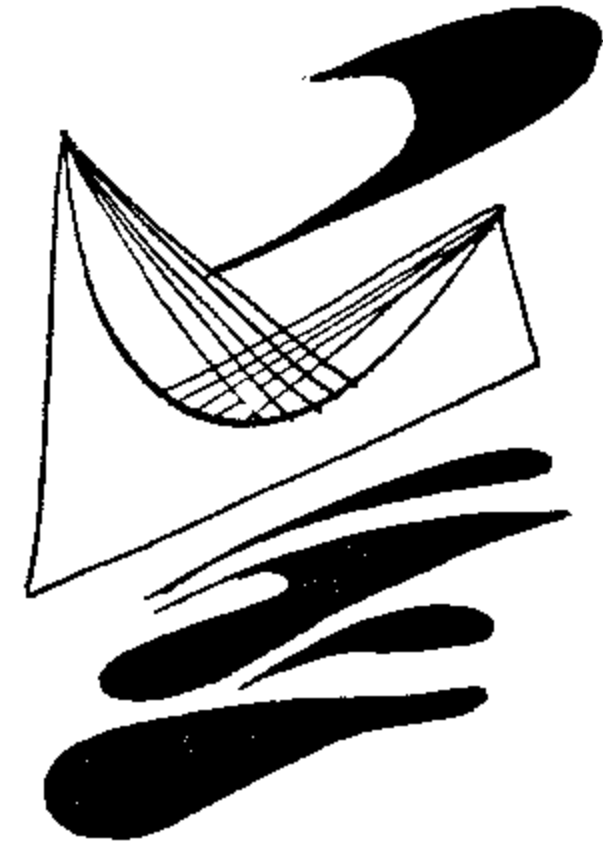
— طب والنبي فسحة حلوة ا قالت زازا .

— فسحة ؟ ا قال كرشة وبصق فى البحر .

عاودت تجربة العودة إلى الجزيرة فأطاعتنا المركب ، وعاودت تجربة الابتعاد عنها فأطاعتنا ، لكننا ما كدنا نبلغ نقطة معينة حتى عادت تدور حول الجزيرة . و فجأة حدث ما هو أغرب من ذلك .

فجأة بدأت سرعة المركب تزيد بالرغم من أننا توقعنا عن التجديف ، شيئاً فشيئاً أخذت تزيد حتى أصبحنا نجرى لا نسير ، كأننا فى لنش بخارى حديث .

— ياساتر يارب اهتف الحاج في فزع ، ياساتر يارب !  
 بسرعة شديدة تدور المركب حول الجزيرة ، وبالطبع تتقلقل  
 وتمايل وتضطربنا إلى التشبث بمحافتها بكل قوتنا مخافة أن ننخلع منها.  
 صوت الماء تحتنا أشبه بصوت شلال يتدفق ، والأفق يدور حولنا  
 ويدور حول مركز واحد هو الجزيرة .



— ياساتر ! ياساتر ! ياساتر ! ردد الحاج طلبه .  
 — دحنا كإتنا ف لونا برك ! هتفت زازا .  
 ولاحظت أنا ظاهرة جديدة ، أننا في دوراننا حول الجزيرة

نقترب منها في الوقت نفسه ، كأن المركب تدور في خطوط حلزونية  
 تدنينا من الجزيرة ولا بد أن تنتهي بنا إليها .

— إحنا بنقرب م الجزيرة اصاحت زازا مبهجة .  
 شيئاً فشيئاً تضيق الدوائر حتى أصبحنا على بعد خطوات من  
 الجزيرة ، درنا حولها دورتين أخيرتين ثم اتهمنا إلى الشاطئ .  
 صدمة عنيفة ومقدمة المركب تنفوس في الرمال فكدنا نندلق منها  
 على الأرض .

— حمد الله ع السلامة ا قالت زازا بضحكة صغيرة .  
 لكن أحداً لم يجيبها . الحاج طلبه يدمدم بصلوات لم أسمعها ،  
 وتوتو قابض على المجداف يتفحصه في بلاهة ، وكرشة التفت إلى  
 وراح يتفوس في نحو من دقيقة كاملة ، لو أن النظرات تقتل  
 لقتلتني نظرتة . وأخيراً نطق .  
 — اطفوا عليك مهندس ا قال وهو يغمر وجهي ببصقة .



## الفصل السابع عشر



مرات في خلال يومين كررنا تلك التجربة اللعينة  
 — تجربة الخروج بالمركب من الجزيرة ، وفي كل مرة  
 تتكرر المأساة نفسها . المركب تدور حول الجزيرة كأنها مشدودة  
 إليها بحبل ، ثم تعود إليها في تلك الدوائر الحلزونية الفاجعة . فوقف  
 كرشة يشويني بنظراته الحاقدة ، ثم بسط ذراعيه كأنه سيرقص .  
 راح يتقصع في وقاحة ويقلدي وأنا أسوق إليهم تعليماً الهندسية .  
 — إكحط هنا ، إنحط هنا إخفف هنا ، طقل هنا إ نعم هنا ،  
 خشن هنا . دي موطوسيكل ! دي عربية كارو ا دي واپور زلطا  
 آهي بقت مركب ياروح امك ، عملنا بيها إيه ؟ ياخي جتك سطين نيلا  
 ع اللي علمك الهنضة ا

فدارت في ذهني تعليقات كثيرة ، لكنني احتفظت بها لنفسى  
 بالطبع . ورمقه الحاج طلبية في امتعاض .

— وهو ذنبه إيه ياأخي ؟ سأله لأثما ، هي المركب موش مشيت  
 بينا ؟ هي موش طامت بينا ؟

— طب وبطرجع طاني هنا ليه ؟ سأله كرشة وهو يضرب  
 براحته اليمنى ظهر يده اليسرى .

فتريث الحاج فترة قبل أن يجيب .

— البحر ده فيه حاجة ، قال الحاج طلبية بنبرة خوف ، الجزيرة  
 دي كلها فيها حاجة . أنا احلف انها مسكونة ولا معمول لها عمل ا  
 فلم أعلق على هذا الكلام أيضاً ، لا أظن أنه يستحق التعليق .  
 — أنجرا قال توتو مشيراً إلى الخنجر .

فناولناه إياه وقد ظننا أنه سيصيد السمك ، لكنه انطلق  
 به إلى المركب وجثا بجانبها ، راح يتأملها حيناً ثم بدأ يحك بالخنجر  
 في نقطة راقته من مقدمتها .

— ياصلاح ياصيدي ، تصعب كرشة ، قال دي يعني اللي كط ناقصة ا  
 ثم التفت إلى أنا .

— جطكو نيلا مهنضسين ؟

— جتك ستين نيلا انت ا أفلتت مني الكلمة .

— احترم نفسك يا أسطاز !

أجابني شافعاً إجابته بزغد .

-- يخلصك كده يا حاج ؟ سألت المذكور من حيث انبرشت على الأرض .

— ماتحل عنه ياواد يا كرشة اقال له الحاج زاجرا .

فوقف كرشة يصوب إلى الحاج نظرة طويلة متحدية من خلال جفونه الثقيلة المتهدلة ، نظرة لا أذكر قط أنني رأيتها يصوب إليه مثلها .

— أنا حرف نفسي ، نطق كرشة أخيراً ، ما حدش له عنضى حاجة !

فاجر وجه الحاج حيث جلس متشاغلاً بالتسبيح ، بينما حافظ كرشة على وقفته المتحدية ونظرته المتحرشة . هل قرر الكلب فجأة أن يتمرد على سيده ؟

— إنت بتبوا فى ياواد ؟ زجر الحاج طلبة غاضباً .

لكن كرشة لم يتأثر .

— طب بص ما تقولش واض اأجابه بنفس اللهجة المتحدية ،

أنا راجل ظيى ظيىك ، آه !

فازداد وجه الحاج احمراراً ، وراح يحملق نحو كرشة فى غضب شديد تمازجه دهشة أشد ، ولمسة من الخوف تراءت فى عينيه

واضحة . ثم أشاح بوجهه فى صمت وامتدت يده بحركة لاشعورية تتحسس جيبه ، فما لبث كرشة أن أولانا ظهره وابتعد بعد أن بصق على الأرض تعبيراً عن شعوره بالموقف كله . نعم هو قرر أن يتمرد على سيده ، أمر ثبت لنا بوضوح فى اليومين التاليين . فإذا استثنينا تلكثرة الطارىء فى تنفيذ طلبات الحاج طلبة ، وتجاهله التام لها فى بعض الأحيان ، فهناك الطريقة الجديدة التى بدأ يتبعها فى التطلع إلى زازا . كان فيما مضى يفض البصر إذا واجه زوجة سيده ، أما الآن فهو ينظر إليها بصفاقة ويتسم أيضاً . نظراته الوقحة تكاد تخترق جلبابه المحيط بجسمها ، وريالته تكاد تسيل من فمه . ثم تجاوزت جراته حدود الحلقة ، إذ مرت به زازا يوماً فإذا به يشرع فى الغناء .

— أمخبرى يا حلوة يا ظينية ، طرنم كرشة ، ياورضة من جوه

جنينة !

هو طبعماً لا يوجه الأغنية مباشرة إلى زازا ، لكنه كما يقولون يريد أن يسمعها . ولم يكن الحاج طلبة موجوداً لحسن الحظ ، كما أنه لم يكن موجوداً فى المرة الثانية ، عندما جاوز كرشة بجراته كل الحدود . إذ مرت به زازا فى طريقها إلى البئر وكان هو جالساً على الأرض ، فإذا به يرفع ذراعيه ويشرع فى طرقة أصابعه وهو يترقص .

— هظ ياوظ ! هظ ياوظ ! هظ ياوظ !

هكذا ظفها — أعنى زفها — حيث سارت أمامه ، لم ترهبه  
نظرة الاحتقار التي رجته بها زازا .

— صلاة النبي أحسن ! قال كرشة وهو يلعب حاجبيه ، يا أرض  
احفظي ما عليكي !

ولم ينس أن يواصل الرفقة حين عادت زازا من عند البئر  
بالجرة المليئة .

— هظ ياوظ ! قال كرشة وهو يصفق ، هظ ياوظ !

وكانت زازا معذورة في الضحكة التي أفلتت منها وهي تواصل  
رحلتها نحو الكوخ ، تلك الضحكة التي أثرت في كرشة حتى جعلته  
يستلقي على ظهره ، رافعا ساقيه ومحركا إياها في الهواء كأنه يركب  
عجلة بالمقلوب .

— بظمتك يا باشمهنضس موش حرام ؟

— هو إيه اللي حرام ؟ سألته بازدرآء .

— الحاج يطمطع بالجمال ده كله واحنا قاعدين نطفرج ؟

وبالرغم من موافقتي له على هذا الرأي فلم أصارحه به ،  
لا تعجبني فكرة وقوع الجمال المذكور بين ذراعي الغوريلا . فلما  
كان اليوم التالي تبين لي أن الأمر أخطر بكثير مما أتصور ، وذلك  
عندما انتهزت زازا فرصة ابتعاد الآخرين وأتت تحدثني .

— كرشة ده أتجنن خالص ، أخبرتني ، تصور انه خلافي ماشية  
وقرصني في ذراعي ؟ !

— يا نهار اسود ! ده لو الحاج عرف كان يضربه بالرصاص .

— اللي رميته في البحر ؟ سألتني ساخرة .

— ما كانش حقتك ترميه أبداً .

فلم تعلق على هذا الرأي ، ووقفت تتأملني .

— إنمات إيه حكايتهك الأيام دي ؟ سألتني بنظرة جانبية ماكرة .

— حكايته ؟

— آه حكايتهك . لا بتسأل على ولا بتكلمني ، ولا كأنك

تعرف واحدة اسمها زازا !

حقاً إني أهملتها في العهد الأخير بصورة وضیعة ، ولكن

للضرورة أحكامها .

— لو حصل لك اللي حصل لي ، صارحتها وأنا أشير إلى كتفي

الأيسر ، كنتي تعرفي إيه حكايته .

— عزيزة ! أتى صوت الحاج طلبه منيأ حديثنا .

أما كرشة فقد رسم في مساء اليوم التالي بداية عهد جديد تماما ،

عندما رأى الحاج طلبه يدخل إلى الكوخ مع زازا فقال لنفسه

هع ، توطئة لأن ينادي الحاج بصوت يقطر استهزاء .

— يا حاج طلبه ، صاح كرشة ، ما يلطمش خضمة ا؟

فحمد الحاج طلبه في مكانه ، سمع النداء ولكنه لم يلتفت إلى المنادى . وقف عند باب الكوخ يستوعب ما سمع ثم مد يده إلى جيبه حيث يوجد للسدس . نحواً من دقيقة حمد الحاج على هذا الوضع وهو يفكر ، فالحمد لله أنه انتهى من التفكير إلى تغليب الحكمة ، إذ دخل في صمت وأقفل الباب وراءه . فعند ذلك خطر لي أنه قد يكون من الواجب على أن أخطره بأمر سدسه الفاضل ، خير له أن يعرف حدود قوته في مواجهة كلبه الذي السعير .

— هبع اقال كرشة ، هبع هبع هبع ا

فتركته وذهبت لأنام ، وقبيل الفجر صحوت مذعوراً . صحوت على صوت أذكر أنني صحوت على مثله من قبل ، صوت جسمين طارين يتلاطمان بقسوة وعنفة . فهضت لكي أرى المنظر القديم نفسه على ضوء القمر الشاحب ، منظر توتو وكرشة وقد التحما في معركة دموية بالبونيات والروسيات ، وبالمخالب والأسنان ، والخنجر ملقى على الأرض بالقرب منهما ، فأسرعت بالتقاطه وإخفائه وراء ظهري . وانفتح باب الكوخ عن الحاج الذي أيقظته الضجة ، وقف يتأمل المنظر حيناً ثم التفت إلى .

— فين عزيزة ؟ سألتني بسرعة .



— زازا ! هتفت في دهشة ، هي موش معاك جوه ؟

وقبل أن يجيب أانا صوت زازا .

— ما نا قدامكو آهه !

وكانت في الحقيقة خلفنا لأمامنا ، فالتفت الحاج إليها في غضب وهم بأن يقول لها شيئاً ثم عدل والتفت نحو المتعاركين . ظل يرقبهما حيناً ثم اتجه إليهما وهو يخرج المسدس من جيبه .

— بس منك له ! صرخ فيهما ، بس يا كرشة اسيبه يا ولة !

فصدع كرشة وترك توتو ليواجه الحاج .

— بدل ما تقل أضحك على ، قال له في غيظ وهو يلهث ،

إصألني باضربه ليه .

وتوقف لحظة ليأخذ نفسه .

— باضربه عشان صيادتك نايم زى الجرضل ، شرح له ، وهو

واخذ مراطك ورا المركب وناظل فيها بوص !

فتدلى فك الحاج في بلاهة ، معذور والله إزاء هذه التشكيلة

من الشتائم والمعلومات .

— كذاب في أصل وشك ! صرخت زازا في كرشة ،

كذاب !

والتفتت إلى الحاج .

— هو اللي خلاني رايحة اشرب وجه يعاكسني ، جه توتو  
يحوشه عنى مسكوا ف بعض !

فازداد وجه الحاج طلبه بلاهة ، في حين شرع كرشة يشد شعر  
رأسه بكلتا يديه .

— يا عالم ! ياهوه ! يا مصلين ! أنا عاكصتك يا ولية ! أنا قربت  
منك خالص ؟ ما كانش واخذك ورا المركب وناظل فيكي بوص ؟

— بس يا كذاب اهتفت زازا ، ماخلتنيش ماشية لول امبارح  
وقرصنتي في دراعي ؟

فتردد كرشة لحظة ثم قذف بالاعتراف .

— آه حصل ! لكن احنا في الليلة دي . مين فينا اللي كان  
واخذك وناظل فيكي بوص ؟

— بس يا كذاب اأعادت زازا بصوت تخنقه الدموع ، بس  
يا خباص !

وفي عينها ترفرت دموع المظالم ، بينما راح الحاج طلبه ينقل  
النظر بينها وبين كرشة عاجزاً — مثلى — عن تبين الصادق من  
الكذاب . وأخيراً ركز بصره على كرشة وأخرج السبحة من جيبه  
فقدمها إليه .

— إمسك ! قال له آمراً ، تحلف على السبحة دي ان كلامك  
صحيح ؟

فتناول كرشة السبحة وبدأ يحلف .

— وحياط الصبحة دي ! وحياط للمصحف الشريف ! وحياط  
الخطمة الشريفة ! وحياط ربنا ! وحياط النبي ! وحياط الصيدة !  
وحياط الحصين ! أعظم عيني وعافيطي ! أنطس في نظري ! ينقطع  
ضراعي ! يفرمني طرماي ! أبقى ابن سطين . . إن ما كنت شفطه  
واخذها ورا للمركب وناظل فيها بوص !

وكان كرشة — لفرط حماسه — يلتقي بأيمانه دون أن يأخذ  
بينها أي نفس ، فلما انتهى منها وقف يلهث وينهج كأنه خرج لتوه  
من مباراة في الملاكمة . أما الحاج طلبه فقد احتقن وجهه وبرزت  
العروق فيه بدرجة تمكن طالب الطب — لو تصادف وجوده —  
من دراسة الدورة الدموية على الطبيعة . نحواً من دقيقتين وقف  
جامداً كالتمثال ثم التفت إلى توتو ، صوب إليه نظرة فيها من الحقد  
مالوعبيء في مدفع لانطلقت منه قنبلة ، ثم صوب إليه المدفع الصغير  
الذي في يده وتهيأ للضغط على الزناد .

— أنا ف عرضك يا حاج ! صرخت فيه يأساً ، بلاش تضرب !  
بلاش يا حاج انت راجل مؤمن !



غير أنه لم يحفل بي إن كان قد سمعني أصلاً ، بقوة ضغط  
على الزناد .

— تك ! قال المسدس .

تكة معدنية باردة أثارت دهشة الحاج فضغط على الزناد  
من جديد .

— تك ! قال المسدس ثانياً .

فازدادت دهشة الحاج مع بادرة من الخوف في عينيه ، وضغط  
على الزناد ثالثاً .

— تك ! تك ! تك ! تك !

تكات باردة متعاقبة وما من رصاصة تنطلق ، الأمر الذي لم  
يكن غريباً معه أن يصبح وجه الحاج صورة مجسمة للدهشة والغيبظ  
والرعب . وتوتو يتلقى تلك الرصاصات الوهمية بمزيج مماثل من  
العواطف ، وكرشة يرقب الموقف بأعبي نظرة في أعبي وجه رأيته  
في حياتي . وأخيراً فتح الحاج مسدسه وأخرج المشط ليفحصه ،  
خيل إلى مدى لحظة أنه — الحاج لا المشط — سوف ينفجر .

— ابن . . مين اللي سرق الرصاص ؟ جأر الحاج بمقد أسود ،

ابن . . مين ؟

وألقى بالمسدس على الأرض وراح يجيل النظر بيننا باحثاً عن  
اللص ، ثم استقرت عيناه على زازا .

— ما فيش غيرك يا بنت ال . . . جأر في وجهها .

ورفع يده ليصفعها ولكنها وثبتت خطوة إلى الوراء ووقفت  
كنمرة متحفزة ، تدق بقبضتها الخيني على راحتها اليسرى .

— أيوه انا اللي سرقته ! ورميته في البحر كان ! ومسدسك  
فاضي ! ما عندكش رصاص !

وشجعها ذهول الحاج على الاسترسال .

— وأيوه كان يبوسني ، عاجبك ولا لا ؟ أنا حرة ف نفسي !

مالك ومالي ؟ طلقني ! ما با حبكش ! جتك البلا !

فازداد ذهول الحاج ، راح يلتهمها بنظراته حيناً ثم انقض عليها  
كالوحش وأطبق على عنقها . كادت زازا تنتهي لولا يد توتو التي  
جذبت الحاج من قفاه وطوحته بعيداً ، وهي اللحظة التي انهزها  
كرشة لكي ينقض على توتو من الخلف ويشل حركة ذراعيه ، في  
حين هجم الحاج عليه من الأمام وبدأ في كيل الصفعات والللكات .  
كم صفعه ولكمة نالها توتو لا أذكر على وجه التحديد ، ولكنها  
كانت كافية لأن تجعله يتراخي بين ذراعي كرشة وينزلق إلى الأرض .  
وحتى بعد أن سقط لم يرحمه الرجلان ، واحد منهما يرفعه في جنبه  
والآخر في رأسه ، فغطى توتو وجهه بذراعيه وضم ركبتيه إلى  
صدره ليتلقى آخر الرفصات وأقواها في ظهره ، فسكنت حركته  
ورقد على الأرض كالقتيل .

— قتلته يا مجرم! صرخت زازا بصوت مجنون ، قتلته يادون!  
وكرشة قرصنى وساييه . خايف منه ليه يا جبان!؟

فما كاد الحاج يسمع الكلمة حتى طارت يده — تلقائياً —  
إلى صدغ كرشة بصفعة أليمة .

— مرة ثانية ما تعملهاش! صرخ الحاج طلبية فى كرشة .

صفعة شديدة تلقاها كرشة ببساطة وكأنها ذبابة حطت على  
وجهه ، ثم رفع يده الغليظة وإذا بها تستقر على صدغ الحاج  
بصفعة ممائلة .

— ما تمضش إيدك على!

وصفعة ثانية ألصقت الحاج بجدار الكوخ .

— أنا اقرص على كيني! تعا يا بط!

وجذب زازا من ذراعها وواصل الكلام .

— أقرص على كيني وابوص على كيني كان ، آه!

وتناول رأس زازا بين يديه وألصق بخدها شفتيه ، سمعت قبلة  
أشبه بصوت فرملة طويلة حادة لسيارة مسرعة .

— قلط إيه بقى؟ سأله كرشة وهو يترك زازا .

فلم يقل الحاج شيئاً ، بظهره ضغط على جدار الكوخ لكي  
يكتسب أكبر قوة ممكنة يندفع بها نحو كرشة . لكن كرشة

هو كرشة ، تلقى الحاج للمندفع بيديه ودفعه دفعة ردتة إلى حيث  
كان لصق الكوخ ، توطئة لأن ينقض عليه فيطبق على  
رقبته باليدين .

— إنط موش أضى يا حاج ، موش أضى! أقطلك؟ أخنقك؟  
لكن لأ ، أنا برضه عندي إنصانية!

ونزع يديه عن عنق الحاج لكي يصب إلى فكه لكمة  
إنسانية شديدة تلقاها الحاج فى استسلام حيث استند إلى الكوخ ،  
ثم بدأ ينزلق ببطء حتى جلس على الأرض وقد مال رأسه على كتفه  
كرجل نعسان .

وكرشة راح يتلفت حوله كالجنون .

— فين الخنجر!؟ فين الخنجر!؟

فشعرت بالمدكور يرتعد فى يدي ، وازدادت الرعدة عندما  
رأيت كرشة يركز بصره على كأنما قرأ خواطرى .

— ما فيش غيرك انط! صرخ كرشة فى وجهى ، ح طجيبه  
ولا اصيح ضمك؟

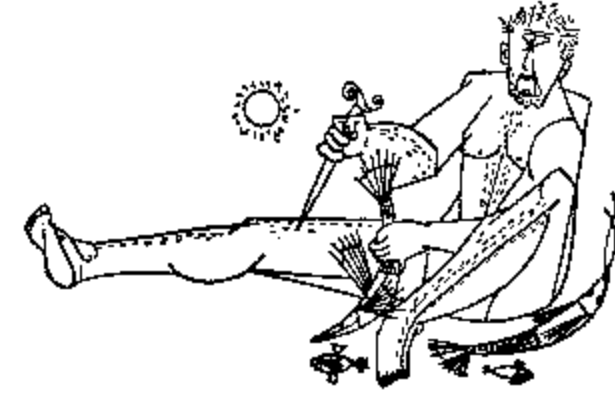
فوجدتنى أبرز الخنجر ببساطة من وراء ظهري .

— آهه!

وقذفت بالخنجر نحو كرشة توطئة لأن أطلق ساقى للريح ،  
 فلما لم أشعر بصوت يلاحقنى توقفت والتفت إلى الوراء ، رأيت  
 كرشة وهو يطبق بيده على ذراع زازا ويجذبها إلى الكوخ .  
 — أحمد ا صرخت زازا من بعيد ، أحمد ا إلحقنى يا أحمد ا  
 حوشه عنى يا أحمد ا إلحقنى يا أحمد ا  
 حلوة دى — قلت لنفسى — آل الحقها آل .

### الفصل الثامن عشر

**ناظرًا** إلى الكوخ المقفل على زازا وكرشة أحسست بأنى  
 أريد أن أبكى ، ثم بأنى أريد أن أضحك ، ثم وجدتنى  
 أفعل الأمرين معاً . وكانت الشمس قد بدأت تشرق ، لا أدرى  
 كيف سمحت لنفسها بالشروق فى تلك اللحظة . شعاع منها سقط  
 على الجزيرة وأضاءها كما يضيئها كل يوم ، كأن شيئاً مختلفاً ورهيباً  
 لا يدور اليوم فى تلك الجزيرة . شعاع سقط على الحاج طلبة حيث  
 جلس كالنمسان مستنداً إلى جدار الكوخ ، وعلى توتو الذى  
 ما برح طريحاً على الأرض كالجنة الهامدة . فلوأنتى كنت مكان  
 الشمس لعدت من حيث أتيت ، لكن الشمس فيما يبدو لا تحفل



كثيراً بهذه الأمور ، وأنها أكثر من مرة حتى ألفتها واعتبرتها من روتين الوجود .

كان الحاج طلبة أول من أفاق ، رفع رأسه وأخذ يبرش حوله بعينين زائغتين . نظر إلى توتو الداخ ثم إلى أنا محاولاً أن يتذكر ما حدث ، فما كاد يتذكر حتى جحظت عيناه كعادته حين يفعل .

— فين عزيزة ؟ سألتني بصوت زادت اللهفة من بخته .

فاكتفيت بإشارة صامتة إلى الكوخ الذي يستند إليه ، لا شك أن الإشارة أرحم من الكلام .

— وكرشة ؟ سألتني بنبرة خوف .

فأشرت إلى الكوخ من جديد ، شافعا إشارتي بابتسامة صغيرة رجوت أن تهون الأمر عليه . فما كاد يرى إشارتي حتى نزع ظهره عن الكوخ بسرعة كأنما لسهه ، وانتفض واقفا كأنه عفريت العلبة .

— يعني . . ؟ سألتني عينه المدعورة .

— أيوه ، أجابته عيني المستسلمة .

فراح يتفرس في الكوخ كأنه لا يصدق الأمر ، ثم امتدت يده إلى جيبه بحركة لا شعورية . لكن المسدس كان ملقى بجانب قدمه على الأرض ، فصوب إليه رفصة حاقدة أطارته بعيداً .

ثم التفت إلى الكوخ وتهاياً لإطلاق الصرخة الصادرة من أعماق أعماق أحشائه المعذبة .

— كرشاه ! دوى صوته كالرعد ، كرشاه !

فمرت لحظة قبل أن يجيب كرشة ، تنحنح أولاً ثم أجاب .

— أي خضمة يا حاج ؟؟ تساءل كرشة بصوت هادئ تشوبه

نبرة سخرية .

— إفتح يا ابن الكلب ! زار الحاج طلبة ، إفتح يا مجرم !

إفتح يا ابن ال . . . !

فمرت لحظة جديدة قبل أن يجيب كرشة .

— يا حاج طلبة ، قال المذكور بعد حين .

— إيه ؟

فصكت سمع الحاج شتمة بذئثة أعقبتها همهمة ماجنة ، والهمهمة

تبعها صرخة صغيرة من زازا ، فلا بد أنه ضربها على ظهرها ليلفت

نظرها إلى ضعابته — أعنى دمايته . فما كاد الحاج طلبة يسمع تلك

الصرخة حتى تحول وجهه إلى ما يشبه بالوناً منتفخاً أحمر ، وراح

يلتهم الكوخ بنظرة أعجب كيف لم تشعله ناراً . ثم ارتد إلى الورا

خمس خطوات ووقف يستجمع قوته ، فلما استجمعها هجم على الباب

وخبطة خبطة لو أصابت جبلا لهدته . لكنه لم ينفتح ، كيف ثبتته  
كرشة من الداخل لا أدري .

خمس مرات يهجم على الباب بتلك الصورة وما من نتيجة ،  
لا الباب ينكسر ولا كتف الحاج تلمت . فوقف الرجل ينفخ من  
الغيظ توطئة لأن يلتفت نحوى فجأة .

— واقف تتفرج على يا طور؟ اصرخ في ، موش تيجي  
تزق معايا؟

وكانت ردالة منى حقا أن أقف هكذا بلا عمل ، فسرطان  
ما انضمت إليه ورحنا نجاهد في فتح الباب ، ندفعه بالأيدي  
والأكتاف وندق عليه ونرفسه بلا نتيجة .

— بلاش ضوشة منك له ! صاح كرشة من الداخل ،  
أنا موش فايق لكو دلوقط ا موش كده يابط؟

وصرخة جديدة — أو ضحكة هسترية — صدرت من زازا  
فزادت من احتقان البالون الأحمر فوق كتفي الحاج تلمت . ورأيته  
يرفع يديه إلى أذنيه ليسدها ، بينما يهز رأسه يمينا وشمالا وهو  
مغمض العينين كأنه في حلقة ذكر .

— يا باشمهنضس ! ناداني كرشة .

— أفندم ، سألته وأنا أتوقع شطمة .

— ما تقول لظوظو يصطاد لنا صمكتين !

فتريثت لحظة قبل أن أجيب .

— الخنجر معاك ، قلت بصوت هادي ، إحدفه وإحنا نصطاد .

— هبع ! قال كرشة ، لاحدق يا وادا طول عمرك حدق

بس يا خسارة ، ما لكشرف صنعة للراكب ا هبع هبع ! حلوة  
دي يا بظ ؟ !

وصرخة نالثة من زازا فاذا بالحاج تلمت يتهالك فجأة على ركبتيه ،

رفع يديه عن أذنيه ليغطي بهما عينيه ، وأخذ جسمه يهتز بالبكاء

كأنه طفل عاجز صغير . فبينما أنا أنظر إليه شعرت بمزيج غريب من

الثناء له والشماتة فيه . عسير على الرجل — أي رجل — أن يخوض

تجربة كهذه بخصوص زوجته ، وفي الوقت نفسه — كما قالت زازا

مرة — حدقال له يتجوزها؟ لو أنه تركني أتزوجها لكان الآن

يجلس هادي البال ، ولكنت أنا الذي أهري بدلا منه وأنكت .

وأخيرا رفع الحاج تلمت يديه عن عينيه ، خيل إلى أنني أنظر

في عيني رجل مجنون . لحظة من التفكير ثم نهض في صمت واتجه

إلى للمنطقة التي كنا نصنع فيها المركب ، أخذ يجمع قطع الأخشاب

الصغيرة مع النشارة للتبقية من عمليات النحت ، كدسها كلها

في حجر جلبابه وأقبل بها نحو الكوخ . في دهشة صامتة رحت

أرقبه وهو ينثر تلك الأخشاب حول جدران الكوخ ، توطئة  
لأن يتناول حجرتين ويجلس بهما القرفصاء بجانب الأخشاب . فبدأت  
أفهم ، وهى والله فكرة لا بأس بها أبداً . لا شك أن حريقاً صغيراً  
يمكنه أن يرغم كرشة على الخروج من الكوخ - إذا كان خروجه  
أمراً مستحياً .

فإذا يحدث عندما يخرج كرشة والخنجر فى يده؟ فى أى صدر  
كتب لذلك الخنجر أن يغوص من جديد؟ ما برح الحاج يضرب  
حجراً بآخر حتى انقذت الشرارة وأمسكت فى نشارة الخشب ،  
لسان نار بدأ يتلوى ويسرى فى سائر الأخشاب . والحاج يهوى  
على لسان النار بذيل جلبابه فيصبح اللسان ألسنا كثيرة ، سياج  
من النيران بدأ يحيط بالكوخ متمسحاً فى جدرانه . فتلاعبت  
على فم الحاج طلبة ابتسامة غريبة وهو يدمدم بقراءات لم أسمعها ،  
لا بد أنها صلاة خاصة يحفظها لمناسبات الحريق .

ثم أخذ يتلفت حوله حتى وقع بصره على المركب فاتجه إليها  
مسرعاً ، بدأ يجذبها على الأرض عائداً بها إلى الكوخ . فى دهشة  
بالغة رحت أرقبه وهو يرفع مقدمة المركب إلى أعلا ، ولا يبرح  
يرفعها حتى صارت واقفة على بوزها مستندة إلى باب الكوخ .  
سدت المركب الباب وأصبحت بمثابة باب آخر للكوخ ، والحاج

نفسه أسند ظهره إلى المركب غارساً قدميه فى الرمال بقوة ،  
يعنى أنه . . .

— يأنهار أبوك اسود !

هكذا صرخت وقد فهمت مايرمى إليه فسرعان ما انطلقت  
نحوه أجرى .

— إنت اتجننت يا حاج ؟ ا صرخت فيه بلهفة ، موش عارف

ان زازا جوه ؟ ا

فلم يجبنى إلا بالدمدمة وهو يحملق إلى بعين زائغة لا أظن  
أنها تبصرنى أصلاً . والنار قد بدأت تنتقل من أخشاب الوقود  
إلى جدران الكوخ نفسه ، أخذت الجدران تطقطق وينبعث  
منها دخان كثيف أسود .

— يا حاج اعقل ا زازا جوه يا حاج ا

فأصر على تجاهلى وزاد من تثبيت قدميه فى الرمال ، ضاغطاً  
بظهره على المركب بقوة . وصرخة مفاجئة من داخل الكوخ .

— حريقة ا صرخ كرشة ، حريقة ا

ويبدو أنه فتح الباب فوجد المركب قائمة تسده ، بدليل أنه  
بدأ يدق عليها بجنون .

— افطحوالى يا ولاد الكلب ا افطحوالى ا

ورأيت المركب تتململ تحت ضغط كرشة عليها لكنه لم ينجح في زحزحتها ، جن الحاج طلبة والمجنون كما يقال في قوة عشرة عقلاء . فمدت يدا إلى صدره أريد أن أجذبه من جلبابه ، لكنه سبقني بأن رفع ساقا رفضني بها رفضة أوقعتني أرضاً . فهضت وأعدت التجربة ، ثلاث محاولات بثلاث رفضات كأنتى أواجه بغلا للإنساناً . وصوت سعال شديد من زازا التي توشك أن تختنق من الدخان الكثيف الأسود .

— أحمد ! أحمد ! صرخت وسط سعالها ، إلحقنى يا أحمد ! أحمد !  
فجن جنونى وهجمت على الحاج لكي أحظى بالرفصة الرابعة .  
— توتو ! صرخت زازا ، توتو ! أحمد ! توتو ! أحمد ! توتو !  
فأسرعت إلى للذكور بالجرة بعد أن ملأتها بالماء ، سكبها على وجهه حيث رقد على الأرض . ثم جثوت بجانبه ورحت أهزه بعنف وأرقع له أصداغه .

— إصمى ياتوتو ! ، إصمى أبوس إيدك ! توتو ! توتو ! إصمى  
يابن ستين كلب !

صوتى شبه ضائع وسط طقطقة النيران وجمير كرشة وطرقه على الباب ، لكنه نجح آخر الأمر في تنبيه توتو . فرحة وحشية غمرتني حين رأيت يتقلب ، وحين رفعته لأجلسه فجلس . فتح عينين

ضيقتين وسط وجهه المليء بالكدمات وراح يتلفت حوله في بلاهة .

— إلحق ياتوتو ! زازا جوه ! زازا تحرق ! إفهم ياتوتو زازا !  
— تزازا ؟ ! سألتى بدهشة .  
— أيوه يالوح ، زازا جوه مع كرشة !

فوثب توتو على قدميه ، ترنح لحظة ثم اعتدل . راح ينظر إلى الكوخ المشتعل وإلى الحاج طلبة الذي يسد الباب بالمركب ، بدأ يفهم الموقف . فلما تم له الفهم وثب كالتمر نحو الحاج الذي رفع ساقه ليرفضه بها كما رفضني ، لكن قيمة الرفصة تتوقف بالطبع على شخص المرفوض . تفادى توتو الرفصة وقبض على قدم الحاج ، جذبه منها فأنجذب وهو يتقاذف على ساق واحدة . وفي الوقت نفسه رأيت المركب تميل إلى الأمام تحت ضغط كرشة من الداخل ، كادت تسقط على دماغ الحاج لولا أن طوحه توتو بعيدا ، فسقطت على الأرض مثيرة حولها طائفة من الرمال . فما كاد الباب ينفتح حتى رأيت ماهياً لي أنتى في إسبانيا ، عندما يفتحون باب العرين فيندفع منه الثور المجنون . هكذا اندفع كرشة والخنجر في يده ، كالثور الهائج يجرى هنا وهناك بغير هدف واضح وهو يضرب الهواء بالخنجر ، فلو أنتى رأيت يتشمم الأرض وينفخ لما دهشت . حظه سيء لأنه لم يولد في إسبانيا ، كان يمكنه أن يجمع

أنه لم يكرر أى الشتائم مرتين . هو يتقدم ببطء والحاج يتراجع ببطء ، عينه طول الوقت مركزة في رعب أليم على النصل اللامع . يستطيع كرشة أن يقتله في أية لحظة ، لكنه يريد أن يتلذذ بتعذيبه حيناً .

— حاووظ طحرقنى يابن الـ . . ؟

وللمرة الأولى كرر كرشة شتمة سابقة ، الأمر الذى يبدو أنه أقنعه بوجوب إنهاء المهزلة ، فرفع الخنجر إلى أعلى وأهوى به على الحاج طلبه ، ضربة شديدة تكفى لقتل الرجل لو أنها وصلت إليه لكنها لم تصل . ذلك أنه بينما كان كرشة يزحف نحو الحاج طلبه ، كان هناك شخص آخر يتسلل ورائه من حيث لا يشعر . كان ينقل قدمه اليمنى إلى الأمام فينقل توتو — مثله — قدمه اليمنى إلى الأمام . وكان ينقل اليسرى فينقل توتو يسراه مثلها ، يتبعه في كل خطوة كأنه خياله . فما كاد كرشة يرفع الخنجر ليصوب الطعنة حتى طارت يد توتو اليمنى وأطبقت على معصمه ، بينما اندفع ساعده الأيسر وطوق رقبتة من الخلف . بكل قوته حاول كرشة أن يتخلص من ساعد توتو لكنه كان ساعداً من حديد . أسنان توتو تلمع بين شفثيه للمتقلصتين ، يجز على أسنانه ليستجمع كل قوته . بقبضته يلوى معصم كرشة وبساعده يمصر رقبتة ، ما لبثت أن رأيت الخنجر ينفلت من يده ويسقط على الأرض .

ثروة هناك . ووراء كرشة خرجت زازا وهى تسعل وتسعل ، لكن أحد لم يلق إليها بالا . كف كرشة بعد لحظات عن الجرى هنا وهناك ووقف أمامنا بالخنجر المرفوع ، كل عضلة في جسمه تصيح أين الدماء .

— حايطين طحرقونى يا ولاد الكلب؟! زأركرشة بصوت كالرعد .

وراح يقلب النظر بيننا باحثاً عن الرأس المدبر للحريق ، فيبدو أنه عرفه بدليل أنه اتجه إلى الحاج طلبه . أمامه وقف متباعد الساقين متحفزاً ، قلت في نفسى أن الحاج طلبه راح .

— حاووظ طحرقنى يابن الـ . . ؟ زعجر كرشة في غل رهيب .

ونقل كرشة قدمه اليمنى خطوة إلى الأمام ، فنقل الحاج طلبه قدمه خطوة إلى الوراء .

— حاووظ طحرقنى يابن الـ . . ؟ كرر كرشة سؤاله مختماً إياه بشتمة جديدة .

ونقل كرشة قدمه اليسرى خطوة إلى الأمام ، فنقل الحاج قدمه اليمنى خطوة إلى الوراء .

— حاووظ طحرقنى يابن الـ . . ؟ كرر كرشة سؤاله مختماً إياه بشتمة جديدة .

عشر مرات كرر كرشة سؤاله مختماً إياه بشتمة ، أشهد له



فأخلى توتو سبيل كرشة دافعاً إياه بعيداً ، وبسرعة البرق انحنى  
والتقط الخنجر .

وقف كرشة يتحسس عنقه الذي كاد يتحطم ، ناظراً في غباء  
إلى الخنجر الذي انتقل من يده إلى يد توتو . فلما استوعب الموقف  
طغح الغل من عينيه وقاض على وجهه ، وبدأ يزحف نحو توتو  
مثلما كان يزحف نحو الحاج طلبة . ببطء يتقدم نحو توتو مفترساً إياه  
بنظراته ، وتوتو ثابت في مكانه كمنمر متحفز . فلما صار كرشة  
على بعد خطوات من توتو وقف ينظر إلى الخنجر ويدرس الموقف .  
دقيقة مشحونة برائحة الموت المختلطة برائحة الحريق ، ثم وثب  
كرشة فجأة على توتو . يداه حين وثب كانتا تقصدان يد توتو  
الممسكة بالخنجر ، لكن يد توتو كانت أسرع . كالبرق الخاطف طار  
النصل اللامع إلى بطن كرشة وارتد عنها وقد ضمرتها الدماء .  
لم تكن طعنة ثاقبة وإنما خدشاً طويلاً على السطح ، تحسسه كرشة  
ثم راح يحمق في ذهول إلى يده الملطخة بدمه . فلا بد أن منظر  
الدم أطار ما بقي من عقله ، وإلا فلماذا وثب على توتو من جديد ؟  
وثب عليه وهو يقصد هذه المرة عنقه ، لكن الخنجر  
كان في الطريق . سنه المسنون خاص هذه المرة في بطن كرشة ،  
اخترق الجلد وفاض في اللحم وخرج منه أحمر دامياً . فعاد  
كرشة يتحسس مكان الطعنة ، بدا من أمره أنه لا يصدق ما يدور

حوله ، يقول لنفسه إن شيئاً كهذا لا يمكن أن يحدث لكرشة .  
وكان توتو قد تراجع خطوة إلى الوراء ووقف متحفزاً ، كأنه  
يقول لكرشة أنه لا يريد أكثر من طعنتين . لكن كرشة فيما  
يبدو كان يريد الثالثة .

إذ استجمع كل قوته لكي يثب على توتو من جديد ، وصلت  
يداه إلى رقبة توتو وأطبقتا عليها ككلابتين من حديد . فترنح  
توتو وكاد يسقط لكنه تماسك ، وبكل قوته غرس الخنجر في بطن  
كرشة . ولم تكن هذه الطعنة مجرد طعنة ، إذ رأيت الخنجر يدور  
في بطن كرشة ويمزق لحمه تمزيقاً — يقوره كما قد يقال . فتراخت  
يداه عن عنق توتو ووقف يترنح ، ومن الحفرة التي من بطنه أطلت  
كرة حمراء هي في أغلب الظن معدته .

دماء غزيرة تتدفق من بطنه على السروال وتصبغه باللون الأحمر  
القاني ، وذراعاها تدلنا حوله بينما رفع رأسه إلى السماء وراح يجيل  
فيها نظرة زائغة . وجأة مال إلى الوراء كما يعميل لوح من الخشب ،  
سقط على الأرض متراعى الأطراف وسط عاصفة من الرمال .

كانت هذه أول مرة أشاهد فيها معدة بشرية ، فليس غريباً  
أن أشعر بالغثيان وأريد أن أتقيأ . لكنني لم أفعل ، لست فيما يبدو  
وجودياً إلى درجة التقيء . والحاج طلبة وقف جامداً كالتمثال يرقب

في التمثال الذي يدعى بالحاج طلبة ، ببطء تحرك نحو زازا التي ركعت  
باكية ، أمامها وقف لحظة صامتاً ثم بدأ يصرخ .

— إتتى طالقة ا طالقة ا طالقة ا

فرقت زازا بصرها إليه ، مزيج نادر من الاحتقار والسخرية  
والبغض تراءى في عينيها الدامعتين .

— ياخي ينعل أبوك ابن كلب ا قالت له زازا .

— وبتشتمى كأن ؟ ا

وطارت يدها إلى عنقها وشرع يخنقها ، كان ليخنقها لولا اليد  
التي امتدت إليه من الخلف فجذبه من قفاه ، يد توتو التي تحولت  
إلى قبضة طارت إلى فك الحاج بلكمة عنيفة يعنى ، ثم لكمة مثلها  
يسرى ، ثم نالته يعنى طرحته على الأرض صريعاً .

ونظرت إلى الكوخ لكي أكتشف أنه لم يعد هناك كوخ ،  
انتهزت النار فرصة العراك والتهمته عن آخره ، لم يبق منه سوى  
أخشاب قليلة مبعثرة والنار تكمل عليها ، ألسن صغيرة حمراء تتلوى ،  
مثل ألسن مجموعة من القطط بعد وليمة مشبعة . يكون جميلاً جداً  
لو طاد الشتاء وليس في الجزيرة كوخ .



المنظر ، في حين سقطت زازا على ركبتيها مخفية وجهها بيديها وهي  
تشهق شهقات هستيرية .

وتوتو وقف يلهث ويطيل النظر إلى الرجل للذبوح ، وجهه  
اكتسى بقسوة لم أعرفها فيه قط من قبل . لا يبدو عليه أى شعور  
بالإثم بسبب الجريمة التي ارتكبها ، قسوة عجيبة شاعت في وجهه  
المليء بالجروح والأورام . ثم أشاح بوجهه وهو يدس الخنجر  
في جيبه ، لم يفكر في أن يغسل عنه الدماء . وأخيراً دبّت الحياة

فعدت عيني بالرغم مني إلى معدة كرشة ، وكانت قد خرجت  
 نهائياً من بطنه ومعها جزء من مصران ربما كان الاثنى عشر . دماء  
 غزيرة تتسرب من جوفه ، تسيل على جنبه وتنفرش على الرمال ملونة  
 إياها باللون الأحمر . فن ذلك فهمت لماذا يصاب الناس بالأمراض  
 المعوية ويموتون قبل الأوان ، هذا شيء طبيعي جداً ماداموا  
 يعتمدون في غذائهم وبقائهم على مثل هذا الجهاز التعس .

الفصل التاسع عشر



الملوث بدماء كرشة نزل توتو إلى البحر ليصيد  
 السمك ، لأول مرة في المدة الأخيرة نزل للصيد  
 مختاراً . فنظرت عن يميني إلى كرشة الذي ينام ومعدته فوق بطنه ،  
 ونظرت عن يساري إلى الحاج طلبة الذي ينام كالقتيل ، ثم مررت  
 بينهما قاصداً إلى زازا التي ما برحت جالسة تصوب إلى الأرض  
 نظرة فارغة .



— زازا ، قلت لها بلهجة من يريد أن يبدأ حديثاً .  
 فرفعت بصرها إلى منتظرة كلامي لكنني لم أجد ما أقول ،  
 ويدي التي مددتها نحو شعرها رددتها قبل أن تصل إليه .

— معلش يا زازا ، معلش .

هذا كل ما استطعت أن أقوله لها ، فارتعدت زاوية فيها  
بابتسامة صغيرة مريرة ولم تقل بدورها شيئاً . وكانت زازا هي زازا  
لم يطرأ عليها أى تغيير ، ونحن الذين كنا نظن أنها ستخرج من  
الكوخ مشرحة .

— تزازا ! أتى صوت توتو مناديا من بعيد .

فالتفتنا لنراه خارجا من البحر وفي يديه سمكتان تتلعبطان .

— تزازا ! نادى بلهجة آمرة وهو يشير إليها داعياً .

فقصدت زازا إليه ، وأشار إلى الأرض آمراً إياها بالجلوس  
فجلست ، ثم بدأ عملية إشعال النار . وسمعت أنا سعة خلفي فالتفت  
لأرى الحاج طلبة قد أفاق وجلس يتحسس مكان اللسكات في وجهه .  
نظر إلى في غيظ كأنتى أنا الذى ضربته ، ثم نقل بصره إلى زازا  
وتوتو حيث جلسا بعيداً . في غل شديد راح ينظر إلى توتو ،  
فوقف هذا نافشاً عضلاته كأنه يقول هل من مبارز ؟ لكن الحاج  
فيما يبدو قد عرف آخر الأمر قدر نفسه ، إذ اكتفى من المعركة  
بزغرة طويلة لتوتو ثم التفت إلى .

— قوم بينا ، قال لي أمرا .

ونفض فنهض دون أن أعرف ماذا يريد . وبعد حين عرفت ،

عندما وجدتنى أحفر بجانبه قبرا لكركشة .

فلما انتهينا من الحفر قصدنا إلى كركشة وحملناه ، الحاج يرفعه  
من تحت الإبطين وأنا من ساقيه . ما كدت ألمسه حتى سرت  
في بدنى رعدة شديدة ، الساقان اللتان دب عليهما منذ حين ليقتل  
كلا من الحاج طلبة وتوتو . في الحفرة أودعناه وردمنا عليه ،  
ثم وقف الحاج طلبة ليتلو صلاة الميت . فبينما هو يتلوها رأيت  
دمعة تترقق في عينيه ، كأن الوغد لم يكن منذ قليل يريد  
أن يحرقه حياً .

من بعيد وصلتني رائحة السمك المشوى فالتفت نحوها ، رأيت  
توتو يناول زازا سمكة سمينة . فابتلعت ريتى وبدأت أتجه نحوها ،  
شابكا يدي خلف ظهري وأنا أسير على مهل كأنتى أتمشى بغير هدف .  
بل إننى بدأت أصفر لحناً زيادة منى في إظهار حسن نيتى ، مختلساً  
إلى السمك نظرات خاطفة .

— ماتيجى تا كل ؟ قالت لي زازا وهى تمضغ .

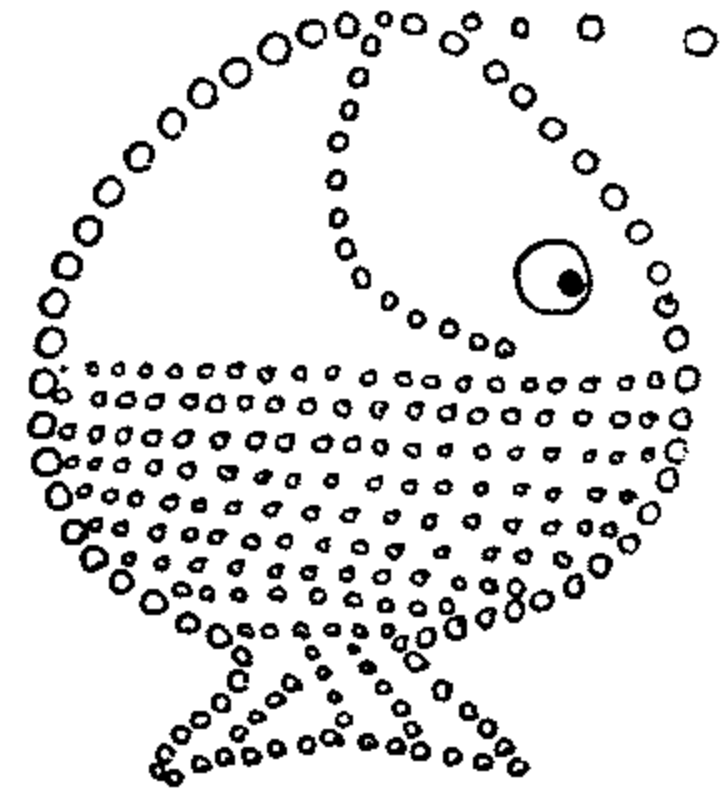
— الله ! قلت بلهجة من فوجىء ، هو الغدا جاهز ؟ !

وفركت كفى في سرور وجلست أمامها ، وهمت أن أمد يدي  
إلى السمكة لكنى أفاجأ بشيء غريب نوما . ما كدت ألمس السمكة  
حتى امتدت يد توتو فوضعت على وجهى كالسلطانية ، ضاغطة  
على أنفى ودافعة إيناي إلى الوراء ، فسقطت على ظهري وقد ارتفعت  
ساقاي في الهواء . في هذا الوضع ظننت أنه يريد مداعبتى ، لكننى

على يدها ضربة قاسية أسقطت قطعة السمك على الرمل . وبينما  
تحسست زازا يدها مكان الضربة رأيت في عينيها نظرة جمعت بين  
الدهشة والخوف ، كأنها تتساءل - مثل - أهذا هو نفس توتو القديم؟  
- قومي ازمجر توتو ، قومي !

فجمت . ووقفت لحظة أصوب إليه نظرة كبرياء ثم أوليته ظهري  
وابتعدت ، قصدت شجرة التفاح ورحت آكل منها حتى ماعت  
نفسى . وكذلك فعل الحاج طلبة ، وقف يقرش التفاح وهو يطعن  
توتو بنظرات حامية . وخجأة حول بصره إلى أنا في كراهية .  
- حاجبك كده يا وسخ ؟! سألتى بشراسة .

فلم أجب من فوري .  
- إيه هو اللي عاجبني يادون ؟ سألته بهدوء .  
- كان لازم تفوق الكلب ده قبل ما اخذ الخنجر من كرشه؟  
فبينما أنا أستوعب كلامه رأيت يده على جبينه فجأة كمن  
اكتشف شيئاً .  
- طب قسما بالله العظيم ماني حد ضيع الرصاص غيرك ! أنت  
اللى قلت لها تسرقه ! ما فيش غيرك انت ؟!  
وطارت يده إلى صدغى بصفعة مفاجئة .  
- إنت !



حين اعتدلت ونظرت إلى وجهه أدركت أنني مخطيء جدا . ليس  
مازحا صاحب هذا الوجه القاسى الكئيب ، الذى يرفع قبضته  
ويلوح بها أمام عيني مهددا .  
- قومي ازمجر توتو ، قومي !  
وأشار بإصبعه بعيدا ، الأمر الذى فهمت منه أنه يطردنى .  
- جرى إيه ياتوتو ؟ تساءلت زازا فى دهشة ، ماتسيبه يا كل .  
فزجر توتو من جديد وهو يشير إلى السمكة ثم إلى البحر .  
ثم إلى نفسه ، حكاية صامته إلا أنها بليغة جدا .  
- طب ندى له حنة صغيرة ، قالت زازا راجية .  
ونزعت قطعة من سمكتها ومدتها نحوى ، فإذا بالوغد يضربها

في اللحظة المناسبة ليفض الخناقة . وراح توتو يرطن بكلام غاضب  
لم نفهم منه شيئاً ، ثم أخرج خنجره ورفع مهدداً .

— أركب ! قال مشيراً إلى المركب ، أركب !

فلم نفهم شيئاً .

— أركب ! صرخ من جديد وهو يدفعني بقوة نحو المذكورة  
حتى كدت أنكفيء عليها .

وكذلك فعل بالحاج طلبه ، توطئة لأن يتناول المنشار الصخري  
فيضعه بين يدي .

— هينا ! قال لي مشيراً إلى نقطة معينة في المركب .

ثم تناول المسدس الفاضى وتاوله للحاج طلبه .

— هينا ! قال له مشيراً إلى نقطة أخرى .

وبدأ يحرك يده ليصور لنا حركة النحت والكحت ، أى أنه  
يريد منا أن نعاود العمل في المركب .

فلما رأى ترددنا لوح بالخنجر أمام عيوننا وأشار بيده نحو قبر  
كرشة ، وكنت ما أزال أذكر معدته .

— هينا ! قال توتو وهو يزغدننى .

وصفنى ثانياً .

— إنت !

وصفنى ثالثاً فاعتظت ، طول عمرى أعتاظ بسرعة .

— طب انا آه ! هتفت متحدياً ، أيوه أنا !

وصفنته .

— أيوه أنا !

وصفنته ثانياً .

— أيوه أنا !

وهمت بالصفحة الثالثة فتحاشاها بذراعه ومد يديه إلى عنقي  
وشرع يهزنى منه بقوة .

— يا أصل البلاوى ياوش الفساد ! يا كافر يا ملحد

يا ابن الكلب !

وباشتداد ضغطه على عنقي تذكرت منظراً رأيته في مشاجرات  
سابقة ، فرفعت إصبعين من يدي اليمنى دسستهما في عينيه ، بينما  
رحت ألكه بقبضتى اليسرى في أسفل بطنه . فكأنتى أضرب  
في حائط ، لا عينه وجمته ولا بطنه ، ويداه تضغطان على عنقي  
فأكاد أختنق . فلست أدري ماذا كان يحدث لي لولا اليد  
التي جذبتنى فجأة من قفاى وطوحتنى بعيداً ، إذ وصل توتو

— هينا؟ سألته مستوثقا .

— هينا! أجبني مؤكدا .

فبدأت أحك في النقطة التي حددتها ، في حين وقف الحاج  
طلبة مترددا .

— هينا! قال له توتو بشراسة .

— إشتغل يا حاج ، قلت له ناصحا ، الراجل ده أتجنن .

فتردد لحظة ثم أدنى فوهة المسدس من المركب وراح يحك به  
في النقطة التي عينها له توتو . هو عمل لا معنى له ولكن ماذا نفعل؟

— والله الراجل ده أتجنن ، قلت لزازا بالإنجليزية .

— خدوه على عقله ، أجبتنى بنفس اللغة .

— ما هو ده اللي بنعمله .

وجأة تدخل توتو في الحديث .

— أربي! شخط في وهو يلكني في صدرى .

فأردت أن أزعل لكنني وجدتنى أضحك ، واتجه بصرى  
إلى قبر كرشة .

— الله ينحرب بيتك ، قلت له ، آدى اللي اتعمله منك!

ثم واصلت العمل صامتا ، وكذلك فعل الحاج ، نحوا من ساعة  
حتى رأيت المذكور يتوقف عن العمل فجأة .

— هو إيه يا خويا! صاح بغیظ مفاجىء وقد طفح به  
الكيل ، إحنا علينا ذنب ولا إيه! ودينى مانا مشغل! يلعن أبو  
اللى يشتغل!

وألقى بالمسدس على الأرض وأولانا ظهره مبتعدا ، لكنه  
لم يبتعد كثيرا . إحدى يدي توتو جذبتة من شعره وألقت به  
على المركب ، واليد الأخرى وضعت سن الخنجر على عنقه .

— أركب! أركب! أركب! أركب!

شريط دماء صغير سال على عنق الحاج طلبة ، ونظرة رعب  
ملأت عينيه . فلما ترك توتو شعره ورفع الخنجر عن عنقه لم يكن  
غريبا أن يعكف على العمل بدون كلام .

طول النهار ونحن نكحت وننحت حتى خارت قوانا ، لم يرحنا  
توتو إلا عندما غربت الشمس . إذ سحب منا كلامنا المنشار والمسدس  
واتجه بهما إلى الكوخ الذي فوجىء بأنه غير موجود فارتد  
إلى المركب ، أقامها على جنبها ووضع الأدوات وراءها . ثم نزل

إلى البحر فغسل يديه ووجهه ، وقصد إلى شجرة التفاح فأكل  
خمس تفاحات .

— تزا تزا ! قال وهو يتكرع .

كانت زازا طول الوقت واقفة تتفرج ، متباعدة الساقين وقد  
عقدت يديها خلف ظهرها .

— أفندم ؟ سألته بنبرة ساخرة .

فأشار إلى ما وراء المركب ، ولما لم تطع إشارته من فورها  
جذبها من ذراعها وسحبها إلى حيث أشار . وبضغطة من يده  
على كتفها جلست زازا ، حجبتها المركب القائمة عن أنظارنا .

ثم نظر توتو إلينا .

— هينا ! قال لنا مشيراً إلى آخر الجزيرة حيث كان  
يقوم الكوخ .

— لا يا شيخ ! زجر الحاج طلبه ، والله ؟

فسكت توتو حيناً وهو يبادلُه نظرة عداة صامته .

— هينا ! قال مكرراً إشارته .

— ومرآني يا حضرة ؟ جأر الحاج طلبه وهو يشير إلى  
ما وراء المركب .

— تزا تزا ! توتو ! قال توتو مشيراً إليها وإلى نفسه .

فلما رأى الحاج لا يتحرك من مكانه أخرج الخنجر وراح يسنه  
على راحته ، ثم رده إلى الخلف وطعن به الهواء ، ثم أشار إلى قبر  
كرشة ، حكاية أخرى صامته ولكنها بليغة جداً . فواجهت الحاج  
طلبة ورحت أطبب على ظهره .

— يا حاج انت موش طلقتها ؟ قلت له ، يا الله بينا من هنا .

الراجل ده اتجبت .

ورحت أجذبه من ذراعه وهو لا يريد أن ينجذب ، واقفاً  
يحملق إلى توتو بعين يدهشني أنه لم تنطلق منها رصاصة قاتله .  
وأخيراً استجاب ليدى التي تجذبه ، أي أنه لولاي أنا لما فارق مكانه  
إلا على أسنة الرماح . قصدنا إلى آخر الجزيرة وجلسنا وراء الكوخ  
غير الموجود ، أنا وهو والجمجمة ، نسيت أن أخبرك أن البحر قذفها  
إلى الشاطئ من جديد .

في صمت جلسنا ، في عتمة الليل الزاحف ورائحة الشياطين تملأ  
أنفي . فخطر لي أن أكلم الحاج طلبه لكن منظر شبعة الجامد  
لم يشجعني ، وعلى أي حال ماذا أقول له ؟ أسأله لماذا أحرقت



الكوخ يا حمار؟ لماذا تزوجت زازا يا لوح؟ لماذا أطلقت المسدس  
الفاضى على توتو يا حاج؟ وإذا سألته فيماذا يجيب؟

فتنهدت فى يأس وانطرحت على ظهري أتأمل السماء ، سماء  
عريضة مظلمة نثرت فيها ملايين النجوم ، ملايين من الثقوب المصدئة  
فى نملية كبيرة سوداء مكفأة علينا .

### الفصل العشرون



**آيت** فى المنام أن خنجراً حامياً يدس بين أضلاعى ،  
فهببت مذعوراً لكى أسمع ضحكة أنثى ، وكانت  
ضحكة من خارج الحلم لا من داخله . زازا هى التى ضحكت من منظر  
ذعرى ، حيث ركعت بجانبى تهزنى لكى أصحو وتنخزنى بين أضلاعى .  
— إصحى قوام ! هتفت فى حماسة ، إصحى ! قوم الحق الخناقة !  
— خناقة ؟ سألتها وأنا أتناهب .

- آه ، الحاج طلبه سرق الخنجر من توتو !
- الحاج سرق الخنجر من توتو ؟
- آه ، خلاه نايم وسرقه من جيبه !
- خلاه نايم وسرقه من جيبه ؟

— آه ، كان حيموته لولا صحى م النوم !

— كان ح يموته لولا صحى م النوم ؟

— أحمد ! جرى لك إيه ؟

— جرى لى إيه ؟

فتأفقت ونهضت وهى تجذبني ، فنهضت وأنا الآخر أتأفف .

— لا حول الله يارب ، هو الواحد ما يعرفش ينام ساعة على

بعضها فى الجزيرة دى ؟ عمرى ما اتنام إلا واصلحى على خناقة ؟

فلم تجب زازا ، منشغلة بعملية جذبى نحو ميدان المعركة ،

فسرت وراءها مترنحاً أدعك عيني . وعلى ضوء الفجر الذى بدأ

يزغ رأيت الخناقة ، وكانت حتى هذه اللحظة ما برحت فيما يبدو

مشروع خناقة .

كان الحاج طلبة وتوتو يقفان متواجهين ، كل منهما قد باعد

بين ساقيه وانحنى إلى الأمام قليلاً ، وكل منهما قد ركز بصره

على وجه الآخر يتأمله ويتفحصه كأنه يريد أن يعرف ماذا يكون .

الفرق الوحيد بينهما هو أن الحاج طلبة كان يمسك الخنجر فى حين

أن توتو لا يمسك شيئاً .

— ما عندك كيش فكرة ، سألت زازا متشابهاً ، بيتخانقوا على إيه ؟

فرمقتنى زازا طابئة .

— ح يكون على إيه يعنى ؟ على انا طبعاً .

— آه صحیح ، لا مؤاخذه .

وفى تلك اللحظة قفز الحاج طلبة قفزة صغيرة إلى الأمام فقفز

توتو قفزة مماثلة إلى الخلف ، ثم جد كل منهما فى مكانه كما كان

من قبل .

— بينكرونى بالقطط ، قالت زازا .

— أنا شخصياً بينكرونى بالديوك . شفتى خناقة ديوك ؟

— لأ .

— ولا انا ، لكن متأكد انهم لما يتخانقوا يبقوا كده .

ومن جديد قفز الحاج طلبة قفزة إلى الأمام ، قلدها توتو

بقفزة مماثلة إلى الخلف ، ثم جدا فى وضعهما الأول يتبادلان النظر .

— حتى شوفى نافشين ازاي ؟

فلم تجب زازا وقد انهمكت فى الفرجة ، هى الأخرى قد توتر

ذراعاها وتقبضت يداها كأنها مشتركة فى المعركة .

— إتنى بتشجعى مين فيهم ؟ سألتها مستفسراً .

— ح يكون مين ؟ توتو طبعاً .

— وجوزك ؟

— يلعن أبوه !

— طب عارفة انا باشجع مين ؟

— مين ؟



- الاتنين ا نفسى يدبجوا بعض ويريجونا .  
— مهما كان توتو أحسن م الحاج .  
— حتى بعد ما كل السمك لوحده ؟  
— هو صحيح اتغير ، لكن ما تنساش انه زمان كان كويس .  
— فعلا ، غنى لنا مرة ساعة الغروب .  
— وعلى كل حال معذور انه يتغير. هو اللي شافه شوية يا احمد؟  
— قولها تاني .  
— هي إيه ؟  
— أحمد ، حلوة قوى من بقك .  
— ياسلام .  
— آه والله .

وقفز الحاج فقفز توتو كأنه خياله في المرآة ثم جدا من جديد ،  
كلاهما يلهث بصوت مؤذ للسمع في ساعة الفجر الهادئة . ومرة رابعة  
قفزا ثم جدا ، متحفزين متنمرين متوترة كل عضلة وكل خلية  
من خلايا جسميهما .

- يا خسارة الأدرينا لين ، قلت لزاا متصعباً .  
— يطلع إيه ده ؟  
— حاجة كده تفرزها الغدة الكظرية ساعة الخناق .  
فلم تعلق زازا حيث انهمكت في الفرجة ، وذكرت أنا أمراً .

— ياترى كل المعدزى بعضها ؟

— معد ؟

— آه ، أصلى صمرى ماشفت معدة غير معدة كرشة .

— طب بلاش قرف بقى !

وقفز الرجلان قفزة سادسة وسابعة وثامنة .

— الحكاية بقت عملة قوى ، قلت لزازا متثائباً .

وتركتها وقصدت إلى شجرة التفاح ، قطعت واحدة ووقفت  
أقرشها . كنت فى حالة غريبة نوعاً من عدم الاكتراث ، وثمة رغبة  
حقيقية فى أن أرى الرجلين صريمين . طفح الكيل كما يقولون  
ووجب أن يضع أحدهم للأمر حداً .

ووصلتنى شهقة مفاجئة من زازا فالتفت متباطئاً ، رأيت توتو  
واقفاً على ظهره — تكعبل فى أغلب الظن — والحاج طلبة ينهز  
الفرصة فيلقى بنفسه عليه . ألقى نفسه فوقه وهو يصوب إليه طعنة  
شديدة لم تبلغه للأسف ، إذ تمرغ الوغد بسرعة ليتحاشاها فانكفاً  
الحاج عل وجهه ونزلت الطعنة على الرمال . وقبل أن ينهز  
من سقطته كان توتو قد انتفض واقفاً كأنه بزمالك ، وإذا به راكب  
على ظهر الحاج طلبة مثلما تركب الحمار . ومن هناك قبض على معصم  
اليد التى تمسك الخنجر وراح يلوى الذراع كله إلى الورا ، خيل إلى  
أننى سمعت صوت طقطقة عظام الحاج . فما هى إلا لحظة حتى رأيت

الخنجر وقد انتقل من يده إلى يد توتو الذي ظل جالساً به على ظهره كأنما أعجبتة القعدة . فارتكز الحاج بيديه على الأرض محاولاً أن يرفع نفسه ، لكنه ناه يحمل توتو وسقط كما كان . وتوتو ما برح رافعاً خنجره وهو يلهث ، ناظراً إلى قفا الحاج في هيئة تفكير . هو في أغلب الظن يشاور نفسه فيما يصنع بعدوه الذي سقط ، هل يقتله أم أن العفو أحسن عند المقدرة ؟ نحواً من دقيقة راح توتو يفكر ويلهث ، ونجأة رأيت يده ترتفع بالخنجر ثم تهوى به على ظهر الحاج ، فاص النصل في كتفه محدثاً وخزة أليمة في كتفي أنا .

— توتو ! هتفت زازا ولكن بعد فوات الأوان .

ورأيت ذراعي الحاج يمتدان إلى الأمام ورأيت أصابعه العشرة تنغرس في الرمال بقوة ، ثم مالبت أن تراخت عضلاته وسكنت حركته . فزرع توتو الخنجر من كتفه ونهض عن ظهره ، وقف يرقبه حيناً ثم أولاه ظهره وقصد إلى البحر ليغتسل .

وزازا واجهتني بنظرة ذاهلة ثم أسرع نحو الحاج وركعت بجانبه تفحصه ، تحسست كتفه ثم رفعت يدها ملوثة بالدماء . فوقفت وشمرت ذيل قميصها ، راحت تنزع منه قطعة جديدة على سبيل الضمادة . وهناك عند الأفق كانت الشمس قد بدأت تطل على الكون، خيل إلى أنها توجه إلى سؤالا .

— الحاج طلبة ، قلت أجيبها .

— إيه ؟ تساءلت زازا .

— لا دنا با كلم الشمس . أصلها سألتني مين القليل النهارده .

فرمقتني زازا في امتعاض وواصلت تضميدها لكتف الحاج .

وتوتو في البحر قد شرع يضرب بخنجره في الماء ليصيد سمكة ،

لا شك أن الإنسان يحتاج إلى شيء من التغذية بعد ارتكاب جريمة

متعبة كالقتل .

وانتهت زازا من ربط كتف الحاج ، نظرت أنا إلى قميصها

وغلبنى الضحك .

— فيه حاجة تضحك ؟ سألتني بغيظ .

— إتنى ! أجبتها ، كان يومين ح تلاقي نفسك لابسة بيبي دول !

قطعة من ذيل القميص صنعت منها ذات يوم كجادة لجبين الحاج

الساخن ، وقطعة ثانية ربطت بها كتفي أنا ، وما هي القطعة الثالثة

على كتف الحاج ، لست أدري ماذا كنا نصنع بغير هذا

القميص النافع .

— تفكري ح يموت ؟ سألتها .

— شيء بارد ! وأنا اعرف منين بقى ؟

— على كل حال توتو ما ضربوش غير ضربة واحدة صغيرة .

كان ذوق معاه في الحقيقة .

— تَزَا زَا آآى صوت توتو مناديا .

فى يده سمكة كبيرة تتلمبط ، ألقى بها على الأرض فراحت  
تتنطط ، فى حين شرع هو يشعل النار .



— تَزَا زَا آاود توتو النداء .

— آدينى جايه ، أجابته زازا فى ملل .

وقصدت إليه تساعده فى الطهى ، وأنا واقف عن بعد أتفرج  
جارى الريق . فلشد ما فرحت حين رفع توتو السمكة عن النار  
وأشار إلى داعيا . ظننت أنه يدعونى للمؤاكلة ولكننى كنت  
ممعنا فى التناول ، إذ اكتفى بأن قطع ذيل السمكة وألقاه نحوى  
على الرمال كما تلقى عظمة لكب . فأسرعت إلى الغنيمة وأنا أبصص  
من الفرخ بذب وهمى ، سرعان ما كنت ألهم ذيل السمكة بكل  
ما فيه من شوك ورمل .

### الفصل الحادى والعشرون



توتو ينتهى من الأكل حتى نادانى إلى العمل ، فلماذا  
أطعمنى إلا لهذا؟ بالمنشار الصخرى عكفت على النحت  
والكحت ، أنا للمهندس الذى تحول على آخر الزمن إلى نجار .  
ساعتان من النحت والكحت حتى صرخت يدي من الألم ،  
وفى سبيل قضية أعرف جيداً أنها خاسرة . لا يستطيع هذا الحجار  
أن يفهم أن العيب فى البحر لا فى مركبى .

وزازا تقسم وقتها بين العناية بالحاج الجريح وبين الفرجة علينا  
وهى صامته . كانت تتفرج على توتو بوجه خاص ، تطيل النظر  
إلى وجهه القاسى كأنها تحاول أن تتعرف فيه على توتو القديم .  
لكنها لم تحاول أن تكلمه ولا حاول هو أن يكلمها ، دماء الحاج

طلبة أقامت حاجزا جديداً بينهما ، بعد الحاجز الذي أقامته  
دماء كرشة .

— مش كفاية بقي يا توتو ؟ قلت له ضارفا ، شوف إيدي ؟

وبسبت أمام عينيه كفي المتسلخة فرمقا في ازدراء وقال  
أركب . لم تتوقف عن العمل إلا بعد الظهر إذ تراجع توتو خطوة  
إلى الوراء وراح يتأمل المركب ، ثم أخذ يدور حولها ويتفحصها  
من كل ناحية .

كانت المركب هي المركب ، لم يطرأ عليها جديد سوى أنها  
صارت أرق نوتا . لسبب ما يظن توتو أن خشونة مركبي وثقلها  
ما السبب في عجزها عن اقتحام التيار . نظرة ارتياح تراءت  
في عينيه ثم دس الخنجر في جيبه وقصد إلى شجرة التفاح ، ظننت  
بالطبع أنه سيأكل لكنه لم يفعل . بكلتا يديه راح يقطف التفاح  
ويلقى به على الأرض ، ما لبثت أن رأيت تحت الشجرة كوما  
هائلا من التفاح .

— الراجل ده اتجنن ولا إيه ؟ سألت زازا في دهشة .

فبسطت ذراعيها تعرب عن حيرتها ، والوغد توتو يواصل  
القطع حتى كادت الشجرة تصبح عارية من التفاح . وبدون كلام  
ترك كل هذا التفاح وقصد إلى البحر حيث شرع في الصيد ، صاد

سمكة وألقاها على الشاطئ ، ثم صاد أخرى وألقاها ، ما هي إلا ساعة  
حتى تجمع على الأرض أكثر من عشرين سمكة .

— ده يظهر انه اتجنن صحيح ا قالت زازا .

— إنما جنونه المرة دي كويس ، موش معقول ح يقدر يا كل  
السمك ده كله لوحده .

واسترعت أسمعنا أنة مفاجئة من ناحية الحاج طلبة فتلفتنا  
إليه ، رأيناه يرفع رأسه عن الأرض وهو يتأوه ، عدة ثوان ثم  
سقطت رأسه من جديد . فقصدنا إليه وتحسست جيبه فوجدته  
ساخنا كالنار ، وجسست نبضه فوجدته سريعا بمض الشيء إلا أنه  
نبض رجل حي . فنزعت زازا قطعة جديدة من قيصها وراحت  
تبللها بالماء لتصنع منها كجادة ، في حين وصلت أنفي رائحة شبيهة  
للسمك الذي بدأ توتو يشويه .

ساعة كاملة وهو يشوي ويشوي ، صامتا لا يكلمنا ولا نكلمه ،  
فلما انتهى من الشيء رأيتيه يشير إلى بالاقتراب فخفتت إليه فرحا .  
من بين العشرين سمكة تناول ثلاث سمكات وقذف بها على الأرض  
عند قدمي .

— دول بتوعى أنا ؟ هتفت في سعادة .

فم يجب توتو بشيء ، ورأيتك يشرع في تحويل السمك إلى المركب ، كدسه كله في ركن منها . ثم قصد إلى كومة التفاح وبدأ يصنع بالتفاح ما صنعه بالسمك ، كدسه كله في ركن آخر من المركب .

عند ذلك بدأت أفهم ، إذ أنتى طول صمري سريع الفهم . هو يعتزم القيام برحلة يعتقد أنها طويلة نوحا ، وإلا فلأزوم كل هذه المؤونة ؟ لكنه أعطاني أنا ثلاث ممكات فماذا يقصد من ذلك ؟

— يا نهار أبوك اسودا هتفت وقد فهمت ماذا يقصد .

هو يقصد القيام برحلة لا مكان لى فيها . سيحاول مغادرة الجزيرة بدونى ، فكرة أفزعتنى مدى لحظة ثم تذكرت أنه لا داعى للفرع . هو يظن أنه سينجح في مغادرة الجزيرة ولكنه لن ينجح ، أكون حمارا لو أن هذه المركب الرقيقة أمكنها أن تحقق ما عجزت عنه المركب الأولى الخشنة الثقيلة .

وقاطع توتو أفكارى بإشارة إلى زازا يستدعيها ، فى حين شرع يجذب المركب حتى أنزلها فى البحر .

— زازا ! صاح توتو مناديا .

فتركت زازا الحاج طلبه وقصدت إلى توتو الذى أشار إلى المركب آمرا إياها بالصعود .

— على فىن يا خويا ؟ تساءلت فى دهشة .

فلم يجيبها بشيء بل جذبها من ذراعها وأنزلها فى الماء .

— طب ودول ؟ سألتك فى حيرة وهى تشير إلى أنا

والحاج طلبه .

— دول ؟ ردد توتو كلمتها فى ازدراء .

— آه دول .

فراح توتو ينظر إلى حيننا ثم بصق على الأرض . ودفع زازا إلى المركب فصعدت مرغمة ، وصعد هو وراءها وتناول المجداف .

— ما تخافيش يا زازا ، ناديتها ، كان ساعة وتكونوا هنا تانى !

وشغل توتو مقدافه فبدأت للمركب تتحرك مبتعدة عن الشاطئ .

— باى باى ! صحت فى أثرها ملوفا بيدي .

فرايت زازا تلوح لى بيدها من بعيد ، دقائق معدودة وأصبحت

المركب بقعة بعيدة سوداء . عند ذلك سرت فى بدنى قشعريرة

مفاجئة ، فإذا يكون الحال لو نجح مشروع توتو فى الخروج بالمركب

من منطقة التيارات ؟ أليس من الممكن أن أكون حمارا وتكون

هذه المركب الجديدة أصلح من مركبى ؟ فإذا يفعل حمار مثلى وهو

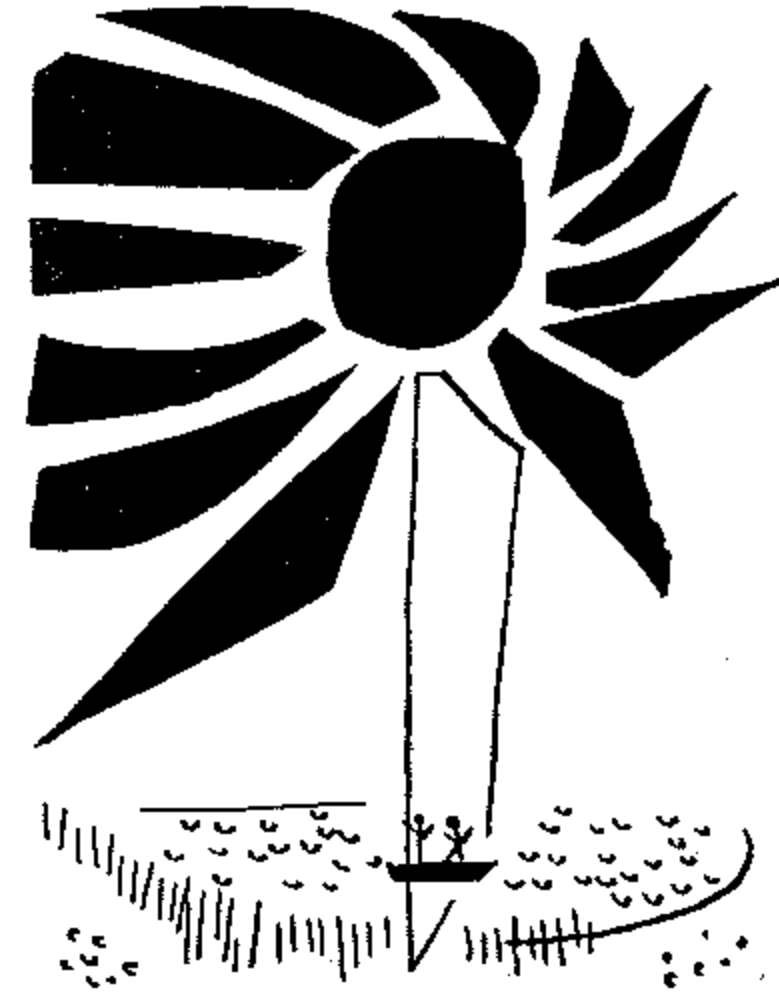
بمفرده فى هذه الجزيرة الموحشة مع حاج نصف عمر ؟



أمممع بأذنى دقات قلبى . فأسرعت أجرى إلى حافة الماء وأنا أضيق  
عيني قدر استطاعتى وأستعرض الأفق بجنون . زازا ضاعت ، زازا  
الجميلة ، زازتى أنا . .

— زازا ! هتفت بصوت تخنقه الدموع ، زازا ! زازا !  
وفوجئت بنفسى أبكى بحرقة ، دموعى تهمر من عيني وتبلل  
لحيتى الشعثاء . دقيقة من اليأس الأسود ثم خفق قلبى فى فرح  
بجنون ، عندما وقع بصرى من خلال الدموع على نقطة صغيرة  
سوداء عند الأفق .

للركب ظهرت بعد أن اختفت ، فما الغرابة فى أن أنتلط من الفرح ؟  
حيث وقفت على حافة الماء رحت أنتلط وأصفق أيضاً ، مركزاً بصرى  
— بعد أن مسحت دموعى — على النقطة السوداء التى تتحرك  
ببطء جهة اليمين . تسير أفقياً بعد أن كانت تسير رأسياً — تدور  
بالاختصار حول الجزيرة كما فعلت بنا من قبل وأنا فيها . لست حماراً  
وإنما الحمار أنت ياتوتو ، إذ ظننت أنك تستطيع تحقيق ما عجزت  
أنا عنه . هى تدور وتدور ما أحلى دورانها ، وأنا أصفق وأتحنجل  
وتنطلق منى ضحكات وحشية متلاحقة . وبينما تدور تقترب من الجزيرة  
فى خطوط حلزونية ، أدور أنا معها فأكاد أصاب بالدوار . النقطة  
الصغيرة البعيدة تحولت إلى بقعة صغيرة ثم كبيرة ، ثم تحولت  
البقعة إلى مركب ميزت فيها رأسين ، شيئاً فشيئاً تقترب حتى رأيت



قشعريرة ثانية سرت فى بدنى حيث وقفت وحدى فى شمس  
الأصيل ، ناظراً إلى المركب التى أصبحت نقطة صغيرة فى آخر البحر ،  
نقطة صغيرة فيها حمامة بيضاء اسمها زازا . أيمكن أن تخرج زازا  
من حياتى بهذه الطريقة السافلة ؟

— آه ، تأوه الحاج طلبة حيث رقد على الرمال ، آه .

— جك أوى ! أجبت من فوق كتنى .

ونظرت إلى البحر فاذا بالمركب قد اختفت عن البصر ، كدت

وجه زازا - حبيتي زازا - رؤية العين . ورأيت وجه توتو الذي ينطق في بلاغة شديدة بالغيظ والجنون وخيبة الأمل . ودورة أخيرة ثم حادت المركب شاطئ الجزيرة وانغرست فيه بقوة ، تشبث الراكبان بحافتها كي لا ينسكبا منها على الأرض .

أردت أن أقهقه لكنني نظرت إلى وجه توتو فأمسكت ، كيف أظلم بالسخرية من صاحب هذا الوجه المجنون؟ حتى الابتسامة التي ارتسمت على شفتي بالرغم مني رفعت يدي فداريتها بها . وزازا نزلت هي الأخرى صامته صارمة الوجه ، لا بد أنها غامرت بالضحك منه فشتها أو ضربها أو أي شيء . أما هو فنزل من المركب ووقف يتفحصها صامتا ، يدور حولها ويفحص كل جزء فيها ليعرف أين يكمن العيب . فيبدو أنه لم يجد فيها أي عيب ، وإلا فلماذا قفز إليها وركبها ، وتناول المجداف وشرع يجدف من جديد ؟

- ده ح يجرب الحكاية تاني ! هتفت أنا وزازا في نفس واحد .

ونظرت زازا إلى فاذا بنا تنفجر ضاحكين ، وبينما ضحكنا فاض الحب من قلبي ، بسطت ذراعي أبعد ما يكون عني وإذا بزازا تلتقي نفسها بينهما . قبلتها بشوق دافق وحنان ، الحمامة البيضاء التي خيل إلى منذ حين أنني سأفقدتها .

وبينما هي في أحضان رحنا نرقب المركب التي كانت بقعة فأصبحت نقطة سوداء في آخر البحر . فلما كدنا نفقدها رأيناها تتحرك جهة اليمين وتشرع في الدوران حول الجزيرة . فإذا نفعل سوى أن نضحك من جديد؟ شيئاً فشيئاً عادت النقطة بقعة ، ثم عادت البقعة مركبا بها رأس ، ثم بدا في الرأس وجه يقطر غيظا وغلا وخيبة رجاء . ودورة أخيرة وحادت المركب الشاطئ وانغرست فيه ، بينما صاحب الوجه المجنون يتشبث بحافتها كي لا يندلق منها على الأرض . فأشاحت زازا بوجهها ورفعت أنا يدي أخفى ابتسامتي ، بينما نزل توتو من المركب ووقف يفترسها بنظراته وهو يلهث . وخافة رأيت يهجم عليها ليرفصها رفسة شديدة وقد نسي فيما يبدو أنه حافي القدم . فلم يكن عجيبا أن يصرخ ويرفع قدمه المصابة ويمسكها بكلتا يديه ليخمد الألم ، متقافزا بالطبع على قدمه الأخرى كيلا يقع . فكان منظرا جاوز قدرة زازا على كبح نفسها ، فاذا بها تنفجر بضحك هستيري وهي تضرب الأرض بقدميها وتطرقع بأصابعها في الهواء . فنظرت أنا إلى وجه توتو ورأيت أن أحذرهما .

- زازا ، قلت لها ناصحاً ، بلاش ضحك ده مجنون .

لكن الأمر كان قد خرج من يدها ، لم يعد في إمكانها أن تكبح ضحكها المستيري . فبينما هي تضحك رأيت توتو يصبو إليها نظرة تقطر حقدا ، ثم أنزل قدمه واقترب منها حيث وقفت

تضحك ، وبكل قوته أهوى على خدها بصفعة شديدة ألقت بها على الأرض .

فكفت زازا عن الضحك ، وبعينين واسعتين من الرعب جلست تنظر إلى الرجل الذي ضربها ، والذي فوجئت به يرفع قدمه ويصوب ركلة عنيفة إلى جنبها ثم يتهياً للثانية . فذهلت وجننت ، ولأول مرة في حياتي فقدت أعصابي . فوجئت بنفسى أندفع نحو توتو من الخلف وأقفز فأتعلق بذراعى فى رقبته ، فإذا به يترنح ويسقط على الأرض . فركبت فوقه كما فعل كرشة بي ذات يوم ورحت أغمر وجهه بلكات عمياء ، لكات لم يصل إليه منها للأسف إلا لكتان والباقي تلقاه الوغد على ساعديه الحديدين . وزالت عنه المفاجأة فإذا به يخلعنى من فوقه ويلقينى على الأرض ، ثم يجذبني من شعري ليوقفني ، ولكمة عنيفة من قبضته أصابت فكى ورسمت حول رأسى عشرات من النجوم المتراقصة . شعرت بلخلخة فى الركب ووجدتني أترنح ، ولكمة ثانية على فكى الآخر فغبت عن الوجود .



### الفصل الثانى والعشرون



يخرج من بئر مظلم عميق بدأت أعود إلى الوعى ، وبصعوبة فتحت عيني فوجدت فوقى بدرأ ساطعاً .  
— هل هي زازا ؟ كلا هو البدر الآخر يطل على من السماء .  
جلست وأخذت أدعك عيني ، وفتحت فى لأثناء فشعرت بألم شديد فى فكى .

صمت عميق يخيم على الجزيرة ولا أثر لإنسان إلا جثة الحاج طلبة الملقاة بالقرب منى . هناك وراء المركب القائمة على جنبها أتخيل زازا نائمة ، كيف طاوعها قلبها على أن تتركنى وحدى ؟ لا بد أن السافل سحبها معه بالقوة وأرغمها على هجرى . هل أقوم الآن وأتسلل إلى حيث ينام لكى أجرب سحب الخنجر من جيبه كما فعلت

ذات يوم؟ كلا، لا بد أنه أخفى الخنجر في مكان أمين بعد ما وقع  
بالأمس من الحاج طلبة، وما فائدة الخنجر في يدي على أي حال؟  
— أحمد!

صوت زازا أتى من ورائي فالتفت مذعوراً، رأيتها تقترب  
سائرة على أطراف أصابعها. فلما وصلت إلى ركعت على ركبتها  
ومدت يدها تتحسس شعري.

— إيه اللي جابك؟ سألتها وأنا أتلفت حولي.

— توتو نام جيت اطمئن عليك، أجايتني هامسة، فقت يا حبيبي؟  
— المفروض كده.

— مرسى قوى انك دافعت عني، واصلت همسها.

— العفو يا ستى ده واجب علينا، أجببتها متحسناً فكي المخلوع.  
— أحمد...

— إيه يا روحى؟

— أنا خايفة قوى.

— من إيه يا حياتى؟

— من توتو، عمره ماضربنى كده أبدا.

— يعنى هو كان ضربنى انا؟

— وشوف كان عمل إيه فى الحاج طلبة.

— فعلا.

— مع إنه زمان كان ابن حلال قوى.

— فعلا.

— أحمد...

— نعم؟

— ما عندكش حاجة غير فعلا؟

— فعلا.

— إنت خايف زى ما انا خايفة؟

— م م م موش قوى. ولو ان فيه حاجة نفسى اعرفها.

— هي إيه؟

— متأكدة ان توتو رايح فى النوم؟

— ساعة ما سبته كان بيشرح.

— لكن ممكن يصحى فى أى لحظة...

— ممكن طبعاً.

— طب ما تروحي له يا بنتى أحسن.

— إخص عليك يا احمد، موش طاوزنى معاك؟ باقول لك

خايفة قوى.

وألقت بنفسها على تمرغ خدها فى صدرى.

— خبينى يا احمد، قالت وهي ترتعد، خبينى.

— إستخبي يا روحى، استخبي، قلت وأنا أكثر رعدة.

وأحطتها بالذراعين لأخبئها ، مع أنني والله أحوج الناس  
إلى الاختباء .

— خائفة قوى يا احمد .

— حتى بعد ما خبيتك ؟

— آه .

— طب استخبي كان .

فلاذت بي أكثر من قبل ، قطة صغيرة ترتعد بين أحضاني ،

لوذي يا حبيبتى لوذي .

— أحمد . .

— قولها تاني .

— بلاش دلح ، عايزة اسألك سؤال .

— واحد بس ؟

— لو كان المسدس محشى كنت تعمل إيه ؟

— أضربه .

— على توتو ؟

— إمال على روجي ؟

— ياخسارة ماهوش محشى .

— أبوه ياخسارة .

— طب خبينى .

— أكثر من كده ؟

ولاذت بصدرى أكثر من قبل ، عطر شعرها نفذ في صدرى  
وأسكرنى .

— قلتي شاييل ؟

— وبعدين معاك ؟ ح اقول لك مية مرة آربيح ؟

— طب استخبي ياروجي ، استخبي .

لحظة من النشوة المرتعدة لم تدم بالطبع طويلا ، بسبب الأنة  
التي سمعناها بجانبنا . فالتفتنا إلى الحاج طلبه ورأيناه يتقلب حيث  
نام في ضوء القمر ، توطئة لأن يستوى فجأة جالسا .

في بلاهة راح يتلفت حوله حيناً ، ثم اتكأ بيديه على الأرض  
وشرع في محاولة للنهوض . ارتفع عن الأرض قليلا ثم سقط ،  
ثم ارتفع ثانيا . ببطء يرتفع عن الأرض كأنه لصق إليها بالصمغ ،  
لحظات من الكفاح ثم رأيناه واقفا . شبح طويل في الجلابية  
البيضاء يترنح وقد رفع رأسه إلى السماء ، ثم بدأ يسحب شيقا طويلا  
يملأ به رئتيه ، سمعنا الهواء وهو يتسلل إلى صدره بصوت كالفحيح .  
فانتظرت أن أسمع صوت الزفير لكنني لم أسمع ، لسبب ما رأى  
الحاج أن يحتفظ بالهواء في صدره حيناً من الزمن . ذلك - كما تبينت  
بعد لحظات - لأنه كان يزعم الصراخ .

- حى اصرخ الحاج طلبة بصوت كالرعد ا حى ا حى ا  
أربع صرخات متوالية هزت أركان الجزيرة هزا ، مع كل صرخة  
تجفل زازا بين ذراعى وتنتفض .

- حى اصرخ الحاج من جديد ، حى ا حى ا

ثلاث صرخات جديدة ثم سعل الحاج فى وقار ولم الجلباب حول  
ساقيه ، توطئة لأن ينخفض إلى الأرض ويجلس . وسعلة ثانية ثم  
انطرح على جنبه ونام كما كان من قبل ، أنفاسه ترددت فى هدوء  
كأنه لم يبدر منه أى شىء غريب .

- أحمد ، هتفت زازا فى هلع ، دا باينه آتجنن !

- زازا ، أجبته وأنا أرتعد من الخوف ، بصى وراكى !

فالتفت خلفها لكى ترى مارأيت ، توتو الذى يقف على بعد  
خطوة منا وقد صحافى الغالب على صراخ الحاج طلبة . فى صمت  
يقف ناظرا إلى زازا حيث لاذت بين أحضانى ، بوجه صخرى كوجه  
أبى الهول يلمع فى ضوء القمر . وبهدوء منذر بالشر مد يده  
إلى جيب المايوه ففتحه واستل منه الخنجر ، ذلك المنظر الذى  
ماكادت زازا تراه حتى نهضت على عجل .

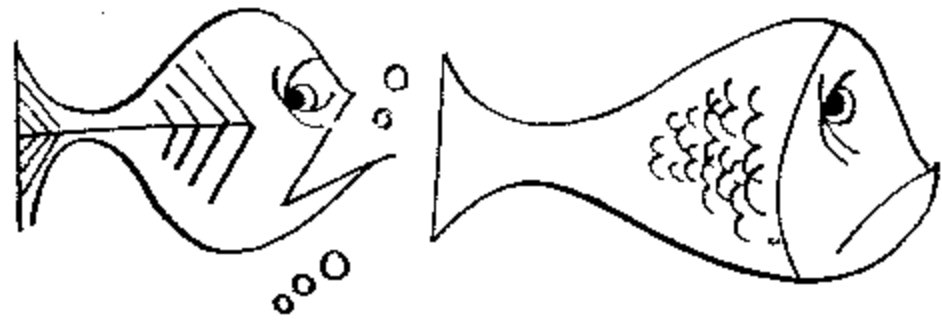
- توتو ! هتفت زازا ، بلاش جنان ! أنا ف عرضك يا توتو !

وهمت بأن تطبطب على صدره فدفعها عنه بقسوة وبدأ يقترب

منى بوجه يقطر حقدا وشرأ . فلست أدرى ماذا أصابنى حتى  
جلست جامدا بهذه الصورة كأننى تمثال الكاتب الجالس القرفصاء ،  
لم أتحرك ولا حتى بعد أن رأيت الخنجر يرتفع فى يده إلى أعلا .

- توتو ! صرخت زازا .

وهجمت عليه من الوراى تطوق جذعه وتحاول أن تجذبه  
فكأنما تجذب جذع شجرة بلوط . بكوعه لكزها فى رأسها  
فتركته وهى تغطى بيديها وجهها ، ويده اليمنى هوت بالخنجر اللامع  
نحوى . فلا بد أنه عفريت لبمنى خجأة - ذلك الذى جعلنى أنطرح  
بسرعة البرق على الأرض وأتسقلب لأتفادى الطعنة ، توطئة  
لأن أشرع فى الإجراء الوحيد للمتاح لرجل فى موقفى وذلك بالطبع  
هو الجرى السريع .



بكل قوتى رحت أجرى وأنا أسمع صوت أقدام تجرى وراى ،  
مطلقاً بين الحين والآخر صرخة عبيطة كلما هم بأن يمسكنى . فخييل  
إلى بأننى انقلبت تلميذا صغيرا يلعب المسافة فى حوش المدرسة ،  
خاصة عندما وجدتنى أقصد إلى شجرة التفاح وأحتسى وراءها .

أنا في ناحية منها وتوتو في الناحية الأخرى بأسنانه اللامعة مثل  
خنجره ، ينط يمينا فأنط شمالا كأننا في لعبة حاوريني ياطيطا . لكن  
الشجرة لم تكن لتحميني طويلا ، ولذلك وجدتنى أنطلق بآخر  
سرعة عندي نحو المركب قافزا في طريقى على الحاج النائم ، احتमित  
وراء المركب القائمة على جنبها وعادت المحاورة من جديد . فبينما  
نحن كذلك إذ رأيت منظرا خيل إلى أنه غريب نوعاً ، منظر زازا  
التي انحنت على الأرض في آخر الجزيرة وراحت تنبش في الرمال .  
لكننى بالطبع لم أكرث بالأمر ولم أحاول متابعة حركتها ، مشغولا  
بالأمم وهو مراقبة توتو . إذ وثب فجأة عبر المركب فاذا به بجانبى ،  
لحسن الحظ أفقياً لأرأسياً ، قدمه اصطدمت أثناء القفز بحافة  
المركب فانكفاً على وجهه .

— أحمد ! أحمد ! أحمد !

زازا تصرخ وهي مقبلة من آخر الجزيرة تجرى .

— إسقط يا أحمد ! صرخت حين اقتربت منى ، إسقط قوام !  
وقذفت إلى شيئاً مددت يدي وشقطته دون أن أعرف  
ماذا يكون ، جسم صلب فوجئت به بين راحتى ، مسدس الحاج طلبة  
يلمع بين يدي فى ضوء القمر ، فما انتفاعى بمسدس لارصاص فيه ؟  
— المسدس محشى يا أحمد ! صرخت زازا بوحشية ، أنا كنت

مخبية الرصاص !

فشعرت بالدماء تتدفق إلى رأسى كالنافورة ومعها ألف سؤال ،  
ولكن هل هذا وقت الأسئلة ؟ سؤال واحد صامت وجهته  
إلى المسدس وأنا أرفعه إلى أعلا وأضغط على الزناد ، فأجبنى صوت  
الطلقة المدوية . صوت وقع فى أذنى ولا صوت مدفع الإفطار  
فى أذن رجل صائم ، بعكس توتو الذى — وقد قام من سقطته —  
جمد فى مكانه ووقف يحملق إلى فى ذهول . مسدس محشو بالرصاص  
ومصوب إليه ، جذيره أن يخيفه حتى ولو كان فى يدي أنا .

توتو يفكر فى الأمر ويقلب وجوه الرأى ، ثم ابتسامة صفراء  
تشيع فى وجهه وهو يتقدم نحوى ببطء باسطا يده . مشهد قديم  
ذكره توتو ويريد اليوم أن يكرره معى باليد للمدودة والابتسامة  
الصفراء ، يظن الحمار أن أحمد اليوم هو أحمد الأمس .

— عندك ياتوتو ! قلت له بابتسامة حاولت أن أجعلها أكثر  
من ابتسامته اصفرارا ، عندك ! أنا موش بتاع زمان ، آه ،  
أنا واحد تانى !

فلو كنت حقاً واحداً ثانياً فلماذا وجدتنى أتقهقر إلى الوراء ،  
ولماذا شعرت بذلك العرق البارد يتصبب على جبينى ؟

— إرجع ياتوتو ! إرجع احسن لك !

لكنه لم يرجع ، ما برح يتقدم منى وأنا الذى أرجع .

— ياتوتو ابعدا احسن لك ، قلت له بصوت متهدج ، أنا موش  
حاز أقتلك ! ابعدا عنى ياتوتو !  
لكنه واصل تقدمه وقد تحولت ابتسامته من صفراء إلى  
معسولة ، كأنه يواجه طفلاً صغيراً شقياً . فأدركت أننى قد وصلت  
إلى مفترق الطريق ، إلى النقطة التى يجب أن أقرر فيها مصيرى بأجمعه .  
إنى أكره العدوان ولكن ما باليد حيلة ، فى بعض الأحيان يجب  
على الإنسان أن يتخلى عن إنسانيته .

— إرجع ياتوتو ! أنا بانصحك لآخر مرة !

فواصل توتو الابتسام ، بينما رفعت أنا يدي اليسرى وأسندت  
بها اليمنى التى ترتعد بالمسدس . سأضغط على الزناد ولست  
مستولاً إذا استقرت الرصاصة فى مكان قاتل ، جدير بتوتو أن يدرك  
جهلى بالرمية . بل إننى أضغط عيني حين صك سمى صوت  
الرصاصة ، ومرت لحظه قبل أن أفتح — لكى استكشف  
ما حدث — عيناً واحدة . وبها رأيت توتو واقفاً كما كان ولكن  
بغير ابتسام ، شفاه تقلصتا بعد الابتسام من الألم . وخطا إلى  
الأمام خطوة عرجاء ثم توقف ، رأيت على فخذه الأيمن شريطاً  
طويلاً من الدم الأحمر . فذكرت ما قرأت عن خطورة الحيوان  
الجرىح وتهايات لإطلاق الرصاصة الثانية .

— أحمد ! هتفت زازا .

لكننى كنت قد تغيرت ، شىء غريب طرأ على روحى وفتح  
نفسى للدماء . رصاصة أخرى أفضى بها على توتو ، وربما الثالثة  
أفضى بها على الحاج طلبة أيضاً ، لم لا ؟؟ فأغمضت عيني من جديد  
حين سمعت صوت الرصاصة الثانية ، وفى هذه المرة فتحت العينين  
لا واحدة ورأيت توتو يترنح ويسقط على ركبتيه .

— كل عليه ! كل عليه !

صرخة غليظة وصلتني من الحاج طلبة الذى فوجئت به  
واقفاً عن قرب ، فأعجبني كلامه واقتربت من الرجل الساقط مصوباً  
فوهة المسدس إلى رأسه .

— أكل عليك ؟ صرخت فيه بصوت غريب على أذنى ،  
أكل عليك يا كلب ؟ !

فرأيت شفتيه ترتعدان بشدة وسقط على الأرض ممدود الساق  
إلى الأمام . بيديه اتكأ على الأرض وراح يتقلقل إلى الوراء زاحفاً  
على مؤخرته ، صورة مجسمة للرعب الدليل .

— أكل عليك يا وسخ ؟ قلت له وأنا أتابعه بفوهة المسدس .  
ولست أدري لماذا أحسست بأننى يلعب من نفسه فى وجهى  
ويتلوى يميناً وشمالاً ، بينما راقبت توتو فى تقهقره الدليل  
وهو يرتعد ويلهث .



فاًتني لأهم بالضغط على الزناد إذ فوجئت بزازا تهجم على  
وتضمني إليها .

— أحمد ! صرخت زازا في رجاء ، أحمد ! أنت ح تعمل زيهم ؟  
فكأتما صبت على دماغى جردل ماء ساقع ، طأضت نفسى بجأة  
بالخجل الشديد من نفسى . فوقفت لحظة أصوب إلى توتو نظرة أخيرة  
قاسية ثم أوليته ظهرى وابتعدت ، نافشا جهد استطاعتى ما أتيج  
لى من عضلات . وزيادة فى إظهار ثباتى مددت يدي إلى الشجرة  
وقطفت تفاحة ، رحث أقرشها وأنا أتلفت حولى فى انتصار .

ومن هناك رأيت توتو يميل إلى الوراى معتمداً على كوعيه ،  
ثم ينزع الكوعين ويتمدد على ظهره متفززا . ورأيت زازا تتناول  
ذيل قيصها وتنزع منه قطعة جديدة ، تحول القميص فعلا إلى بيبي  
دول . وصوت شهيق عميق سمعته يتسلل إلى صدر الحاج طلبة ،  
ذلك الشهيق الذى حبسه فى صدره كما فعل من قبل متهباً لصرخته .

— حى ! صرخ الحاج طلبة بجنون ، حى ! حى ! حى !  
وترنح بجأة ثم سقط من طوله كالقتيل .



### الفصل الثالث والعشرون



توتو بعد أن أتمت زازا تضميد فخذيه ، وبخلو جسمه  
من أى جرح آخر فهمنا أن رصاصتى الثانية قد  
طأشت . ثم واجهتنى زازا بنظرة غاضبة .

— والله لو عارفة انك كنده ما كنت طلعت الرصاص !

— عارفة انى ايه ؟ سألتها متجاهلا .

— إنك قتال قتلة ! موش كفاية رصاصة واحدة ؟ عاوز

تموت الراجل ؟

— تبنى بايخة فعلا ، مين يصطاد لنا سمك ؟

— باسم !

فبدأت أنا أغطاظ .

— كنتى عايزانى اسيبه يدبجنى ؟

— لأ ، بس كفاية تخوفه .

— مريضيش يخاف . ماحدث بيخاف منى .

— أنا زهقت قتل وضرب ! وزهقت تنشيف دم وربط جروح !

فنظرت إلى قيصها ورفعت حاجب المجون الأيسر .

— ولو ان العملية دى لها فوايدها ، قلت لها ، قيصك بقى

احسن م الأول بمراحل !

لكنها لم تكن فى تلك النوبة .

— زهقت خناق اكررت باشتمزاز ، زهقت وقرفت !

— والله وانا زهقت اكرت منك .

فأشارت إلى توتو النائم .

— وموش قادرة افهم ده يتغير كده ازاي ؟ فاكر زمان كان

طيب أد إيه ؟

— فعلا ، وافقتها ، غنى لنا مرة ساعة الغروب .

— م اللى شافه منهم ، قالت بحرقه ، عذبوه ولاد الكلب !

فنظرت إلى الحاج طلبة وبدأت أملاً صدرى بشهيق صميق .

— حى ! صرخت أقلده ، حى ! حى !

فراحت زازا ترمقنى حيناً فى غيظ ، ثم اهتز صدرها بضحكة .

وبدأ عقلى يتجه إلى ناحية أخرى ، إذ أنى وإن كنت قد صرت

بالنسبة للقتل أحمد جديداً فإزالت بالنسبة لأحب أحمد القديم .

— تسمعنى تقعدى ؟

وأجلستها فجلست وأنا بجانبها .

— عارفة ان دمك كان خفيف قوى واننى خائفة ؟

فلم تجب .

— ما لكيش نفس تستخبي تانى ؟

— أستخبي من إيه بقى ؟ الاتنين نايمين زى الأموات !

— والتالت معدته طالعة لبرة . ياترى أتحمل ولا لسه ؟

— بلاش قرف !

— متأ كدة انك موش عايزه تستخبي ؟

— آه .

— طب انا عايز استخبي ، قلت مداعبا .

— لا يا شيخ ؟

— والنبي لتخبينى ، أصلى خايف قوى .

ومددت يدي نحوها فدفعتها ، لكننى مددتها ثانياً .

— ياسلام يا احمد .

— قولها تانى .

وتناولت وجهها بين راحتي ورحتي أنظر في عينيها ، أغوص  
في البحيرتين الزرقاوين الصافيتين . بيدي مسحت على شعرها ،  
وبأنتي نهلت من عطرها .

— آريج من قبل ما تسأل اقلت بشقاوة .

وفي عينيها رأيت نظرة عرفت منها أنها قد طادت زازتي ،  
وكالذت بي منذ حين لذت أنا بها ، خبأتني بين أحضانها طويلا .  
وأشرقت شمس الصباح على جثتين لاجثة واحدة كالأمس ،  
وشعاع دافئ سقط على توتو فتعلمل حيث رقد ثم تحامل على يديه  
واستوى جالسا . ممدود الساقين راح يتطلع بخوف إلى فخذه المربوط  
وكان منتفخا وارما . ثم نظر إلى فقابله بوجه رسمت عليه كل ما عندي  
من الصرامة ، لكي أفهمه أنني مازلت ذلك السفاح الجديد ،  
وفي الوقت نفسه تحسست المسدس الذي كنت قد علقته في أستك  
بنطلون البيجامة . فخفض بصره إلى فخذه وشرع يحل الرباط ،  
رأيت جرحا متقيحا وفخذا محتقنا يندر بالخطر .

— يا عيني ، قالت زازا في هلع ، ده الجرح اتوسخ .

— آرا قال توتو بصوت متهدج .

— آرا؟ سأله .

— آرا ، أجابني .

وأشار إلى صخرة صغيرة على الأرض وشرع يضرب قبضة  
بأخرى ويقول آرا .

— يكوانش قصده نار؟ تساءلت زازا .

فأوما توتو برأسه عدة مرات مصدقا ، فناولته زازا حجرين  
ووضعت أمامه بعض الأعواد الجافة ، سرطان ما كان قد أشعل النار .

— أنجر ! صاح يشير إلى الخنجر .

فترددت لحظة ثم قذفت إليه بالمذكور وأنا أتحمس مسدسي ،  
فد توتو النصل اللامع فوق النار وشرع يسخنه .

— يا خبر اسود ! هتفت زازا في فزع ، ده باينه ح يعمل  
لروحه عملية !

— له حق ، أجبتها ، الرصاصة لازم تطلع .

— لكن ده ح يعور نفسه .

— هو حر ، الجرح جرحه والفخذ فخذه .

وسحب توتو الخنجر من النار متوهج النصل أحمر ، ومالبت  
أن أدناه من فخذه بيد ترتعد . لحظة من التردد ثم دس السن  
المتوهج في الجرح ، سمعت النار تطش في لحمه وانبعثت منه صرخة  
ألم . وصرخة أخرى كادت تنطلق من زازا لولا أنها سدت فيها  
بإحتمها ، مشيخة بوجهها كي لا ترى المشهد الرهيب . وكذلك

فعلت أنا ، ومن ورأى سمعت زفرات متلاحقة تنبعث من توتو وهو يجرى العملية . زافرات ألحمة وشهقات ، وأنا أتخيل المنظر فأرتعد من مجرد الخيال .

— تازا ا قال توتو بعد حين بصوت جريح ، تازا ا

فالتفتنا لنرى دماء غزيرة تغطي فخذ توتو ، وفي نفس الوقت رأينا في يده رصاصة صغيرة . فأسرعت زازا بنزع قطعة جديدة من ذيل قميصها ، هذا القميص سيصبح ذات يوم بلوزة . وانحنيت فربطت الجرح لتوقف النزيف ، وكان توتو يرتعد من رأسه لقدمه ، أمر طبيعى بالنسبة لرجل أجرى لنفسه عملية جراحية وبدون بنج . فبينما زازا تربط له الجرح رأيته يرتجف بشدة ، وعرق غزير تصبب على وجهه وصدره ، فأصارحك القول بأنه صعب على ، قلت لنفسى هذا الرجل يحتاج إلى لباس يدفئه . فهاهى إلا لحظة حتى كنت قد خلعت فانلتى .

— خد ا قلت له بكراهية مصطنعة ، خد جتك البلا ا

وقذفت إليه بالفانلة فتلقفها في فرح ، سرعان ما كان يحشرها بالعافية في صدره العريض . فلما أنهت زازا عملها رأيتها يستلقى على ظهره وهو يلهث ، نحوا من خمس دقائق وهو يتململ ثم سكنت حركته وبدأ أنه استغرق في النوم .

توتو نام والحاج طلبة صحى ، جلس يتلفت حوله فى عباطة ثم حاول أن يحرك ذراعه فتقلص وجهه من الألم . لكنه تماسك وواصل تحريك ذراعه من عند الكتف فى دوائر صغيرة لكى تلين عظامه . وبينما يفعل ذلك يواجهنى بعينين غائمتين فيما نظرة غريبة ، من خلال وجه مغمض كاد يتوه وسط شعره المتهدل ، ولحيته الكثيفة البيضاء التى طالت وتدلّت وكادت تلامس الأرض . كأن عمره مائة سنة ، أو كأنه واحد من أهل الكهف صحى للتو من نومه الطويل . نفس النظرة الغريبة صوبها إلى توتو النائم ، ثم نقلها إلى زازا ، يتفحصنا طويلا كأنه يريد أن يذكر من نكون . ثم اعتمد بيديه على الأرض وجاهد لكى يقف ، ترنح حيناً ثم اعتدل وبدأ يمشى . كطفل يتعلم المشى سار الحاج طلبة عدت خطوات ، مقوس الظهر يتفحص الأرض قبل كل خطوة ، جلبابه مثل خيمة واسعة حول جسمه الذى ضمير . وإلى الجرة قصد فرفعها فوق فمه وراح يشرب ، ثم اتجه إلى شجرة التفاح فقطف واحدة ووقف يقرشها ، مواصلاً تفحصه لنا بتلك النظرة الغريبة الغائمة .

فتنهدت وقصدت إليه .

— ازى كتفك يا حاج ؟ سألته مجاملا .

فوقف يحملق إلى فى ذهول كأنه لا يعرفنى .

— كتفك طاب يا حاج ؟ أعدت سؤالى .

فواصل حملته إلى ثم سعل .

— الحمد لله ، أجا بنى أخيرا ، الحمد لله .

حتى صوته ذبل وصار أشبه بالحشرة .

— الحمد لله ، ردد الحاج كلمته بضعف وهو يشيح عنى بوجهه .

ثم أولانى ظهره وقصد إلى الشاطئ ، جلس يستعرض البحر بنظرة طويلة شاردة . فعدت إلى زازا التى جلست بجانب توتو تتأمله وقد وضعت يدها على خدها .

— صعبان على قوى ، قالت بمرارة ، قوى .

— وعلى انا كان ، بس هو اللى جاب الأذية لنفسه .

— مع إنه كان زمان ما فيش اطيب منه .

— فعلا ، غنى لنا مرة ساعة الغروب .

علامتان فيما أذكر رسمتهما على جذع الشجرة قبل أن يزول الورم عن فخذ توتو . ثم أصبح يوما بادي النشاط وراح يشنى ساقه المصابة ويفردها ، ومد يده إلى زازا كي تساعده على الوقوف . وقف أول الأمر على ساقه السليمة رافعا الأخرى فى الهواء ، ثم أنزلها برفق ليلمس بها الأرض . فما كاد يعتمد عليها حتى بدا الألم على وجهه ، لكنه تماسك وخطا بها إلى الأمام خطوة عرجاء .

من بعيد وقفت أرقبه فى حذر ويدي على المسدس ، إذ خطا

خطوة جديدة عرجاء تلاها بأخرى نصف عرجاء ، ثم بثالثة غير عرجاء ، عادت ساقه إلى ما كانت عليه من قبل رصاصتى . فظلمت واضعا يدي على المسدس وأنا أرقب حركته ، إذ أنه كان يقرب منى ببطء . وصل إلى مسافة خطوتين منى ثم وقف يتفردس فى ، لحيته هو الآخر قد طالت وفى شعره المتهدل ظهر كثير من الشعر الأبيض .

فى صمت وقف ينظر إلى بعينين سوداوين براقتين ، وسط وجهه الذى مازال فيه أثر من الكدمات . وخجأة تحركت شفثاه وانفرج فم عن ابتسامه لمعت خلالها أسنانه البيضاء ، أول ابتسامه لتوتو منذ زمن طويل . فترددت حينما ثم رددت ابتسامته بابتسامه جانبية صغيرة ، ولم أنس أن أرسم فى عينى معنى التحدى ليعرف أن أحمد الجديد مازال أحمد الجديد . وخجأة رأته يمد يديه إلى فانلتى ليخلعها ، خلعها وقدمها إلى بنظرة امتنان . فتناولتها ولبستها ، كأننى لبست شوالا لا فانلة .

— أنجر ! قال توتو وهو يمد يده باصمما .

فلما رأى ترددى أشار إلى البحر قائلا « أمك » يعنى سمك . وعند ذلك زال ترددى وقد أسالت السيرة لعابى ، فناولته الخنجر ونزل يصيد السمك . فلما صاده شواه وناديننا الحاج طلبة لكى يشار كنا الطعام . تردد أول الأمر ثم جلس يأكل فى صمت ، شاردا

فأثم العينين عجوزا ، فتنافيت السمك وأشوا كه تعلق بلحيته البيضاء  
فلا ينتبه إليها . أخرجت له أنا شوكتين ثم زهقت .

— دقنك بعد الأكل عايزه تنفيض ! قلت له مازحا .

وبالرغم من أنه لم يضحك ، رأيت أن أوصل مداعبته .

— فاكر زمان يا حاج ؟ كان معانا واحد يجب يا كل السمك

لوحده !

فواجهني حيناً بتلك النظرة الغائمة ، ثم لمعت في عينيه فجأة نظرة  
أخرى فيها الكثير من شقاوة الأطفال . ورفع يده النحيلة وقد مد  
سبابته نحوي ، ببطء مدها لينخزني بها ما بين الضلوع .

— قول يا باسط ! قال بصوت ماكر ، وابتسامة شاعت وسط

غضونه ولحيته .

— دمه بقى خفيف قوى ، قلت لوزا بالإنجليزية .

ثم التفت إلى توتو .

— ولا عاوزني اتكلم عربي ؟

— أربي ! قال توتو ضاحكا وهو يشير إلى قبر كرشة .

وانتهينا من الأكل فوقفت زازا أمامنا كجنية بيضاء ، وضربت

بيديها على فخذيها في شقاوة .

— تيجوا نلعب مسافة ؟ ا هتفت بحماس :



وانطلقت تجرى قائلة أن الشاطر من يمسكها ، فلم أكذب خيراً .  
أسرعت وراءها وهي تجرى هنا وهناك ضاحكة ، فلما أمسكتها كان  
من الطبيعي أن أقبلها . وكان هذا دوري لكي أجرى أنا وهي  
تمسكني ، فلما أمسكتني قبلتني . وبدأ على توتو أنه فهم أصول  
اللعبة فانطلق بدوره يجرى ويدعونا إلى اللحاق به ، فلاحقناه  
وأمسكناه وضحكنا حين أشار إلى خده مطالباً بقبلة .

ثم خطرت لزازا فكرة جديدة .

— تيجوا تنفسح في المركب ؟

— أركب اقال توتو بسرور .

— يا لله يا احمد .

فرفعت يداً معترضة حازمة .

— لا ياستي ، أنا موش فاضي للفسحة . ورايا شغل .

— شغل إيه ؟

— ح اقمدا أكتب .

— إيه ؟

— أكتب ، ماتعرفيش اكتب يعني إيه ؟

— تكتب إيه يا أخينا ؟

— أكتب قصة .

— قصة ؟ اصرخت في استنكار .

— آه قصة ، كثير على ا كتب قصة ؟

— تكتبها لمن بقي ؟؟ سألتني ساخرة .

— للأجيال القادمة ، أجبها بكبرياء .

فوقفت حينما تشويني بنظرة استهزاء ثم التفتت إلى توتو .

— يا الله بينا احنا ياتوتو .

وانطلقت تجرى كالغزال الشارد ووراءها توتو ، قفزا إلى

المركب وانزلقا بها على الماء . وبالنظر إلى أن توتو لا يعرف التنكيت

فلست أفهم سر تلك الضحكة العالية التي انبعثت من زازا .



### الفصل الرابع والعشرون



أنتى شعرت فجأة بأن الوقت قد حان لكي أشرع  
في تدوين قصتي ، قصة الأحداث المضحكة والفاجمة

التي وقعت لي في تلك الجزيرة الفذة . نعم يجب أن أكتبها وأن  
أعمل على وصولها إلى إخوتي من البشر ، لعلهم يتعظون بها إن هم  
وجدوا أنفسهم ذات يوم في جزيرة مثلها . فقصدت إلى الحاج طلبة  
حيث جلس يسبح وجلست قبالة .

— إلا قول لي يا حاج ، سألته باسم ، يا ترى دفتر الشيكات

لسه معاك ؟

فومضت في عينيه نظرة حادة وهو يدمدم بالصلوات .

— دفتر الشيكات ؟ سألتني بعد حين بريبة .



— آه ، أجبته وأنا أنتزع من لحيته شوكة .

— ليه ؟

— أصلي عايز اكتب عليه .

— تكتب إيه ؟

— آه ، أكتب .

— تكتب إيه ؟

— أكتب قصة .

— قصة إيه ؟

— لست أدري لماذا لا يصدق أحد أنى أستطيع أن أكتب قصة .

— أيوه ياسيدى ، أجبته بملل ، قصة .

— قصة إيه ؟ قال ملحا .

— قصة الأحداث المضحكة والفاجمة التى وقعت لى فى هذه

الجزيرة الفذة .

فواصل تحديقه فى ثم بدا الغيظ فى عينيه .

— ما عنديش دقاتر اقال فجأة بجفاء .

فدهشت .

— ليه يا حاج ؟ إنت لسه عايز منه حاجة ؟

— ما فيش دقاتر ا

فاغتظت .

— يا حاج اعقل ، قلت وأنا أتحسس المسدس ، إنت موش

عارف انى اقدر آخده منك بالعافية ؟

فلم يجب ، راح يزغرى لى بكراهية واضحة .

— هات الدفتر يا حاج ، ما تبقاش رذل ا

ومن سكات مددت يدي إلى جيبه أتلمس الدفتر ، فمد يده يريد

أن يمنعنى . لكنه ما لبث أن استسلم ، تركنى أؤس يدي فى جيبه

وأسحب الدفتر .

— والقلم لو سمحت ، أضفت .

فتردد لحظة ثم أخرج القلم وناولته لى .

— مرسى يا حاج ، قلت له بابتسامة صفراء ، وما تخافش

موش ح اكتب شيكات .

وهممت بأن أنهض ثم ذكرت أمرا .

— على فكرة يا حاج ، الشيكات دى لها رصيد بحق وحقيق ؟

— إمال يعنى انا نصاب ؟ اقال بغضب .

— طب ما تزعلش ، قول يا باسط .

وتركته وقصدت إلى شجرة التفاح ، جلست تحتها أبرى القلم

بالخنجر ، جاعلا سنه أرفع ما يكون لىكى يساعدنى على الكتابة

بأصغر خط عندى . فالشيكات محدودة والقلم نفسه صغير ، أخشى

أن ينفد هذا أو ذاك فأعجز عن مواصلة الكتابة وتنتهى قصتى

بسؤال لا جواب له .

فما كدت أشرع في الكتابة حتى برزت لي مشكلة أخرى  
هي ماذا أكتب؟ إني لم أكتب أية قصة في حياتي، فكيف  
يبدأ كتاب القصص قصصهم؟ أين لي بالأسلوب الأدبي أنا المهندس  
الذي لم يكتب شيئاً سوى التقارير الهندسية؟ لكنني يجب أن  
أحاول، ويجب أن أتجح.

بدأت بوصف منظر غرق السفينة وكيف أنقذتني زازا،  
ثم منظر تعلقنا بالخشب الطافية والكلام الذي قلناه في ضوء القمر،  
أصارك القول بأنني بدأت أعجب بأسلوبي. ساعة كاملة  
وأنا أكتب في نشوة أدبية ممتعة.

— إني لسه بتكتب؟ فوجئت بصوت زازا التي عادت  
من الفسحة.

— آه، أجبها بما يجاز.

— طب وريني كتبت إيه.

— لا.

لكنها اختطفني الدفتر من يدي قبل أن أستطيع منعها  
وجلست تقرأ. فراقبتها في خوف من أن تسخر من كتابتي لكنها  
لم تفعل، ما كادت تقرأ الشيك الأول حتى بدا عليها الاهتمام  
وابتسمت في سرور. كلما أمعنت في القراءة زاد اهتمامها، شعرها  
يتهدل على الشيكات فتزيح بيدها وتواصل القراءة. ومرة رأيت

صدرها يهتز بضحكة مطربة، سعادة فائقة غمرتني وقد نجحت  
في إثارة إعجابها.

— الغريبة انت فاكر كل كلمة قلناها اقلت ضاحكة.

— ودي يا بنتي حاجات تنسى؟

— إلا واحنا واقفين عند الشجرة وانت ماسك لي المرآة.

— وكان قيصك منشور بينشف، نهتها.

فواصلت القراءة حتى أنهت ما كتبت ثم واجهتني بنظرة  
إعجاب صريح.

— تعرف انك شاطر قوي في الكتابة؟

فأحسست بوجهي يتورد.

— موش قوي، قلت بتواضع.

— وشك احمر!

— هاها.

ومالت على قبيلتي، وعندئذ فهمت لماذا يتخصص بعض الناس  
في العمل الأدبي. وأسندت زازا رأسها إلى جذع شجرة التفاح  
وتطلعت إلى الدنيا بابتسامة مشرقة.

— موش عارفة انا سعيدة كده ليه، سعيدة قوي قوي.

— والله ومن معك.

— متيألي اني أسعد من اللازم، أضافت.

فرغت حاجب الفلسفة الأيمن .

— الواحد عمره ما يكون أسعد من اللازم ، أتعمس من اللازم

معلمش .

لكننى كنت أشعر فى داخلى أننى أنا الآخر أسعد من اللازم ،  
فكم من الناس أتيج لهم أن يستمتعوا بهذا اللزيج النادر من الحب

والحرية والفلسفة ؟

ثم سمعت زازا تنهد وتتصعب ، سرحت ببصرها كالحالمة  
إلى الشمس التى تنحدر عند الأفق .

— مالك ؟ سألتها .

— لسه برضه ناقصنى حاجة ، طارف إيه ؟

— إيه ؟

— ولد ا

— إيه ؟

— ولد .

— ولد ؟

— أيوه ، ولد أو بنت ما فيش مانع . حتى ولد وبنت يبقوا

احسن ا

فخطرت لى أفكار كثيرة لكننى احتفظت بها لنفسى مكتفياً

بالنحنة .

— بس محتارة اسميه إيه ؟

— الولد ؟

— آه .

فابتسمت ساخراً .

— الأسامى كثير ، عندك احمد وطلبية وتوتو وكرشة ا

— لا يا شيخ ، والنبي ؟

وسكتت وشردت نظرتها إلى الأفق من جديد .

— أحمد ، خاطبتنى بعد حين .

— قولها تانى .

— بلاش دلح وقول لى ، ما عندكش أى أمل ان المركب تشتغل ؟

— المركب بتشتغل بس البحر ما بيعبش للمراكب .

— أصلى الأيام دى نفسى اطلع من هنا قوى .

— سبحان الله ! بعد الحكاية ما هديت طاوزه تطلعى ؟

ففتحت فيها لتقول شيئاً ثم عدلت .

— كنتى ح تقولى إيه ؟

— ولا حاجة . إنت لازم تفكر شوية يا احمد .

— أفكر ؟

— آه ، فى طريقة نطلع بيها من هنا .



- العبد في التفكير .
- أصل انا جت لي فكرة .
- إيه ؟
- واحنا غرقاين في البحر انا وانت ، موش ممعنا فوقنا صوت طائر ؟
- حصل ، وكاتب عنه في القصة .
- الطائر ده راح فين ؟
- إيش عرفني ؟
- شفتاه في الجزيرة هنا ؟
- لا .
- يبقى لازم راح حتته تانية . يبقى فيه بلاد تانية قريبة من هنا . فسكت أستوعب كلامها .
- ساعات يطلع منك كلام معقول ، اعترفت لها .
- وما دام فيه بلاد قريبة ، استرسلت ، يبقى ممكن نوصل .
- نظريا .
- بصفتك مهندس لازم تشوف لنا طريقة .
- كرشة قال لي اطقو عليك مهندس اثم انا خلاص قررت اسيب الهندسة واتفرغ للأدب ا
- فرمقتني لأمة .

— والنبي تفكر جد يا احمد ، عشان خاطرى أنا .

— حاضر يا ستى ، قلت مستسلما ، أفكر .

فابتسمت فى رضاء حيث استندت إلى جذع الشجرة ، عينها  
ما برحت شاردة إلى الأفق الذى اكتسى بحمرة الشفق .

— ما فيش فائدة ، قالت بعد حين ، موش عاجبنى ولا إسم .  
فصوبت إليها نظرة ماكرة .

— قبل ما نفصل البدلة ، سألتها ، موش نحضر اللى يلبسها ؟  
وابتسمت لها فابتسمت لى ، هناك حيث جلسنا تحت شجرة  
التفاح . ظلال المساء الزاحف تنتشر حولنا ، وشبح للحاج وهو  
يصلى العشاء ويتهيأ للنوم ، وتوتو جالس عند الشاطيء البعيد ينظر  
إلى البحر . وقرص فضى بزغ عند الأفق الشرقى ، وإذا بصوت  
تينور جميل داعب آذاننا ، صوت توتو وهو ينشد أغنية جميلة فامضة .

— تمام زى زمان ! قالت زازا ضاحكة .

— زى زمان واحسن .

— إسمعنى ؟

— المسدس معايا أنا .

— إنت بتحب المسدس ؟

— أكرهه عمى ، لكن ما باليد حيلة .

فشاعت في وجهها ابتسامة ماكرة .

— بتضحكى ليه ؟

لكنها لم تجب على سؤالى .

— أحمد ، قالت بركة .

— قولها تانى .

— بتحبينى ؟ سألتنى .

فأجبتها .

### الفصل الخامس والعشرون



الشمس تشرق حتى أخرجت الورق والقلم وعكفت  
على الكتابة . من الصبح للظهر وأنا أكتب ، رفضت  
كل العروض التي حاولت زازا أن تغرينى بها . رفضت أن ألبس  
المسافة أو أنزل للسباحة . ورفضت لعب السيجة أو الحجلة  
أو كيكاع الواطى مع أننى شاطر فى الأخيرة جداً . بل إننى رفضت  
أن أقوم للغداء قائلاً أننى سأكل وحدى فيما بعد .

— يا أخى قوم كل قبل السمك مايرد ، قالت زازا بإلحاح .

فنظرت إليها فى أنفة .

— ليس بالسمك وحده يحيا الإنسان ، أفهمتها .



وواصلت الكتابة كالمحموم ، لم أتوقف عنها إلا عدة دقائق  
لكي آكل سمكتي ، لم يهمني أنها باردة . بل اني لم آكلها إلا لما  
في الفوسفور من فائدة لخلايا الفلسفة بالملخ .

— طب قوم تنفسح في المركب ، اقترحت زازا .

— اتفسحوا انتم ، أجبتهما بحزم .

— ياساترا إنك ركبك عفريت ولا إيه ؟

— تقريباً .

فومضت في عيناها نظرة ماكرة .

— تعال تنفسح في المركب انا وانت لوحدنا !

فأعجبنتني الفكرة لكنني تماسكت .

— ليس بالنسحة وحدها يحيا الإنسان ، أجبتهما بإباء .

— ياسم !

— أصل فيه حاجة مانتش فاهماها . أنا اكتشفت اني موش

بس باكتب قصة ، لأ ، أنا باكتب فلسفة كان .

— فلسفة ؟

— آه ، باتفلسف يعني ، فهمتي ؟

فوقفت حيناً تلسعني بنظرة ساخرة .

— طيب ياخويا ، اقعد اتفلسف !

وتركتني وانطلقت إلى المركب ووراءها توتو ، قفزنا في المركب

وانزلقنا بها على الماء ، لست أدري ماذا يفعل ذلك الوغد لكي  
ينترع منها تلك الضحكة العالية . كالأمس لم أتوقف عن الكتابة  
إلا عند حلول الظلام ، ومع شروق الشمس عاودتها .

— دي ما كانتش قصة ا قالت زازا مستنكرة .

— تاخدي تقري ؟

— لأ ، وسيها شوية لأنى عايزة اكلتك في حاجة مهمة .

— أمم م القصة دي ؟

ورأيت في عيناها نظرة جادة فنحيت الورق وأنصت . نظرة فرح

غامر لمعت في عيناها وهي تدنو بوجهها من وجهي وتضع فيها

على أذني .

— أنا ح اولد يا احمد ا همست بفرح كالطفلة ، ح اولد ا

فذعرت ، ثم ابتسمت .

— عارفة انا افتكرتك قلتي إيه ؟

— إيه ؟

— إنك ح تولدي .

— سبحان الله ، ماهو ده اللي قلته ا

— يانهار اسود ا هتفت في ذعر .

— إسود في عينك ا دنا فرحانة بشكل ا حاسة اني ح ا طير

من كتر الفرحة ا

- نصلحها ازاي؟ سألتها بريبة .
- ح يكون ازاي؟ بايك تتجوزني طبعا!
- أنا؟ اهتفت في ذعر .
- طبعا، أجابت ببساطة .
- فترددت لحظة .
- طب واشمغني انا؟ قلت أخيراً .
- فزغرت لي .
- بتقول إيه؟
- قصدي يعني ..
- قصدك إيه؟ عايز ابني يطلع مالوش أب! يعيش ازاي في وسط الناس؟
- فتلقت حولي .
- موش شايف أي ناس حوالينا!
- الناس اللي ح يعيش في وسطهم بعد ما يرجع .
- إتنى خلاص قررتي اتناح نرجع؟
- طبعا، إنت موش وعدتني انك تفكر؟!
- فضحكت .
- أشكرلك على الثقة العالية! بس لسه ماخذناش موافقة البحر .

- تبتى مجنونة .
- ليه؟
- دي جزيرة حد يولد فيها؟ تربي العيال ازاي؟
- مايمنيش . كفاية اني اولد وخلص!
- وبسطت ذراعيها حولها تريد أن تحتضن الوجود .
- ياسلام، قالت حاملة، دنا لو جاني عيل كنت اعبدك ا كنت ابوس الأرض تحت رجله!
- فرمقتها بازدراء .
- حاجة موش صحية بالمره، وبقك يتملي رمل .
- فلم تجبني، فرحتها قد استغرقتها إلى درجة مزعجة جدا .
- ثم انا متيألى انك ناسية حاجة صغيرة، أضفت بخبث .
- هي إيه؟
- ناسية انك ولا مؤاخذه موش متجوزة! موش الحاج طلبه طلقك؟
- طب مانا عارفة . إمال انا باقول لك الكلام ده ليه؟
- ليه؟
- علشان نصلح الحكاية دي .
- فلعب القار في عبي .



— العقل أقوى من البحر ، قالت بكبرياء .

— حلوة دى ، لازم حافظاها من حوار فيلم ومقتبس كان ا

— موش عايز تتجوزنى قول ا أنا فيه ألف من يتجوزنى ، آه .

وكان فى كلمتها الأخيرة زفرة بكاء ، ورفعت يدها إلى عينها لتمسح

دمعة غير موجودة ، ثم أشاحت عنى بوجهها ملوية البوز .

ففكرت فى كلامها ووجدته صحيحاً ، من الحمار الذى يرفض

الزواج من زازا ؟ وأنا بالذات أأست مديناً لها بحياتى ؟ ألم تنقذنى

زازتى من الموت ثلاث مرات ؟

— حبيبتى زازا ، قلت لها برقة ، عقد جوازك للحاج فىن ؟

— وانت مالك ؟ قالت غاضبة .

— عايز اشوف صيغته عشان انقلها .

فالتبعت عينها فرحاً .

— إذا كان ع الصيغة انا حافظاها ا

— طب مليهاالى .

— صحيح يا احمد ؟ ا صحيح تتجوزنى ؟

— أيوه ياستى ، أمرى لله .

— حبيبى أحمد ، قالت وهى تقبلنى ، إنت أنبل راجل شفته

ف حياتى .

— مرسى .

وأخرجت شيكا فكتبت عليه الصيغة با ملاء زازا ، ذلك الشيك

الذى وقعته وأسلمته لها فدمسته فى صدرها . ثم نهدت كمن تخلص

من حمل ثقيل ، أسندت ظهرها إلى الشجرة وفى عينها نظرة حاملة .

فرحت أنا أفكر فى الداهية التى حلت بى ، والمصيبة التى ترصدنى

فى جوف زازا . هل كان ينقصنى طفل لعين يقلقنى بصراخه ويستأثر

دونى باهتمام زازا ؟ وكيف ينمو طفل فى هذه الجزيرة المسحورة ؟

هل ينمو ببطء كسائر الأطفال أو يتحول فى أسابيع — على إيقاع

ساماتنا المجنونة — من طفل إلى غلام إلى فتى يافع ؟ فإذا طالب

هذا الفتى اليافع بالأنثى فأين هى ؟ وإذا كنا فى ذلك الوقت قد سخنا

ووهن العظم منا ، كيف لنا أن نلم هذا الفتى الأهوج الذى لانا

تربية ولا دخل مدرسة ؟ ؟

— زازا ، قلت لها فى لهفة ، إحنا فعلاً لازم نخرج من هنا .

— موش باقول لك ؟

— لكن ازاي ؟

— فكر . وعلى بال ماتفكر ا كون خدت لى حمام .

ونهبضت فجأة وانطلقت تجرى إلى البحر ، كجنينة بيضاء ألقط

بنفسها بين أحضانه . فرفعت يدي أهرش رأسى فى حيرة وارتابك ،

أطول أظافر تعبت بأطول شعر لعريس تزوج من دقيقتين .

العينين كقطعة رومية نعلانة . المرأة في يدي أفكر في أن أنظر فيها لكنني أخاف ، إذ أعرف أي منظر سأرى فيها . لكنني ما لبثت أن تجرأت وأدرتها إلى وجهي ، فوالله كدت لا أعرف نفسي في هذا الوجه الرهيب . شعري الذي شاب أكثر من نصفه ، ولحيتي الكثيفة الشعثاء ، وعضون حول العينين لا أذكر أنها كانت هناك قط .

### الفصل السادس والعشرون

— زازا ، سألتها بياس ، بدمتك بتجيبيني صحيح ؟

ففتحت عينيها وابتسمت .

— طبعاً يا حبيبي ، قالت بحنان .

فهززت رأسي متعجباً .

— ذوقك غريب جداً !

وأبعدت المرأة عن وجهي وقلت لنفسي أنني قطعاً يجب أن أهرب من هذه الجزيرة . لو بقيت هنا شهراً آخر لوجدتني أقطع من شجرة التفاح غصنا أحوله إلى عكاز ، مقوس الظهر أقبل زازا بنم لا أسنان فيه .

— طارف اذا جالى ولدح اطلعه إيه ؟ قالت زازا بلهجتها الحاملة .

— إيه ؟

— عالم .

— في الأزهر ؟



زازا حمامها فأنت وجلست أمامي تسرح شعرها في المرأة التي أرفعها أمام عينيها ، بنسة شعر تمسكها

بين أسنانها .

— فكرت ؟ سألتني والبنسة تهتز بين شفقتيها .

— في إيه ؟

— في طريقة نخرج بيها ؟

— لا والله لسه !

فنزعت البنسة ورشقتها في شعرها ، ثم تمددت على الرمال تأخذ حمام شمس . استلقت على وجهها مودعة خدها على يدها ، مسبلة

— لا ، في البيولوجي .

— إشمعني البيولوجي ؟

— إسمها حلو .

— بس كده ؟

— آه وعلى فكرة ، إيه الفرق بين البيولوجي والفسولوجي ؟

— البيولوجي تعلمنا فيه بنعيش والفسولوجي تعلمنا

ليه بنموت .

فرمقتني بنظرة فاحصة .

— موش بطالة الكلمة دي .

— واتي سمعتي حاجة ؟ دنا عندي كلام كثير ، بس ما حدش

ساب لي فرصة اتكلم .

— فعلا ، طول الوقت وانت بتجري !

— واتي بتربطي في جروح .

— مع إننا كان ممكن نعيش مبسوطين .

فهمت بأن أعلق على كلمتها لولا الشيء الذي فوجئت به يسقط

على دماغى ، تفاحة حمراء طابت واستوت فسقطت من الشجرة

وحدها . فتناولتها وأنا أضحك .

— بتضحك ليه ؟ سألتني زازا .

— فكرتني بتفاحة نيوتن .

— يطلع مين نيوتن ده ؟

— واحد عالم ، تفاحة زى دي وقعت على دماغه طلعم منها

بفكرة الجاذبية .

— الجاذبية ؟

— آه .

— الجنسية ؟

— لا ، الأرضية .

— طب قشرها لي .

وبينما شرعت أقشر التفاحة زحفت زازا إلى ظل الشجرة وتمددت

على ظهرها عافدة يديها تحت رأسها .

— وتبقى شاطر اذا قشرتها قشرة طويلة ملولة .

— ملولة ؟

— آه .

— وتديني إيه ؟

فطت بوزها وطرقت بقبلة صغيرة .

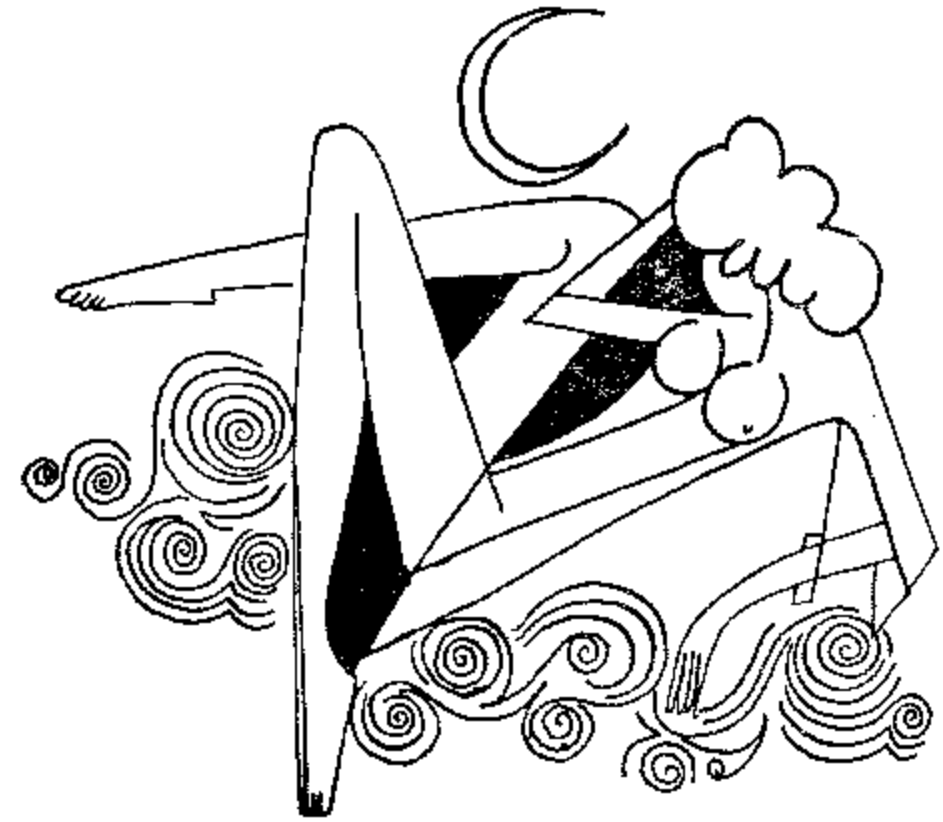
— إثنين ، قلت مساوماً .

فأومأت برأسها موافقة ، وشرعت أنا أقشر التفاحة وفقاً

للمواصفات ، حيلة قديمة علمتني إياها أيام الصبا خادمة كانت عندنا ،

سمرء في رقبتها حسنة ورائحتها بصل .

— إتفضلى يا ستى ، قلت فى انتصار ، ملولة كفاية ؟  
وأدليت فوق رأسها قشرة طويلة ملتوية كثعبان أحمر ،  
ثم تركتها تسقط فوق صدرها .



— طب والنبي شاطر .

ومدت لى شفيتها فأنحيت وقبلتها قبلتين . فإنتى لأهم بالثالثة  
إذ سمعنا نمنحة بالقرب منا ، ونظرنا لبرى الحاج طلبة واقفاً يزغر لنا .  
— على جهنم ! قال لنا بصوت ذابل مبجوح ، على جهنم !  
فضحكت زازا .

— لمعلميتك يا حاج ، خاطبته أنا يهدوء ، إحنا خلاص اتجوزنا .  
تحب تشوف العقدا ؟  
ولوحت له بالشيك .

— بنفس الصيغة بتاعتك يا حاج ! أضفت باسمها .  
فلم يجب بشيء ، وقف حينما يزغر لنا بعينه الغائمة ثم ابتعد  
وهو يدمدم .

-- دمه بقى خفيف قوى ، قالت زازا ضاحكة .  
وبيدها اليسرى رفعت التفاحة إلى فمها ، فى حين مدت يدها  
اليمنى إلى القشرة الحمراء تسويها على صدرها فى خطوط  
حلزونية منسقة .

— عارف اذا جيت ولدح اسميه إيه ؟  
وذكرت اسما سمعته بنصف أذن ، وبنصف أذن سمعت كل ما قالت  
فى الدقيقة التالية ، كأن صوتها يصل إلى من مكان سحيق . ذلك  
بسبب الدوامة العنيفة التى اجتاحتنى فجأة مذ وقع بصرى على القشرة  
الحلزونية الحمراء فوق صدرها . القشرة حلزونية ونحن نعود إلى  
الجزيرة كل مرة فى دوائر حلزونية ، فما سبب ذلك ؟؟ لماذا لانعود  
إلى الجزيرة فى خط عامودى كالخط الذى نغادرها فيه ؟ لماذا تصر  
تيارات هذا البحر على أن تسير فى تلك الدوائر الحلزونية العجيبة ؟  
فلو أننا ...

— أحمد ! أحمد ! أيقظني صوت زازا ، سرحت كده ليه ؟  
فلم أجبها ووجدتني أقفز واقفا كالمسوع ، رعدة جامعة  
تهزني هزا .

— زازا ! هتفت بصوت متهدج ، وجدتها !

— هي إيه ؟ ! سألتني في دهشة .

— وجدتها يا زازا ، وجدتها !

— هي إيه يا أخينا ؟ ! إنت اتجننت ؟

— تفاحة نيوتن نفعت معايا اجت لي فكرة هايلة !

— فكرة إيه ، موش تفهمني ؟

— هايلة والله ، هايلة !

وكالمجنون رحت أقطف التفاح بكلتا يدي كما رأيت توتو يفعل  
منذ أيام ، تساقط التفاح كالمطر حول زازا فنهضت مذعورة .

— قطعي معايا ، قطعي يابت !

— لا .. إنت مائة الماية جري لعقلك حاجة !

— قطعي ياولية ماتقفيش ساكتة ! ولا روحى قولى لتوتو

يصطاد سمك كثير ! السمك اللي في البحر كله ! ياسلام .. ده نيوتن

ده سره باتع بشكل !

### الفصل السابع والعشرون



من المركب ملئ بالتفاح الذي قطفناه ، وركن آخر  
ينتظر السمك الذي جالس توتو يشويه ، فأخذت زازا  
على جنب ورحت أشرح لها نظريتي التي لا أعرف بعد ماذا أسميها  
على وجه التحديد ، وبالطبع ستدخل في التسمية كلمة الحلزونية —  
النظرية الديناميكية للحركات الحلزونية أو شيء من هذا القبيل .  
إن التيارات المائية في هذا البحر — شرحت لها — من دأبها أن تتجه  
إلى الجزيرة في دوائر حلزونية ، الأمر الذي تحققنا منه مرة بعد مرة  
بالمشاهدة والتجربة . إذن فوفقاً لقانون الاحتمالات يكون من شبه  
المؤكد أنها تيارات ذات طابع حلزوني . فإذا يحدث لتلك التيارات  
بعد أن تصطدم بأرض الجزيرة ، هل تتلاشى وتختفي كلية ؟ كلا بالطبع

لأبد أنها ترتد عن الجزيرة بعد أن تصطدم بها ، من ناحية بفعل الصدمة ومن ناحية أخرى لتفسيح الطريق للتيارات الأخرى التي لا تبرح تتدفق على الجزيرة . إذن فهناك احتمال كبير في أن تكون هناك - في الوقت نفسه - تيارات تبتعد عن الجزيرة مثل التيارات التي تتوافد عليها ، وهي في أغلب الظن تتحرك في دوائر حلزونية مشابهة . فأين تذهب تلك التيارات ؟ ما المانع نظرياً من أن نفترض أن هذه التيارات يمكن أن تحملنا معها - إذا نحن وجدناها - إلى البحر الواسع العريض ؟؟

- فهمتى ؟ سألت زازا مستوثقاً .

فلم تجبني من فورها ، راحت تنفوس في بنظرة تتضارب فيها معاني الشك مع الرغبة في التصديق .

- طبليه ما عترناش على التيارات دي قبل كده؟ سألتني بريية .

- سؤال وجيه وجوابه سهل ، ما عترناش عليها لأننا كنا

دائماً نطلع من الجزيرة ف خط هامودي ، فهمتى ؟

فسكتت تتفكر في الأمر حيناً .

- ياسلام ، قالت أخيراً .

- آه ، أجبته .

وكان توتو قد انتهى من شئ السمك فنقلناه إلى المركب ،

ودفعنا المركب نفسها إلى الماء ، أنزلناها في النقطة التي اعتاد التيار أن يرجعنا إليها في كل مرة . وقبل أن نركب أخذت أستعرض للوقوف .

- مليتي القلة ؟ سألت زازا .

- أيوه .

- وجبتي غطاها ؟

- أيوه .

- وكيس النايلون ؟

- إمال ح اشيل المشط والمراية ف إيه ؟

- وانا معايا الخنجر والمسدس ، يالله بينا .

- إستنى شوية .

- إيه ؟

فضحكت زازا لسبب لا أعرفه .

- هو احنا ممكن نطلع ولا نرجعش هنا تاني ؟ سألتني .

- في الغالب ، ليه ؟

- إمال اما اجيب البتاع ده بقى ا

- بتاع إيه ؟

لكنها لم تجبني وانطلقت تجرى بعيداً ، انحنت في آخر الجزيرة

وراحت تنبش في الرمال . فلما عثرت على بنغيتهما أقبلت على ومدت

نحوي قبضتها المطبقة على شئ ما .

— إفتح إيدك ، قالت باصحة .

فبسطت راحتي لكي تودع فيها ما عندها ، عيون الجميع تركزت على يدي في اهتمام . إحساس في يدي بأجسام معدنية صغيرة توضع فيها ، ثم رفعت زازا يدها لكي أرى على راحتي ثلاث رصاصات من رصاص للسدس .

— إحشى مسدسك بقى ! قالت زازا ضاحكة .

فرحت أخلق في الرصاص بقدر من البلاهة يبدو وأنه كان أكبر من اللازم ، وإلا فلماذا سخسخت زازا من الضحك ، ولماذا عدى توتو بضحكها فقهقه ، وحتى الحاج طلبه نفسه رأيته يهتز بضحكة مكتومة ؟ تعليقات كثيرة دارت في دماغي لكنني كتمتها ووقفت أحشو المسدس في صمت .

— ماليش دعوة ، قالت زازا ، إنت اللي علمتني كده !

— طب معلش ، قلت لها ، هي لك والزمن طويل . يالله بينا . إلى المركب صعدنا وفيها جلسنا وهم ينتظرون تعليجاني ، إذ تناول توتو المجداف وهم باستخدامه فمنعته .

— موش نقدف ؟ تساءلت زازا في دهشة .

— نقدف ليه ؟ سألتها باستعلاء على ، إحنا عارفين التيارات

المرتدة ماشية ازاي ؟ ما حدش يتحرك خالص .

— لكن . . .

— هس ا ا كتموا نفسكم .

صمت عميق خيم علينا حيث جلسنا في المركب ، أربعة صدور تغلي كلها بأمل واحد . دقيقة من الصمت والمركب ثابتة في مكانها لا تتحرك ، أنظار الجميع مركزة على في رجاء تمازجه ريبة ، وتحفز واضح للعن أبي إذا فشلت الخطة . فتقبضت يداي بقوة على حافة المركب ، أنظر إلى البحر في استعطاف ذليل .

و فجأة تقلقت للمركب على سطح الماء مع أن أحدا منا لم يتحرك ، بدأت تدور حول نفسها ببطء وتغير من وضعها . تقدمت خطوة نحو الشاطئ كأنها ستغرس فيه ، لكنها ما لبثت أن غيرت فكرها وبدأت تتأرجح مبتعدة عن الشاطئ برفق ، لافي خط عامودي عليه وإنما بمحاذاة كأنها تنوى أن تدور حول الجزيرة .

— دي مشيت ا هتفت زازا في دهشة ، مشيت ا

والحاج طلبه أسرعت شفتاه بالدمدمة ، وتوتو لمعت خلال ابتسامته أسنانه البيضاء . والمركب تنزلق على الماء بمحذاء الشاطئ مبتعدة عنه رويداً رويداً .

— احنا بنبعد عن الأرض ا هتفت زازا بفرح ، والله بنبعد ا

شيئاً فشيئاً نبتعد عن الجزيرة ، في دقائق قليلة كنا قد درنا  
حولها دورة كاملة . ثم دخلنا في الدورة الثانية وشرعنا في الثالثة ،  
صارت الجزيرة على مسافة لا تقل عن مائة متر . ومع الدورة الرابعة  
تضاعفت المسافة ، وبانتهاء الخامسة والسادسة كانت الجزيرة  
قد أصبحت على مدى الشوف .

— حاجة مش معقولة أبدا ، قالت زازا وهي تضرب كفاً  
بكف ، دي معجزة !

— طولى بالك ، أنذرتها ، لسه ما تأ كدناش .

إذ أننا لانكون قد نجحنا إلا إذا تجاوزنا تلك المنطقة المشثومة  
التي ما برحت تصدنا في كافة المحاولات السابقة ، إذ تصيدنا في دوامة  
التيارات العائدة إلى الجزيرة . فسكنت زازا وسكتنا جميعاً ، أنفاسنا  
محبوسة ونحن ننظر تارة إلى البحر العريض المنبسط أمامنا ، وتارة  
إلى الجزيرة التي أصبحت مجرد نقطة صغيرة في آخر الدنيا .

— تفتكري عمرنا وصلنا للمسافة دي ؟؟ سألتها مستوثقاً .

— ما أظنش ، قالت بشيء من التردد .

واكتفى الحاج بالدمدمة وهو يجيل حوله نظرات عصبية  
زائغة ، وللمركب تسير وتسير مدفوعة بريح غير محسوسة . ماهي  
إلا ساعة حتى كانت الجزيرة قد اختفت تماماً عن أبصارنا .

— عمرنا وصلنا للمسافة دي ؟ تساءلت من جديد وفي صوتي  
نبرة انتصار .

— أبدا ، هتفت زازا بفرح ، أبداً ! عمرنا ما بعدنا كده أبداً !  
— أبداً أبداً ! رددت وتوتو هتافها وهو يتفزز ويضرب على فخذه  
بيدي طفل فرحان .

فلأت صدري بشهيق عميق من هواء البحر المنعش ، وللمرة  
الأولى أطلقت زفيراً حراً طويلاً مع آهة تجمع بين الراحة والظفر .  
ثم وجدتنى أتحنجح في كبرياء وأنا أرفع حاجب العلوم الأيمن .

— باقول ادخل فيها إسمي ، قلت لزازا .

— هي إيه ؟

— النظرية طبعاً . أصلي كنت ح اسميها النظرية الديناميكية  
للحركات الحلزونية لكن غيرت فكري . ح اسميها نظرية الحركة  
الأحمدية ، حاجة كده زي الحركة البراونية .

فراحت زازا تحمق في حيننا ثم غمرتنى بابتسامة تسيل حب  
وإعجاباً ، بل إنها مالت على فطبتت قبلة سريعة على خدي .

— والبي انت ماني منك أبداً ، قالت بلهجة صدق .

— لا ماتبالغيش ، أجبها بتواضع العلماء ، لارم برضه فيه هما  
ولا هنا ، هاهما .



وسفينتى تنزلق على الماء كالبحجة الحسناء بغير قلع أو مجداف ،  
تشق عباب البحر باسم الله مجريها ومرساها . فبورك في يوم ولدت  
ويوم ركب في دماغى هذا المخ العلى القذ .

— متهبالى سرعتنا قلت ، قالت زازا بعد حين في قلق .

— ده بس متهبالك ، أجبتها بثقة .

— طب والله قلت ، قالت مصرة

فنظرت إلى الماء وأرهفت السمع ، خيل إلى أنا الآخر أنها  
نطقت صدقاً .

— على كل حال ده شىء طبيعى ، قالت لها مطمئنا ، التيارات  
ضرورى تنتهى . لازم نبتدى نقذف . خد يا توتو .

وناولته المجداف الذى هم باستخدامه ثم توقف بادية الحيرة .

— مالك ؟ سألته .

فأشار بإصبعه إلى الأمام وإلى الورا ، ثم إلى الشمال واليمين .

— والله له حق ، قالت زازا ، ح يقذف على أى ناحية ؟

وكانت هذه مشكلة حقا ، فألى أين نحن ذاهبون ؟ البحر

عريض فسيح لانهاى أزرق ، شماله كجنوبه كشرقه كغربه ،

وسفينتى غير ذات بوصلة .

— أحسن حاجة نخلى الشمس وراانا ونمشى ، قلت مقترحا .

— إسمعنى وراانا ؟ تساءلت زازا .

— ح يكون ليه ؟ علشان ما تزغللش عيننا ، صعبة دى ؟  
فبدأ توتو يجدف بنشاط ، فرحا بالفرصة التى أتاحت له لى  
يعمل شيئا .

— تعرفى ان توتو نفعنا جدا ؟

— فى إيه ؟

فى أنه أكسب للمرك هذا القدر من الخفة والنعومة ، لم يكن  
مستبعدا أن تعجز التيارات عن حمل السفينة الخشنة الثقيلة السابقة .

— ربنا يبارك لنا فيه ، قالت زازا وهى تربت على ظهره بحنان .

كتفاه عريضان وجانباه ضلعا مثلث ينتهى عند خصره النحيل ،

عضلاته لا تبرح تنقبض وتنبسط فى ظهره البرونزى المتين — لكننى

أنا الذى رسمت الخطة .

— ناولينى سمكة بس تكون كبيرة ، قلت لزازا .

فناولتنى سمكة والحاج طلبة مثلها ، كادت نسبة الأشواك

فى لحيته تطفى على نسبة الشعر . فلما تغديت تناولت المجداف

من توتو ريثما يتغدى بدوره ، وسمعت من زازا ضحكة مطربة .

— حقا انت المرة دى نوح بحق وحقيق !

— نيوتن من فضلك ، نهبتها .

— بس اياك نوصل حته حلوة .

— دى بقى معرفهاش ، أنا موش مغسل وضامن جنة .

— طب دى موش بس هديت عن الأول ، دى بقت أهدي  
من كل الساعات اللي فى الدنيا . بصى كويس !  
فهل كان عقرب الثواني يدور فى سالف الزمن بهذا البطء  
الشديد ؟؟ إنه يتفسح على الليناء أكثر منه يدور ، يتلكأ عند  
كل علامة كأنه لا يريد أن يفارقها ، فهل أنا أعمى ؟  
— يا زازا بصى ! هتفت فى فرح وحشى ، بصى !  
— والنبي بلاش عباطة وقدف .  
— إتنى عارفة الحكاية دى معناها ايه ؟  
— معناها انك مجنون ! يا تقدف يا تدى توتو يقدف .  
— قدف ! قال توتو باسم .  
فناولته المجداف وأخرجت أوراقى بأنامل مرتعدة ، سجلت  
عليها هذه الملاحظة عن الساعة .  
— يا خسارة ، قلت بحسرة ، الورق قرب يخلص ولسه فيه  
كلام كثير .  
جربت الساعة حين تجرى بسرعة ، وخبرت الشعر حين يتهدل  
ويشيب بين عشية وضحاها ، فماذا يكون الأمر لو حدث العكس ؟  
— ما فيش فائدة ، قالت زازا بمرارة ، ما فيش ريحة أرض  
حوالينا . ضرورى ح نبات فى البحر .  
نعم يبدو أننا سنفعل ، حمرة الشفق ذابت فى لون البحر الرمادى ،

— عشان كده انا خلاص نويت على حاجة ، عارف ايه !  
— ايه !  
— خلاص ح اسمى ابني أحمد .  
— ده أقل ما يجب عليكى .  
— آه ، اسميه أحمد وادلعه توتو .  
فزغر لنا الحاج طلبة ولم يقل شيئاً ، بينما رحى أنا أجدف  
وأجدف .  
— يظهر انها ح تليل علينا ، قالت زازا بعد حين بقلق .  
فالتفت خلفى نحو الشمس ، رأيتها قد انحدرت عند الأفق  
ملونة إياه بحمرة الشفق . وبحركة لاشمورية نظرت إلى ساعتى  
فسرطان ما جدت عينى عليها .  
— زازا ! هتفت فى دهشة ، زازا !  
— ايه ؟  
— بصى ! ؟ ساعتى عقلت !  
وأدريت الساعة من وجهها ، راحت تنفوس فيها حيناً ثم  
هزت كتفها .  
— آهى زى ماهى ، قالت باستخفاف .  
— دى زى ماهى ؟ دى ؟ !  
— آه .

وعتمة للساء أخذت تنتشر حولنا . والليلة ليست مقمرة ، نجمة  
واحدة لمعت جهة الشرق وربما كانت الزهرة .

— ما كفاية تقديف يا توتو ، قالت زازا ، الدنيا ضلّت .

فأطاعها وترك المجداف ، ثم انخفض في قاع المركب وهويلهث .

والحاج طلبة كف عن المهمة حيث تكدس في ركن المركب .

— تتعشوا قبل ما تناموا ؟ سألتنا زازا .

فطرقت شفاهنا بالنفي ، من الذي تروح نفسه للأكل

في هذه الظروف ؟ البحر الداكن المريض ، الصامت كالقبر مع أنه

يعج بالحياة . رحلة إلى المجهول في الظلام الذي لا يبرح يتكاثف

حولنا . صامتين جميعاً نلوك أفكاراً واحدة ، لا صوت حولنا

إلا خفق الماء على جنبات المركب . وزازا أراحت خدها على حافة

المركب وأدلت يدها في الماء ، شاردة تفكر . شيئاً فشيئاً يتكاثف

الظلام ويمحول الجميع إلى أشباح ، حتى ظهر زازا العاجي في قيصها

للمزق كاد يتوه في الظلام . وبعد قليل تاه فعلاً ، غاب الجميع

عن بصرى .

وصوت أنفاس منتظمة لتوتو والحاج طلبة تدل على أنهما

قد ناما ، فدهمني فجأة شعور مفزع بالوحدة والعزلة ، خيل إلى

أنه ليس في العالم كله إنسان غيري . برودة مرت في بدني ورعدة ،

وتسارعت كل من أنفاسي ودقات قلبي .

فددت يداً مرتعشة أنلمس بها كتف زازا .

— زازا ، همست بوجل ، نمتي ؟

فسمعت طرقعة شفيتها ، وأحسست بها تستدير نحوى .

— خائفة يا زازا ؟

— إنت خايف ؟

— قوى ، شوفي إيدي باردة ازاي ؟

— يا حبيبي ، دانت بتترعش .

وتناولت يدي بين يديها وكاتنا دافئتين ، ثم وجدتها تجذبني

نحوها في حنان وتميلني لكي أنام ، أراحت رأسي على حجرها كأنني

طفل صغير .

— خايف من إيه يا حبيبي ؟ سألتني برقة وهي تمسح بيدها

شعري .

— البحر كبير قوى ، قلت بصوت متهدج .

— ما هو طول عمره كبير .

— والنجوم كثير قوى .

— برضه طول عمرها كثير .

— موش للدرجة دي .

ملايين ملايين النجوم تبعثر في القبة السوداء ، بعضها نجوم

وحيدة ترتعد مثلي ، وبعضها أكداس من نجوم نحاسية صدئة

أنظر إليها فيخيل إلى أنها قد تهاوى فجأة فوقى ، أو أنتى قد آخذ  
شهيقاً قويا فتسرب مثل ذرات التراب إلى صدرى .

— ما تخافش يا حبيبي ، أنا معاك .

بيدها الحنون مشت على جبيني ، شيئاً فشيئاً سرى دفئها  
في جسمى وأخذ يطرد الرعدة عني . تسارعت أنفاسى حيناً ثم  
هدأت ، بدأت أسترد سكينتى . بل ونشوة غريبة جرفتني فجأة ،  
وشعور طارىء بالخفة وبالاستخفاف بكل ما كان يفزعنى ،  
فوجدتنى أقهقه .

— مالك ؟ سألتنى زازا .

— حاجة غريبة قوى ، عمرى ماخفت بالشكل ده .

— أصلك مجنون .

— هاها .

فماذا يمكن أن يحدث لنا ؟ تنقلب المركب ويأكلنا السمك ؟  
أكلناه كثيراً فلماذا لا يأكلنا مرة من نفسه ؟ وماذا لو تحولت  
من آكل للبروتين إلى جزىء بروتين في خلية سمكة ؟ ما الفرق  
في النهاية بين أن أعيش في خلية أو في الغلاف الجوى لكوكب ؟

— فكرينى بكرة اكتب الحكاية دى .

— إنت لسه ح تكتب ؟

نعم وبأصغر خط عندى ، وبدون أن أترك في الوريقات المتبقية  
مليمتر واحد أبيض ، كأنتى خطاط يستعرض مهارته في تدوين  
كتابه المقدس على بيضة . إلا قول لى — قالت زازا — تزعل  
لو ما سميتش الواد أحمد ؟ وليه ما تسميهش أحمد ؟ نفسى ف إسم  
جديد . إنتى حرة . طب اسكت وفكر معايا ف إسم . ما أعجب  
ذلك الخوف الذى دهمنى ، وما أعجب النشوة التى تعتربنى الآن ،  
هناك حيث رقدت وسط التفاح . أنا الآخر لا يعجبني اسم  
النظرية الأحمدية ، تزن فى سمعى كأنها إحدى الطرق الصوفية ،  
افتكرت اسم . إيه هو ؟ إيه رأيك فى حلزونية أحمد ، حاجة  
كده زى ثابت بلانك ؟ طب بلاش عباطة وخلينا فى الواد . جنين  
فى جوفها بجانب رأسى ، لو أن سمعى أقوى لسمعت دقات قلبه .  
عجينة تختمر فى ظلام الرحم وتتشكل ، ضفدعة تتأوى فى قرية  
ماء ، عفريت مقلوب على رأسه لا يرى ولا يسمع ولا يتنفس لكنه  
يعيش وينمو . على دقات ساعتى ينمو ، وكم تطربنى تلك الدقات  
الجديدة المتباطئة ، إلا قول لى . إيه ؟ تعملى إيه لو الواد نزل  
براسين ؟ إن شالله انت يارب ا ليه ، يبقى بمخين . هاها ، طب  
والنبي فكرة . بس يضطر يخلق دقنين . طب لوجبت بنت نسميها إيه ؟  
عندى فكرة . إيه ؟ إذا جت بنت سميا تفاحة ، وإذا جت واد سميه  
جمجمة ا باسم كده ا على فكرة تعرفى إن الجمجمة صعبانة على ؟



ليه؟ وحدها كده في الجزيرة . ومين قال انها في الجزيرة . يعني إيه؟  
 يعني جبتها معايا ا إيه؟ ا طبعا جبتها ، ح اسيبها مسكينة وحدها  
 هناك؟ أما انتي بقي . أحمد ، بلاش دوشة خلييني افكر . كانت  
 دائما أنتي لامعقولة ، وكنا نظن أنها ستخرج من الكوخ مشرحة .  
 جثت على ركبتيها دامعة العين من الضحك وقالت شوفوا لي أي  
 عريس — أحمد . قولها تاني . تفتكرح نوصل؟ قولي يا باسط .  
 اللهم الحاج بيحلم . ده دليل على إنه لسه ما ماتش . والنبي بقي  
 دمه خفيف . إنتي عندك حد دمه ثقيل؟ يا خسارة . إيه؟ كان ممكن  
 نعيش سعدا . كان . ضيعوا الوقت في الخناق . بهدلونا ولاد  
 الكلب . هاها ، دانت يابني جريت جرى ا من يضحك أخيرا ،  
 أحدهما في القبر والآخر غصت لحيته بأشواك السمك . إلا الشيك  
 أبو ألف جنيه لسه معاك؟ مكتوب عليه فصل من الرواية . يآرى  
 يرضوا يصرفوه لك بالشكل ده؟ بس الأول يكون له رصيد . وبس  
 نوصل . موش شايفة حاجة في البحر؟ غير الضلعة مافيش . وحتت  
 تانية طالعة فيها الشمس . تيجي اسمي بنتي شمس؟ موش سخنة  
 شوية؟ البنت شمس والواد تعرف إيه؟ إيه؟ أسميه بحر . إشمعني بحر؟  
 موش اتقابلت معاك في البحر؟ حصل . وموش هو اتخلق في جزيرة؟  
 فعلا . وكان مركبنا غرقت في البحر؟ معقول . هاها . بتضحكي ليه؟  
 تصور ان قاع البحر دلوقت فيه كل الحاجات اللي كانت في المركب؟

كراسي مذهب و تراييزات . أى والله . ودواليب مبلولة وتسريحات .  
ممككة ف درج التسريحة . وقرموط فى الشيفونير . و ابو جلبو  
لابس بيجامة . وأخطبوط لابس فستان . وعلب روج وقزاز  
بارفان . قلتي شانيل ؟ آربيچ ، وكتب بايشة ودوسيهات .  
وبانيوهات وسيفونات . الله يقرفك ، وغوايش وبروشات .  
ولا تلسكوب القبطان . وإيه كان ؟ تمامي ذهب وصلبان . وعقود  
لولى ومرجان . وسبح كهرمان ، وزراير جبة وقفطان . إحناح نشعر  
ولا إيه ؟ ليه لأ ، ولا مخلفات الحرب . بوارج وغواصات .  
وطرادات ونسافات . وليه نسيت الطيارات ؟ والقاذفات والنفاثات .  
ولا حروب زمان . خودلميع نحاس . وسهام واقواس . ورماح  
ودروع . وسيوف وبتوع ، والنبي لعبة حلوة ! وخنجر بتاع راجل  
قرصان . وإيه كان ؟ مفاتيح واقفال ، وترايبس أشكال . موش لاقية  
حاجة تتقال . وحزام عفة من عصر الفرسان . هاها ، والنبي لاصحيه  
بحر . وخزن حديد فيها وثائق سرية . طب قول رسائل غرامية .  
وإيه الفرق ؟ على رأيك . وتاج ذهب كان فوق دماغ سلطان .  
طب انت عارف انا نفسى ف إيه ؟ إيه ؟ نفسى التى خاتم سليمان .  
لو لقيتيه تطلبى إيه ؟ أطلب أطلب أطلب حزر أطلب إيه ؟ إيه ؟ أطلب  
العفريت واقول له طرف إيه ؟ هيه ؟ أقول له يسحرنى ويعملنى  
طرف إيه ؟ ؟ إيه ؟ يعملنى نسمة هوا . بالألف ولا اليه ؟ مانفسكش

تبقى نسمة؟ ما عنديش مانع، حد يكره الطيران؟ أنا وانت وتوتو  
 نسمة واحدة. دي تبقى زوبعة. نظير لفوق في العلالى، لفوق.  
 أى والله، ندوى فوق فوهة بركان. ولما نزهق م العلالى؟ نزل  
 نصفر فى الوديان. ولا الجناب والغيطان. من غيط قمح أصفر لبستان.  
 نلاعب السنابل. ونشم زهر البرتقان. يرقص علينا الفراش،  
 وترفرق المصافير. ويا الحدادى والغربان. نميل فروع الشجر.  
 ونردد صدى الألحان. فردى وباخ وموزار. وليه نسيتى شوبان؟  
 ننفخ قلوب المراكب. ونزغزغ الربان. تيجى نغرق مركب؟  
 إذا كانت مركب قرصان. ونروح فى كل مكان. لاسور بحوشنا  
 ولا قضبان. وإيه كان؟ نلعب ضرورى ف شعر البنات. ونظير  
 الباروكات والله فكرة، ونظير ديل الفستان. ونظيرى ع الحران.  
 ونفوق السكران. والتعبان. والهيان. والغفلان. والزهقان.  
 والخرمان. والعدمان. والصدمان. هاها، بس يا احمد احسن دخت.  
 أحب الدوخان. أحمد. قولها تانى. أحمد، رق صوتها وما أحلاه  
 حين يرق، أحمد. إيه ياروحى؟ بتحبني أد ما باحبك؟ ياسلام يا زازا،  
 موش عارفة انك روحى؟ صحيح؟ طبعاً، اللهم تكونى اتى  
 بتحبينى. وانت عندك شك يا عنية؟ جد بتحبينى؟ قوى والنبي.  
 الحمد لله انك موش فرسة النبي. ليه؟ كنتى كلتينى. هى فرسة  
 النبي بتاكل جوزها؟ بعد ما يستنقد أغراضه. موش معقول!

قصدي أغراضها. طب انا فرسة. وشعر زازا تهدل على وجهى  
 وهى تتظاهر بأنها تأكلنى فى حين أنها — كما تلاحظ — تقبلنى.  
 زازا فى الحلوة تقبلنى، هناك حيث رقدت وسط التفاح. ثم رفعت  
 رأسها عن شهاب سرى فى السماء بسرعة، توهج لحظة ثم خبا. ياترى  
 الشهاب ده معاه ساعة؟ شهاب؟ آه، لومعاه ساعة كان قال انه عاش  
 مليون سنة. أحمد، ده وقت تخريف؟ وانحنت من جديد فقبلتى،  
 ونشوة عجيبة غمرتنى، هناك حيث رقدت وسط التفاح. للمركب  
 تمايل فكأنتى فى أرجوحة، ووشوشة للماء حولى أغنية من أغانى  
 المهد. الماضى والحاضر والمستقبل فى لحظة، كاللحظة التى عاشها ذلك  
 الشهاب، فلو أن — أحمد. إيه ياروحى؟ أحمد! إيه يا زازا؟ ألحق  
 يا احمد! ألحق إيه؟ أنا يظهر ح اولد إيه؟ ح اولد يا احمد، ح اولد!  
 يا نهار اسود! إسود فى عينك، ح اولد! مش معقول! والنبي  
 ح اولد ا زازا! أحمد ا زازا، إعقلى يا بنتى، ده وقت حد يولد فيه!



## هذا الكتاب

- هذه أول رواية فكاهية طويلة للمؤلف الذي تخصص في كتابة المقال الفكاهي منذ سنوات .
- وهي أول رواية فكاهية كاملة تكتب باللغة العربية .
- انها فكاهية ولكنها لا تستهدف مجرد الاضحاك ، بل تحاول تطويع الفكاهة لنقل فكرة جادة .
- يلعب فيها الخيال دورا كبيرا ، لكنه لا يرمى بدوره الى التسلية أو التهويل وانما الى خدمة الفكرة .
- لغتها عربية فصحة ، وحوارها بالعامية المصرية ، وأسلوبها عموما هو ذلك الأسلوب الجذاب الذي ينفرد به المؤلف ويعرفه به قراؤه .

دار القلم

